كلمة العدد

صفحة من تاريخ المجد في الأندلس

بقلم: سعادة الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

نظمت الغرفة التجارية والصناعية العربية البرتغالية منذ أسابيع مؤتمراً هاماً حول الحضارة الإسلامية في البرتغال . وهذا الموضوع يثير أحاسيس المجد في نفس كل عربي ومسلم بقدر ما يثير أحاسيس الأسى . أحاسيس المجد لحضارة استمرت تسعة قرون قدمت فيها للإنسانية كلها وليس للغرب وحده أروع وأبدع ما أنتجه العقل المسلم في جميع المجالات . وكانت حجر الأساس الذي قامت عليه حضارة أوروبا في عصر النهضة. بعد أن قضت أكثر من عشرة قرون في غياهب الفوضى والجهل والهمجية . ذلك أن الحضارات واحات من الإشعاع العظيم . تنتشر على ساحة الزمن منذ خرج الإنسان من غيابات العصر الحجري الحديث وحتى اليوم . وهي أشبه بالطرز الذهبية على ثوب الزمن الممتد تؤلف في مجموعها عطاءً للإنسان . ويأخذ الحاضر منها من السابق . فيطور ويضيف ويبدع ويعطي للاحق في مسيرة متواصلة . ونحن هنا لا نستطيع أن نتحدث عن الحضارة الإسلامية في البرتغال فقط . فحضارة الأندلس كانت حضارة تشمل شبه الجزيرة كلها ولم تكن التقسيمات السياسية الحالية قد عرفت بعد .

لقد قضى المسلمون في الأندلس قرابة التسعة القرون من سنة ٦٤٣ ميلادية وحتى سنة ١٦١٠ ميلادية ولا يمكن لإنسان أن يدّعي أن بإمكانه الإحاطة بتاريخ

تسعة قرون في عجالة المفروض فيها أن تكون مقدمة لهذا العدد . وسوف أكتفي هنا بالإشارة إلى بعض الخصوصيات التي تفردت بها حضارة المسلمين في الأندلس، راجياً أن تلقي ولو بقعاً صغيرة من الضوء على تاريخ ماجدٍ . وحضارة سامقة كانت بكل المقاييس الأساس الراسخ الذي قامت عليه حضارة عصر النهضة الأوروبية بل وحضارة العصر الحديث .

وأولى الملامح التي تطالعنا ونحن نتناول حضارة المسلمين في الأندلس هي أنها حضارة قدمت للإنسان أعظم ما توصل إليه العقل البشري في الفلسفة والأدب والطب والكيمياء والبصريات والرياضة والفلك . بل وفي الأخلاق والسلوك وفي نفس الوقت كانت هي الحضارة الوحيدة التي ظُلمت ظلماً بيناً ممن استفادوا منها وشادوا على هديها . يتمثل ذلك في أن المصادر التي تستقى منها أبعاد هذه الحضارة كتبت بأيدي أعدائها وبأسلوب ينطوي على حقد عنصري بغيض . وقد أكد ذلك العلامة المستشرق الأسباني جاينجوس في مقدمة ترجمته لكتاب نفح الطيب بقوله : "إن ماريانا وأكابر المؤرخين الأسبانيين تحدوهم عاطفة بُغض قومي عميق . أو نزعة تعصب ديني . وقد أبدوا دائماً أبلغ الاحتقار لمؤلفات العرب وأهملوا المزايا التي تترتب على المقارنة بين الروايات النصرانية والإسلامية . وآثروا أن تكتب تواريخهم من جانب واحد وقد ترتب على هذا الروح الضيق الذي يطبع كتاباتهم أثر واضح . ذلك أن تاريخ أسبانيا في العصور الوسطى ما يزال معتركاً من الخرافة والمتناقضات" .

والأغرب من ذلك أن نجد عالماً أسبانياً من علماء العصر الحديث هو المستشرق سيمونيت يمجد العمل الهمجي الذي ارتكبه الكاردينال خمنيس مطران طليطلة بجمع الكتب العربية من المسلمين بعد سقوط غرناطة بقليل وقد بلغ عددها قرابة المائة ألف مجلد والاحتفال بإحراقها في ميادين غرناطة . وعلى الرغم من ذلك فقد استطاع عدد من المؤرخين ممن يحترمون الحقيقة العلمية وعبر جهد شاق في التنقيب والبحث العثور على عدد من المخطوطات العربية كانت قد تسربت من الأندلس إلى بعض مكتبات العالم الإسلامي وأوروبا . ولكن ذلك لم يكن كافياً لتغيير الفكرة الفاسدة التي تكونت لدى أجيال الغرب الذين اعتمدوا في

دراساتهم للحضارة الإسلامية في الأندلس على الرأي الأحادي الذي صاغه التعصب المقيت .

لقد امتازت حضارة المسلمين في الأندلس بعدد من الخصوصيات انفردت بها عن الحضارات الأخرى بدءاً من الحضارة السومرية مروراً بالآشورية والبابلية والفرعونية واليونانية والرومانية . هذه الخصوصيات تمثلت في :

أولاً : أن الحضارة الإسلامية في الأندلس لم تقم على عاتق فئة متميزة في المجتمع كما قامت الحضارات الأخرى . وإنما هي حضارة صنعها الإنسان على أرض الأندلس وهو الإنسان الذي نشأ أو عاش في ظل دين يدعو للعلم ويكرم العلماء ولا يفرق بين إنسان وآخر . وقد اختفى في ظل الحضارة الأندلسية رقيق الأرض الذي ظل موجوداً في ظل الحضارات السابقة والذي كان دمه وجهده وعرقه يتحول إلى مال يُصب في الخزائن الملكية أو خزائن الكهنة لتقام به النصب أو التماثيل لتمجيد ملك أو إمبراطور . وإنما كانت الحضارة الأندلسية حضارة من صنع الناس. كل الناس . الأدنى منهم والأعلى . وكانت الأموال تجمع بالعدل الصارم الذي يطبق على الجميع دون تفرقة والذي يوجه لبناء ما ينفع الناس كلهم وينشر العلم ويبسط الحماية ويوفر الترف والإبداع للجميع دون استثناء . وقد أمكن في ظل هذه الحضارة أن يصل الفلاح البسيط أو العامل المتواضع إلى أعلى المناصب في البلاط

ثانياً : أن الحضارة الإسلامية في الأندلس نمت وازدهرت في ظل المعارك المتواصلة والمستمرة سواء ضد بعض الجيوب النصرانية في الشمال الغربي أو بين ملوك الطوائف وبعضهم البعض أو ضد الثورات التي سادت البلاد خلال فترات الضعف . لقد قامت على قاعدة [**يد تبني ويد تحمل السلاح**] بينما كانت الحضارات الأخرى توقف كل شيء إذا نشب القتال وتتحول كل الإمكانيات المادية والبشرية إلى ميادين القتال . أما في الأندلس فلم تتوقف الحرب ولم يتوقف البناء . ويعجب الإنسان كيف تم بناء الزهراء والزاهرة ومئات المدن والصروح العملاقة في حضارة لم تضع السلاح يوماً واحداً .

ثالثاً : أن جامعات الأندلس فتحت أبوابها لكل الطلاب والطالبات من كل أوروبا ولم تجعل التعليم مقصوراً على أبناء النبلاء . بل كان بإمكان طالب العلم أن يجد المأوى والأستاذ ولم يُحرم طالب أياً كان دينه أو مذهبه أو موطنه من فرصته رغم أن معظم الحضارات كانت تعتبر التعليم حكراً على طبقة بعينها حتى لا يحرم الريف من الأيدي العاملة . وقد وضعت جامعات الأندلس قواعد في السلوك وفي التدرج العلمي مازالت معظم جامعات العالم العريقة تأخذ به حتى الآن وهو ما قد لا يعلمه الكثيرون . وسوف يعجب أبناء الغرب اليوم لو عرفوا أن آداب المائدة وآداب الحديث وضوابط اللبس والكلام وضوابط العلاقات بين الجنسين كلها أشياء كانت تدرس في جامعات الأندلس وعلى أيدي المسلمين . يضاف إلى ذلك أخلاق الفروسية العربية التي كانت الأساس الذي قامت عليه ظاهرة الفروسية في أوروبا وهي إحدى مفاخر القرون الوسطى كما يقول ول ديورانت في موسوعته قصة الحضارة .

رابعاً : التسامح الديني العظيم فقد عاش المسلمون والمسيحيون واليهود إخوة في بلد واحد كبير . بل إن كثيرين من اليهود والمسيحيين تقلدوا أعلى المناصب وساهموا بحظ وافر في الإبداع العلمي والفلسفي ولم يفرض على اليهود ارتداء لون معين أو شارة معينة كما حدث في إيطاليا وألمانيا وغيرهما ولم يتعرضوا هم والمسيحيون للسلب والنهب والاسترقاق الذي كانت تمارسه وبصفة مستمرة القبائل نصف الهمجية المنحدرة من الشمال أو حتى في عهد قيصر الذي كان يعتبر الأندلس بقرة روما الحلوب . ولنا أن نقدر عندما نتذكر حالة اليهود والمسيحيين في أسبانيا بعد سقوط غرناطة لماذا كانوا يبكون على انحسار المد الإسلامي كما قال بعض المؤرخين وخاصة عندما جاءت محكمة التفتيش وأعملت في المسيحيين الذبح والقتل والحرق وتمزيق الأشلاء لمجرد التعبير عن رأي مخالف إبان حركة الإصلاح الديني التي سادت وسحقت أسبانيا وأوروبا والتي لم يسلم منها أسقف أسبانيا نفسه الذي عومل بكل الرحمة والشفقة فاكتُفي بسجنه في جب سحيق بسجن محكمة التفتيش لمدة سبعة عشر عاماً ولم يخرج

منه إلا جثة هامدة . وسوف يقدر الإنسان دموع اليهود عندما صدر الأمر بنفيهم هم وزوجاتهم وذراريهم من أسبانيا فيما أطلق عليه تعبير الخروج الثاني وكيف ظلوا يسيرون على الأقدام آلاف الأميال وكيف أن بعضهم باع أبناءه ليحصل على ثمن مكان على مركب تحمله إلى الشرق الإسلامي فإذا نجح في ذلك قبضت عليه سفن المسيحيين وباعته رقيقاً ليلحق بأبنائه .

لقد كانت هذه كما قلت في البداية بعض الملامح أرجو أن تحقق ما أهدف إليه من التذكير بالتواجد العربي الإسلامي في البرتغال وأنا أعلم علم اليقين أن ما يتمتع به بعض العلماء الأجانب من علم وحيدة وموضوعية سوف يساعد على تفهم بعض الإشارات التي عرضت لها دون حساسية أو دون تعصب . فتاريخ تسعة قرون شيء كثير وكبير . وحضارة المسلمين في الأندلس لم تكن حضارة عادية . وإنما كانت مرحلة من مراحل المجد الإنساني يبكي عليها الإنسان العربي والإنسان الأوروبي على السواء بكاءه على انحسار مد مستنير علم أوروبا الكثير. وبكاءه على انطواء صفحة مشرقة من صفحات التاريخ ستظل على مر الزمن نموذجاً فذاً للإبداع الإنساني المتميز .

عبد الله بن خالد آل خليفة



سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها * وإذا
حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل * إن الله نعما يعظكم به
* إن الله كان سميعا بصيرا صدق الله العظيم.

القضاء في البحرين

العدل هو من أعظم الأسس الراسخة في ديننا الحنيف وقد تتابعت الآيات والنصوص في القرآن الكريم والسنة المشرفة تنير لنا الطريق وتهدينا إلى العدل وسواء السبيل . وكان الرسول الأعظم - صلاة الله وسلامه عليه - هو المشرع والمطبق لأحكام القرآن الكريم حتى اكتملت لنا هذه الشريعة السمحة، التي نزل بها القرآن وفسرتها لنا السنة المشرفة، وأحكام الرسول - صلى الله عليه وسلم - تطبيقاً لما أنزل الله في كتابه . ولقد كان الرسول الأعظم أول قاض حكم بالشريعة وطبقها في أحكامه وسار على نهجه الخلفاءُ الراشدون رضي الله عنهم أجمعين، وتطبيق العدالة بين الناس في ذلك الزمن شجع الملايين على دخول الإسلام ليسعدوا بالعدل والإنصاف في ظل أحكام الشريعة الإسلامية السمحة .

وبعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وتشابكت المصالح، كان ولي الأمر يفصل في أمور الناس مستعيناً بالعلماء من رجال الفقه والدين ذوي التقوى والسمعة الطيبة بين الناس وأهل المعرفة والإلمام بالعرف الذي تعارفت عليه الأمة والتقاليد والعادات التي لا تنبو عن العدل ولا تتعارض معه وكانت أحكامهم في القضايا الجنائية مبنية على تنفيذ الحدود التي جاءت في كتاب الله وفي القضايا المدنية مبدأ البينة على من ادعى واليمين على من أنكر .

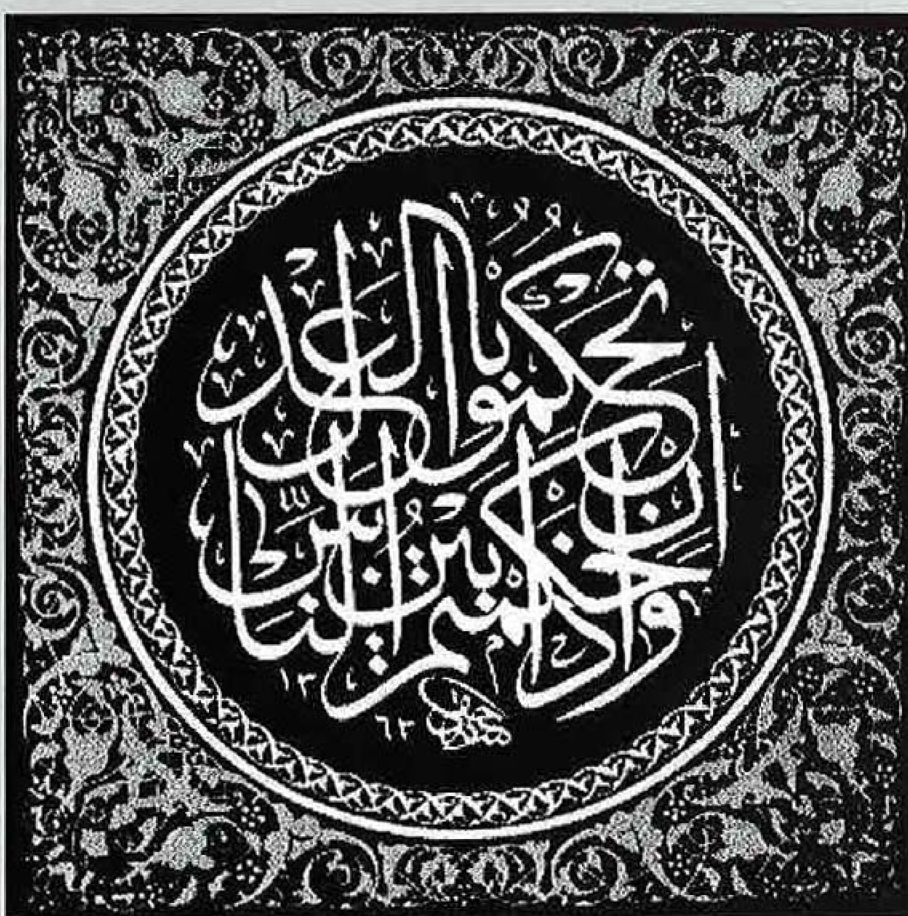
هـذا مـا كـان عليه الحال في البلاد الإسلامية منذ فجر الإسلام حتى العصر الحاضر الذي تغيرت فيه الحياة وأسست فيه المدارس والجامعات وانتشر التعليم وتغيرت مفاهيم الناس وشرعت القوانين وأسست المحاكم حسب متطلبات العصر الذي نعيش فيه تمشيا مـع مـا طـرأ عـلى العـالم مـن تقارب وتشابك في المعاملات التجارية والاجتماعية والنقل وجميع شئون الحياة .

أحببـت بهـذه المقدمة أن أقدم فكرة عما كان عليه الحال في البلاد الإسلامية والتي كانـت تطبق الشريعة الإسـلامية، والـبحرين هـي جزء من هذه الأمة سارت على نفس المـنوال في تطبـيق الشـريعة الإسلامية حسب فقه المذاهب الإسلامية السائدة فيها لاسيما وهـي البلد السباق إلى الإسلام والذي دخل الإسلام مختاراً ملبياً رسالة الرسول الأعظم - صلى الله علـيه وعـلى آلـه وسلم - وفي عهد الشيخ عيسى بن علي بن خليفة آل خليفة الـذي بـدأ في عام ١٢٨٦هـ الموافق ١٨٦٩م وحتى عام ١٣٤١هـ الموافق ١٩٢٣م. أي لمدة خمسة وخمسين سنة تولى القضاء في البحرين عدة قضاة وكان أهم وأشهر من تولى القضاء في البحرين هو الشيخ قاسم بن مهزع .

ونظام الأمن والقضاء في البحرين هو كما يلي :

كـان هـناك أمير في المنامة ويتبعه عدد من الحرس والنواطير وكانت كلمة الأمير في ذلك الوقت لا تـأخذ مدلولهـا في الوقت الحاضـر. والصـلاحيات المـنوطة بـالأمير هي صـلاحيات مـأمور الشرطة في مراكز الشرطة الحالية وله بعض من صلاحيات المحافظ . أما أمير البلاد فيها فيسمى الحاكم ويعرف (بالشيوخ) .

وللأمير في المـنامة مركز يجتمع فيه النواطير والحراس . وفي الليل يفرق النواطير في السوق للحراسة وعليهم رئيس يسمى رئيس النواطير أو الجاروخ يراقبهم في أثناء الحراسة ويفتش عليهم بين حين وآخر . وفي النهار يلتزم الأمير بتنفيذ الأوامر التي تصدر إليه من ديوان الحاكم أو من القاضي ويمسك المخالفين والمجرمين ويقدمهم إلى القاضي لمحاكمتهم والحكـم علـيهم ويـنفذ الأحكـام . ويضـم المقر الـذي فيه الأمير والحرس منزلا مخصصا للحـبس وفي اللـيل كـان هـناك خشـبة طويلة ومتينة مشروخة بالطول إلى قطعتين توضع إحداهمـا عـلى الأخـرى وفـيها فتحات توضع فيها أرجل السجناء، ثم توضع القطعتان عـلى بعضـهما الـبعض ملتصـقتين وتقفـل الخشـبة عـلى أرجـل السجناء طوال الليل وفي



الوثيقة ١٧.

الصباح تفتح الخشبة وخاصة في الصيف، لأنهم لا يستطيعون إبقاء السجناء داخل الحجر من شدة الحر فيخرجونهم في حوش المنزل وخشية أن يهربوا يضعون أرجلهم في الخشبة كما كان يوجد في المحرق أمير له نفس الصلاحيات التي لأمير المنامة .

الأميران يتلقيان أوامرهما من الشيوخ ومن القاضي . والأوامر تصدر من الشيوخ مباشرة إلى الأمير أو بواسطة رجال الشيوخ الخاصين ويتميزون بحمل السيف والخنجر من أمثال بن شريدة وحسن بن فلاح. وسعود بن مساعد وغيرهم. وممن تولى الإمارة في المحرق الماص عبد الشيخ عيسى بن علي وفهد بن جلال وعلي القمري ومحمد بن جبر بن علي آل خليفة .

وفي المنامة راشد بن محمد بن عيسى آل خليفة ومحمد بن جبر بن علي آل خليفة وجميع أفراد عائلة الخليفة كانوا في خدمة الحاكم يأتمرون بأمره ولبعضهم صلاحيات يخولهم بها الحاكم .

هذا الذي وصفته، هو جهاز الأمن . ويقوم بما يقوم به مراكز الأمن والشرطة التابعة لوزارة الداخلية في الوقت الحاضر .

يحضرني ممن تولوا القضاء في حكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة :

١ - الشيخ محمد بن راشد الحسيني (المالكي) قاضياً في المنامة .

٢ - الشيخ عبد الرحمن بن جعفر (المالكي) قاضياً في المنامة.

٣ - الشيخ عيسى بن راشد (المالكي) قاضياً في المحرق .

٤ - الشيخ قاسم بن مهزع (المالكي) قاضياً في المنامة .

٥ - الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف (المالكي) قاضياً في المنامة .

٦ - الشيخ شرف اليماني (الشافعي) قاضياً في المحرق .

٧ - الشيخ محمد علي (الجعفري) قاضياً في منطقة سترة .

٨ - الشيخ أحمد بن سلمان العصفور (الجعفري) قاضياً في منطقة الشاخورة .

٩ - الشيخ خلف العصفور (الجعفري) قاضياً في المنامة .

١٠ - الشيخ سلمان بن الشيخ أحمد سلمان العصفور (الجعفري) قاضياً في المنامة.

١١ - الشيخ أحمد بن عبد الرضا بن حرز (الجعفري) قاضياً في منطقة جد حفص .

١٢ - الشيخ عبد اللطيف بن عبد المحسن الصحاف (المالكي) قاضياً في المحرق .

١٣ - الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد المحسن الصحاف (المالكي) قاضياً في المحرق .

١٤ - السيد عدنان الجعفري قاضياً في المنامة .

هذا ما يحضرني من أسماء العلماء الذين تولوا القضاء في فترة حكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة والتي امتدت لمدة ٥٥ سنة ١٢٨٦ - ١٣٤١هـ ١٨٦٩ - ١٩٢٣م. وكانت القضايا التي تقدم للقضاء قليلة لقلة الناس وبساطتهم في حياتهم وقد درجوا على تعاليم الإسلام والعادات العربية يحلون مشاكلهم فيما بينهم، وقل أن تصل شكواهم إلى القاضي، وكان رؤساء العشائر ورؤساء القرى ورجال الدين وكبار السن يقومون بحل المشاكل بينهم قبل أن تصل إلى القاضي، ولا تصل إلى القاضي إلا القضايا الشائكة أو التي لم يجد وسطاء الخير حلاً لها .

من بين من ذكرت من العلماء الذين تولوا القضاء كان الشيخ قاسم المهزع أكثرهم شهرة وأطولهم مدة في تولي القضاء، وهو مشهور بالفطنة والذكاء، وكان مقر قضائه في المسجد الذي يصلي فيه أو في مجلسه سواء في المنامة أو عندما أضيف له قضاء المحرق . وكان يحكم بتنفيذ الحدود. فحكم بقطع يد السارق وكان يحكم بقتل القاتل . واشتهر بالعدل والسرعة في أحكامه . وقد طبقت شهرته الخليج بأسره . ويحضرني من أحكامه حسب رواية الناس أن امرأة أتته تشكو صديقتها بأنها سرقت (بناجريها) وهو مضعد من الذهب يلبس في اليد، ولما وقفت أمام القاضي هي وخصيمتها قالت يا شيخ هذه صديقتي وتدخل عليّ في بيتي وقد فقدت ذهبي ولم يدخل عليّ إلا هي، فصاح فيها الشيخ : تقولين لصديقتك هذه أنها سرقتك ؟ استغفري الله . هذه صديقتك ولم تسرقك ولكن أرادت أن تجعل لك قلباً وأن تحفظي حليك ولا تدعيها عرضة للسرقة وترميها في أي مكان . أرادت أن تحفظها لك حتى لا ترميها كل مرة في مكان، ماذا تقولين يا ابنتي قالت نعم يا شيخ أنا حفظتها لها لكيلا ترميها . لما وجدتها مرمية حتى غير هذه المرة

ما ترميها وتحافظ على حليها، قال بارك الله فيك يا ابنتي . اذهبي واتينا بها . فذهبت وأتت بالحلي المسروقة فسلمها الشيخ لصاحبتها وسألها : أهذه صيغتك ؟ قالت : نعم. ونـزل عـلى الأخرى يعنفها ويوبخها . وفي رأيي أنه بهذه الطريقة أعاد للمشتكية حليها ودرأ عـن الثانـية عقوبـة قطع اليد حيث أنه أصبح هناك شبهة والشبهة تفسر في صالح المتهم. وفي الحديث الشريف : "ادرأوا الحدود بالشبهات" ولكنه أنبها وأغلظ لها في الكلام .

مع أن الشيخ قد حكم بقطع يد سارق وحكم بالقصاص في قضية أخرى . فقد حدث أن وقعت حادثة في قرية جو بين قبيلة البورميح حيث ضرب أحدهم ابن عمه بـ (قدوم) على رأسه فقتله وتحزبت القبيلة ضد بعضها البعض فجاء أحدهم إلى والدي الشيخ خالد بـن علـي في الرفاع وهو يصلي صلاة العشاء فأخبره بالحادث فأمر الشيخ علي بن خليفة آل خليفة أن يذهـب إلى قـرية جـو ويـأتي بالقـاتل . وفعـلاً ذهـب إلى القـرية وهدأهـم واصطحب القـاتل معـه إلى الـرفاع وفي الصباح أرسل القاتل بحراسة إلى الشيخ بن مهزع وأخـبر سمـو الشيخ عيسـى بـن علـي بالحـادث فأمـر القاضي الشيخ قاسم أن يحكم في القضـية. فحكـم بتسليم القاتل إلى خصومه من قبيلته الذين يطالبون بدمه، وأن يخيروا بـين أن يقبلوا الديـة والعفو عنه أو قتله في قريبهم الذي قتله وأرسل الجميع إلى الشيخ خالد في الرفاع الذي أبلغهم بحكم الشيخ إن كانوا يقبلون الدية فرفضوا وطلبوا قتله فسلم إليهم فأخذوه من الرفاع إلى قرية جو وقتلوه في الطريق .

لقد كانـت الشـريعة الإسـلامية هـي السـائدة وتصـدر أحكـام القضاة بمقتضاها كل بموجـب مذهـبه، وتطـبق أحكامهـا وتنفذ . وحدث في عام ١٩٠٣م أن نشب شجار بين الشيخ علي بن أحمد آل خليفة وبين تاجر ألماني يتاجر في المحار (الفلقة) وله عمارة في السـوق يجمع ما يشتريه من المحار فيها ولديه عمال ينظفون المحار ويعبئونه في أكياس ويصـدره إلى ألمانـيا . واشـتكى الألمـاني بـأن الشيخ علـي قـد اعـتدى عليه وعلى عماله بالضـرب واسـتغل الإنجلـيز تلـك القضـية وأتـى رئـيس الخليج المستر برسي كوكس من أبوشـهر إلى البحرين مصطحباً بارجتين حربيتين وأجبر الشيخ عيسى بن علي آل خليفة عـلى توقـيع معـاهدة بمقتضاها يكون لدار الاعتماد البريطانية في البحرين سلطة محاكمة جميع الأجانـب المقيمين في الـبحرين . وأنشـئت لهـم محكمـة خاصة في بيت الباليوز

وفقدت السلطة القضائية حقها في ممارسة القضاء بين الأجانب في البحرين، وأصبحت في البحرين محكمة أجنبية تحاكم الأجانب المقيمين في البحرين ومحكمة شرعية وطنية تحاكم المواطنين البحرينيين وما كان يرسل إلى القاضي الشيخ قاسم من قضايا تخص الأجانب هي القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية، وبعد أن يصدر الشيخ حكمه في القضية تعاد إلى محكمة بيت الدولة كما كانوا يسمونها في ذلك الوقت لتأمر بتنفيذ الحكم .

واستمر الحال على هذا المنوال حتى انتهت الحرب العالمية الأولى بانتصار بريطانيا وحلفائها وأصبحت بريطانيا سيدة العالم وأصبح علمها لا تغيب عنه الشمس يرفرف على بلدان تحكمها تشمل سائر أرجاء الدنيا . وأخذت تطبق خططها وتتحكم في جميع البلدان الخاضعة لها . وعمل صغار الضباط كوكلاء لها في تلك البلدان . وكان نصيب البحرين أن عينت بريطانيا في شهر نوفمبر عام ١٩١٩م ميجر هارولد ريجر باتريك ديكسون كوكيل سياسي معتمد لها في البحرين وبقي سنة وضع فيها خريطة لأرض واسعة في القضيبية وجعل عليها حراسة وكل من داس على هذه الأرض يدفع غرامة متعللاً بأن هذه الأرض ستكون مطاراً وقد بقي سنة ثم نقل في آخر نوفمبر ١٩٢٠م - وبعضهم يظن أن هذا الإجراء كان اختباراً لردة الفعل في البحرين ولكن أهل البحرين لم يحدث منهم ردة فعل . وفي شهر يناير سنة ١٩٢١م الموافق ١٨ ربيع الثاني ١٣٣٩هـ عين خلفاً له الميجر كليف كيرك بتريك ديلي وكان يتكلم العربية بطلاقة . وفي أول مجيئه إلى البحرين قال عنه الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين أن هذا البليوز من خيرة الرجال الذين عينوا في البحرين يتكلم العربية بطلاقة، وأملوا فيه خيراً

وفي خلال ستة أشهر من تعيين الميجر ديلي رفعت إليه رسائل التأييد والمدح والإطراء من قبل الموقعين على تلك الرسائل .

ولست أدري السبب وراء هذه العرائض ! أكان بطلب منه وتوجيه ؟ أم، ماذا عمل في خلال الستة أشهر التي وصل فيها إلى البحرين حتى يستحق كل هذا المديح والإطراء !؟

استمر ديلي بالاتصال بجميع طبقات الشعب، ودرس حالاتهم الاجتماعية والمذهبية وخاصة أن جميع الأجانب كانواخاضعين لسلطة بيت الدولة، وأول عمل قام به أن

تدخل في البلدية وعين عليها رئيساً هو محمد شريف، وحل جهاز الأمن الذي يرأسه أمير المنامة أو أمير المحرق وتولى هو الأمن وخول صلاحيات واسعة لرئيس البلدية الإيراني محمد شريف، وعين تحت رئاسة محمد شريف حراساً إيرانيين وبعد مرور سنتين وخمسة أشهر على وجود الميجور ديلي في البحرين في شهر مايو ١٩٢٣م، نشبت فتنة بين النجادة والإيرانيين .

واتسعت الفتنة وقال الميجور ديلي أن الحكومة الوطنية لا تستطيع إخماد الفتنة، وفي نفس الوقت أعلن أن الأجانب يخضعون لبيت الدولة وحذر من إصابتهم بأضرار، واستغل ديلي هذه الفتنة واستدعى المقيم السياسي في الخليج وجاء الكولونيل نوكس تصحبه بارجتان وهدد البحرين بأن يتنازل الشيخ عيسى لابنه وولي عهده عن الحكم فأبى الشيخ عيسى ذلك . وأخيراً تم الاتفاق على أن يكون الشيخ حمد نائباً عن والده . وهكذا بسبب هذه الفتنة تمكن الميجور ديلي (الباليوز) من أن يتدخل في الشئون الداخلية علناً ونفذ الإجراءات التي يراها، فاستولى على الجمارك وعين فيها شخصاً إنجليزياً يدعى دكر ينير وأسس قوة للشرطة مؤلفة من ١٠٠ شرطي من البلوش عين عليهم ضابط شرطة إنجليزيا .

وتدخل في القضاء . ويذكر لنا الأستاذ أمين الريحاني في كتابه ملوك العرب وقد زار البحرين في تلك الفترة قوله : سألت عن شكل الحكومة عندما كنت هناك فعلمت قبل حوادث شهر مايو ١٩٢٣ أنها ثلاثة أشكال، وطنية، وأجنبية، ومختلطة، وكان سمو الشيخ عيسى يومئذ يدير الأولى والباليوز يدير الثانية ورئيس البلدية العجمي صاحب الكلمة النافذة في الثالثة . وقد أنشأت هذه الحكومة المثلثة الزوايا أربعة أنواع من المحاكم : **الأهلية** - أي الشرعية - وهي التي تنظر وحدها في دعاوى المواطنين، **والأجنبية**، أي بيت الباليوز وهي تنظر وحدها في دعاوى الأجانب كلهم، **والمختلطة**، أي التي كان رئيس البلدية يومئذ عضواً فيها للنظر في الدعاوى بين الوطنيين والأجانب، ثم **محكمة الغوص**، ولها قانون خاص يتساوى أمامه الأجانب والوطنيون .

وبعد تولي الشيخ حمد المسئولية نيابة عن والده وعزل محمد شريف عن رئاسة البلدية، أصبحت المحكمة مزدوجة يحضرها الشيخ حمد والباليوز المستر ديلي، وتعرض عليها القضايا وتحكم في القضايا الجنائية المتهم فيها الوطنيون . أما القضايا المدنية،

فتحكم فيها مباشرة أو تحيلها إلى القاضي الشرعي الشيخ قاسم أو مجلس التجارة أو مجلس الغوص . وتتولى الأمر بتنفيذ الأحكام . وبعد فترة عين الشيخ محمد بن راشد آل خليفة قاضياً في المحكمة مساعداً للشيخ حمد واستمرت هذه المحكمة حوالي ثلاث سنوات .

وفي شهر أبريل سنة ١٩٢٦م وصل إلى البحرين المستر بلجريف الذي عين مستشاراً للشيخ حمد .

يقول المستشار في كتابه : كانت الوظيفة الأولى التي أوكل لي الشيخ حمد القيام بها ، هي منصب القاضي في محكمة البحرين (حديثة التكوين آنذاك) حيث كانت لدي خبرة سابقة بعمل المحاكم في مصر وتنجنيقا ، فضلاً عن اجتيازي امتحانين في القانون أثناء خدمتي العسكرية .

تسلمت عملي في المحكمة . فوجدت أن البحرين لم تكن فيها قوانين مكتوبة ، بل كانت الأحكام تعتمد على الحدس والفطرة السليمة . كانت أحكاماً تتسم بالتسرع . لا تصلح إلا لتسيير الأمور البسيطة ويتبين لنا من ذلك أن المستشار لا يعلم شيئاً عن الشريعة الإسلامية التي كانت مطبقة .

وبتعيين المستشار في المحكمة ومعه الشيخ محمد بن راشد آل خليفة ، توقف ديلي عن حضور المحكمة وأصبحت محكمة وطنية لأن المستشار موظف لدى حاكم البحرين .

ويقول المستشار في كتابه أن المحكمة كان مقرها في إحدى غرف البيت القديم الذي سكنت فيه في أول مجيئنا إلى البحرين (غرفة صغيرة مظلمة ومغبرة) .

ويقول ثم بعد برهة قصيرة تم تعيين الشيخ سلمان بن حمد رئيساً للمحكمة وأسند إلى الشيخ محمد بن راشد رئاسة الأوقاف السنية .

وفي اليوم الرابع من شهر أغسطس ١٩٢٦ حدثت حادثة القلعة وجرح فيها ميجور ديلي وقتل اثنان من ضباط الشرطة الهنود على يد أحد الجنود البلوش المسمى إسماعيل . وغادر الميجور ديلي البحرين في شهر سبتمبر ١٩٢٦ .

وبرحيل المستر ديلي تنفست البحرين الصعداء . وقد ودعه الشيخ قاسم المهزع بالكلمات التالية : "يا ديلي إنك قد عملت في البحرين أعمالاً تسيء إلى دولتك . وإن

الناس هنا متذمرون منك غاية التذمر وقد سمعت أن الدولة ستنقلك وتعين معتمداً آخر غيرك" نقلاً عن كتاب القاضي الرئيس قاسم المهزع تأليف الأستاذ مبارك بن خاطر .

أما المستشار فيقول : القليل من البحرينيين والعرب جاءوا لتوديع ديلي حيث أن الشعور بالعرفان صفة نادرة بينهم، وهم ماديون وكثيرو السخرية وإعابة الآخرين وهم لا يحتملون تطبيق النظام ويعارضون أي شيء يحد من حريتهم الفردية حتى ولو كان ذلك لمصلحتهم وأن ديلي له الفضل في الإصلاحات والتعديلات في الغوص .

يجب أن نعرف أن البحرين بعد الحرب العالمية الثانية كانت بها نهضة إصلاحية بدأت بإنشاء المدارس والبلديات . ويقول الأستاذ أمين الريحاني في كتابه (ملوك العرب) : "طلب أهل البحرين في السنين الأخيرة ثلاثة مطالب من الحكومة كلها ولاشك عادلة فوقفت السياسة البريطانية تصدهم وتقاوم مسعاهم . طلبوا تشكيل جمعية تشريعية فأجاب الشيخ عيسى بالايجاب، وأبى البليوز. طلبوا تنظيم بوليس وطني فرضي الشيخ عيسى ورفض البليوز. قدموا لائحة إصلاحات استحسنها الشيخ عيسى وعزم على تنفيذها فقامت عليه وعلى الوطنيين قيامة الوكيل وبذل ما لديه من قوة لإحباطها .

الحقيقة أن هذه الفترة من تاريخ البحرين يجب أن تعاد كتابتها . صحيح أن الميجور ديلي قام بإصلاحات، ولكنها الإصلاحات التي يريدها الاستعمار وليست الإصلاحات التي يريدها أهل البحرين . والإصلاحات التي قدمها. ما هي نتائجها في الخمس السنوات التي طبقت فيها . في الخمس السنوات الأولى كانت البحرين تعيش في دوامة من الرعب والأحداث وعدم الاستقرار وزادتها كارثة الطبيعة التي حدثت في تلك الفترة سوءاً، ثم توجت بأن وقع الاعتداء على الميجور ديلي نفسه . وفي ١٣ أكتوبر من نفس السنة تعرض حاكم البحرين الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة للاعتداء عليه ولكن الله حفظه .

ولا أريد أن أسهب في هذا الموضوع، ولكنها فترة مهمة من تاريخ البحرين أردت أن أوجه إليها أنظار المؤرخين ليكتبوا عنها بإنصاف .

وبعد رحيل الميجور ديلي عن البلاد، عينت الحكومة البريطانية خلفاً له الميجور (سي.سي.ج. برت) وقام بتهدئة الناس وإصلاح الكثير مما قام به ديلي من إساءات إلى

الناس والمجتمع ، واستبدل بشدة ديلي في معالجة الأمور الروية والهدوء ، ولم يغير من الدوائر والإجراءات التي قام بها الميجور ديلي ولكنه بدأ بتنفيذ الخطة الجديدة، وهي أن يبتعد المعتمد عن التدخل في الأمور الداخلية مباشرة ويترك تنفيذ وجهة النظر البريطانية للمستشار الذي يقوم بالتشاور مع دار الاعتماد فيما يقوم به من أعمال وإجراءات داخلية تتخذ وتنفذ باسم حكومة البحرين ونظراً لكثرة القضايا التي كانت تنظر في المحاكم، سواء محكمة البحرين أو محكمة بيت الدولة، وإحالة الكثير من هذه القضايا إلى الشيخ قاسم المهزع، وقد كبرت سنه وضعف بصره فقد قرر الشيخ حمد تعيين مساعد له في القضاء، فاجتمع الشيخ حمد في مجلسه بالمحرق مع وجهاء الناس وقال لهم أن الشيخ قاسم بن مهزع قد شاخ وكف بصره ووهنت قوته، وأن أهل البلاد قد تشعبت قضاياهم وكثرت، ولا يستطيع الشيخ تحملها كلها لذا يجب تعيين قاض مساعد له . وقد وافق الحضور على رأي الشيخ حمد، وتقرر تعيين الثلاثة القضاة المعروفين بالعباد.له الشيخ عبد اللطيف بن محمد بن سعد السعد من علماء المنامة والشيخ عبد اللطيف المحمود من علماء الحد، والشيخ عبد اللطيف بن علي الجودر من علماء المحرق، وتم تعيينهم بموجب كتاب الشيخ حمد رقم (١٠٧٢/٢٥) سنة ١٣٤٥ المؤرخ ٢١ ذو القعدة ١٣٤٥هـ الموافق ١٩٢٧ .

وفي سنة ١٩٢٧ - ١٩٢٨ بلغت واردات رسوم المحاكم ١٢،٦٥٠ روبية والمصاريف ٢٢٤٨٨ وتألفت المحاكم في تلك السنة من :

محكمة البحرين - الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة

والمستشار سير تشارلز بلجريف

المحكمة الصغرى نائب المستشار وأمير المنامة

وعلى ما أعتقد فإن الأمير كان هو الشيخ راشد بن محمد بن عيسى آل خليفة

المحكمة الشرعية السنية

المحكمة الجعفرية

مجلس التجارة ويتألف من ٢٤ عضواً من التجار .

محكمة الغوص تعقد جلساتها ٤ أشهر في السنة بعضوية أربعة أعضاء ويرأسها شيخ من الأسرة .

١٩٢٨ - ١٩٢٩م

في هذه السنة تقرر أن يكون عدد الأعضاء في مجلس التجارة ٢٠ عضواً من التجار الوطنيين والأجانب ويرأسه الشيخ حمود بن صباح آل خليفة .

وشكلت محكمة الغوص من أربعة أشخاص بارزين في تجارة اللؤلؤ وهم خان صاحب عبد الرحمن بن محمد الزياني والحاج علي بن صقر الجلاهمة والحاج عبد علي بن رجب والحاج خليفة بوغيث . وكان وضع المحاكم مستمراً على نفس ما ذكر ولا يوجد نظام لاستئناف الأحكام . ومن كان يتظلم من حكم قاض يرفع تظلمه برسالة لصاحب العظمة الشيخ حمد . وفي عام ١٩٣٢ أدخل نظام الاستئناف من المحاكم الصغرى إلى محكمة البحرين . وأخيراً إلى عظمة الحاكم الشيخ حمد وبلغ عدد القضايا المستأنفة ١٢ قضية .

١٩٣٤ - ١٩٣٥

ترك الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة العمل بالمحاكم ونقل الشيخ عبد الله بن حمد آل خليفة الذي كان قاضياً في المحكمة الصغرى إلى محكمة البحرين .

وعين الشيخ خليفة بن محمد بن عيسى آل خليفة الذي درس في جامعة بيروت ويتقن الإنجليزية قاضياً في المحكمة الصغرى ورفع سقف القضايا التي ترفع إلى المحاكم الصغرى من ٢٠٠ روبية إلى ٥٠٠ روبية للقضايا التي ستعرض على المحكمة الصغرى .

وإذا أردنا أن نلخص الأدوار التي مر بها جهاز القضاء في البحرين نقول :

"إنه في عهد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة كانت السلطة القضائية تتمثل في الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين والشيخ قاسم المهزع .

وفي أول عهد الشيخ حمد عندما كان نائباً عن والده كانت السلطة القضائية تتمثل في الشيخ حمد والميجور ديلي باليوز الدولة البريطانية في البحرين .

ثم أنيطت بالشيخ سلمان بن حمد آل خليفة والمستشار تشارلز بلجريف، ثم أنيطت بالشيخ عبد الله بن حمد آل خليفة والمستشار بلجريف، ثم أنيطت بالشيخ دعيج بن حمد آل خليفة والسير تشارلز بلجريف . وفي رئاسة الشيخ دعيج للمحاكم، أدخلت كثير من التحسينات . وبعد وفاة الشيخ دعيج أسندت رئاسة المحاكم إلى الشيخ خالد بن محمد آل خليفة . وقد استمرت التحسينات التي أدخلت على المحاكم وتطورها .

ويقول الشيخ خالد بن محمد آل خليفة – رحمه الله – في تقرير كتبه عن المحاكم :

أصدر صاحب السمو الحاكم في يناير ١٩٧٠م المراسيم الأميرية عن إعادة تشكيل الدوائر الحكومية . وأمر الفصل الأول في فقرة ٨ للمرسوم المرقم ٢ بإنشاء وزارة العدل بضم ثلاث دوائر سابقة، أي المحاكم القانونية ومديرية الأموال القاصرين ومديرية تسجيل العقارات . وتابعت إعادة التنظيم هذه الإجراءات التي كانت تتابعها البلدان العربية في انضمام كل من المحاكم القانونية وتسجيل العقارات ودائرة القاصرين أو اليتامى كأقسام من وزارة العدل .

وعلى الرغم من أن وزارة العدل لم تقطع إلا سنتها الأولى، فإنها ساهمت في الإصلاحات الإدارية التي دونها مجلس الدولة تحت إشراف صاحب السمو الأمير . وإضافة إلى مهامها الرئيسية شاركت دائرة العدل في أنشطة مجلس التخطيط والتنسيق الذي يتكون من رؤساء بعض الدوائر أو ممثليهم . وكان وزير العدل عضواً في هذا المجلس، وكذلك يمثلها مدير المحاكم القانونية أيضاً بعضويته في اللجنة القانونية في مجلس الدولة . والتعاون الوثيق القائم بين وزارة العدل ودائرة الأمن العام أدى إلى نتائج جيدة من حيث إيجاد حلول لعدة مشاكل وإدارة عدل ناجحة والاحتفاظ بحقوق عامة الناس وكرامتهم .

المحاكم القانونية في البحرين

تعتبر المحاكم القانونية البحرينية من أقدم الدوائر الرسمية في تنظيم دولة البحرين سابقاً . والمحاكم القانونية الوطنية في تنظيماتها الحديثة شُكلت في الثلاثينات من هذا القرن . والذين تابعوا تطورها المستمر يعجبون بمدى التحسينات التي شهدتها هذه المحاكم منذ تأسيسها . والمجهود الشخصي لرئيس المحاكم الراحل، سعادة الشيخ دعيج بن حمد آل خليفة، فقد كان العنصر الأساسي في إدخال بعض الإصلاحات الرئيسية الهامة في نظام العدل في إطار الإمكانات المتاحة في السنوات الماضية . وعلى سبيل المثال تأسيس المحاكم التنفيذية . والمعروف أن الأحكام الصادرة من المحاكم في البلدان العربية تنفذ من قِبل السلطات العامة . وتميل إجراءات القانون المدني الحديث إلى تفويض المحاكم الخاصة مسئولية تنفيذ الأحكام . وهذا ما تبنته البحرين منذ زمن طويل .

وفي كل ما أحرزناه حتى الآن يجب ألا نكون غافلين عن الأساليب الحديثة التي قد تساعد في إدارة العدل وإصدار الأحكام القضائية عن حقوق عامة الناس دون مماطلة .

اختصاص المحاكم ودرجاتها

ومنذ تأسيس المحاكم الوطنية تم تقسيمها إلى خمس درجات متخصصة . وهي المدنية، والجنائية، والشرعية، والتجارية والغوص (محكمة واحدة فحسب) والتنفيذية . وهي مقسمة إلى الابتدائية والاستئنافية كالآتي :

١ - المحاكم المدنية :

لها اختصاص بشأن الجميع سواء كانوا أشخاصاً طبيعيين أو قانونيين بمن فيهم الحكومة، وكما يقول فقيه إنجليزي : "إننا لا نعرف ولا نريد أن نعرف العدل الإداري"

كـي يكـون أمامـنا قانون موحد في الدولة ونطبق مبدأ المساواة الذي يعتبر كل رجل مساوٍ أمام القانون . وتقضي المحاكم المدنية في الشئون المدنية طبقاً للقوانين الصادرة والأعراف والإنصـاف الطبـيعي ، وتـنقل القضايا ذات الصبغة الدينية إلى المحاكم الشرعية ومجلس التجارة والغوص . وتناقش المحاكم المدنية وتقضي بسرعة في الالتماسات المقدمة لها من جانـب الأطراف المعنية في القضايا المدنية أو التجارية لاتخاذ خطوات عاجلة مثل حجز جواز السفر، أو مصادرة العقار أو الأموال، أو التدابير الوقائية الأخرى دون الفصل فيها ومن حيث دائرة الاختصاص تم تقسيم المحاكم إلى الدرجات التالية :

(أ)المحاكم المدنية الصغرى :

لديهـا اختصـاص في كافـة الأمور المدنية حين لا يزيد ثمن الدعوى عن ٤٠٠ ديـنار وكذلـك الأراضـي والإيجـارات والتقاسيم داخل حدود الاختصاص وأيضاً الدعاوى ذات القيمة غـير المحـدودة . وعـلى المحـاكم المدنـية الصغرى أن تحول الدعاوى التي تتجاوز قيمتها حدود الاختصاص للمحاكم الكبرى

(ب) المحاكم المدنية الكبرى :

لهـا اختصـاص في كافـة الأمـور المدنـية حين تزيد قيمتها عن ٤٠٠ دينار . وكذلك الأراضـي والإيجارات التي تقع خارج نطاق المحاكم الصغرى . وكذلك لها اختصاص في الدعـاوي الـتي تحددهـا قوانـين خاصـة مـثل قانون عمال البحرين لعام ١٩٥٧م وقانون تعويضات المستخدمين لعام ١٩٥٧م .

٢ - المحاكم الجنائية :

المحـاكم الجنائية لها اختصاص على المتهمين الذين يرتكبون الجرائم التي تجلب عقوبة الحبس أو الغرامـة أو الإعـدام . ومن حيث الاختصاص تم تقسيمها كالآتي :

(أ) المحكمة الجنائية الصغرى : تحاكم :

(١) أيـة جـريمة تجلب عقوبة حبس لا تزيد مدته عن ٥ سنوات أو غرامة لا تزيد عن ٥٠٠ دينار أو الاثنتين

(٢) المخالفات لقانون المرور لعام ١٩٥٥م

(ب) المحكمة الجنائية الكبرى : وتحاكم :

(١) ان كانت مكونة من ٣ أعضاء أو أكثر، أية جريمة تجلب عقوبة طبقاً للقانون .

(٢) ان كانت مكونة من أقل من ٣ أعضاء، أية جريمة تجلب عقوبة حبس لا تزيد مدته عن ١٤ سنة أو الغرامة التي لا يزيد قدرها على ١٥٠٠ دينار أو الاثنتين .

٣ - المحاكم الشرعية :

تسمع الإفادات بشأن الدعوى التي يتم تحويلها لها بخصوص الشئون الشخصية مثل المهر والزواج والطلاق والنفقة والولاية والوصية والإرث وفقاً للفقه الإسلامي حسب التقاليد السنية والشيعية . وتهتم المحكمة بموافقة ومصادقة الوثائق الرسمية مثل الوكالة والهبة الخ

٤ - مجلس التجارة والغوص :

مجلس التجارة والغوص تنظيم قضائي تحول له القضايا الآتية :

(ا) شئون الغوص واللؤلؤ

(ب) أية قضية بين تاجرين إذا طلب واحد منهما أو الاثنان تحويلها للمجلس .

ويطبق المجلس الأعراف المعمول بها لحل النزاع .

٥ - محاكم التنفيذ :

تنفذ محاكم التنفيذ الأحكام الصادرة من المحاكم المدنية وتتخذ كافة الخطوات اللازمة بشأن المدفوعات بالأقساط أو الاسترداد أو الاعتقال بعد السماع إلى كل من المشتكي والمدعى عليه . وتحاول تسوية الطالب نظراً لحقوق المشتكي وتسهيل أمر التسديد للمدعى عليه .

المحاكم الثانوية

يمثل الاستئناف الدرجة الثانية في القضاء وفيما يلي درجات المحاكم الاستئنافية :

١ - محكمة الاستئناف العليا :

تسمع لاستئناف الأحكام الصادرة من المحاكم المدنية الكبرى أو المحاكم الجنائية الكبرى .

٢ - محكمة الاستئناف الصغرى :

تسمع لاستئناف الأحكام الصادرة من المحاكم الصغرى والمحاكم التنفيذية والمحاكم الجنائية الصغرى بما فيها المخالفات المرورية .

٣ - المحاكم الشرعية الاستئنافية :

تعالج استئناف الأحكام الصادرة من المحاكم الشرعية .

٤ - مجلس التجارة والغوص :

يجتمع كلٌ من مجلس التجارة ومجلس الغوص ليشكلا مجلس استئناف موحد للنظر في قرارات أي واحد منهما .

إنجازات

لقد تم إحراز إنجازات كثيرة في تطوير المحاكم البحرينية القانونية مثل تقسيمها وتحديد وتوزيع مهامها . كما تم تقسيم الدائرة إلى ١١ فرعاً وعلى رأس كل فرع مشرف، وهو مسئول أمام المسجل، والمسجل مسئول أمام المدير الذي بدوره مسئول أمام رئيس دائرة العدل . وطبقاً لهذا النظام أنشيء فرعان جديدان تحت مراقبة خريجي كلية الحقوق وهما : (١) مكتب قانوني - لتوزيع الدعاوى المدنية والجنائية بين المحاكم المختلفة حسب اختصاصاتها، وإعداد التقارير الدورية عن سير الدعاوى في المحاكم

المختلفة . و(٢) مكتب تنفيذي - لتنظيم وتوزيع ومراقبة الإجراءات في تسوية القضايا . ونجح المكتب في إيجاد حلول لكثير من المشاكل . ويعمل الآن لإيجاد نظام حديث لتسهيل عملية التنفيذ .

وفي ١٦ مارس ١٩٧٠م صدر أمر من سعادة رئيس مجلس الدولة طبقاً لأمر من صاحب السمو بتعيين ثلاثة قضاة من حملة بكالوريوس في القانون - وهم كل من الشيخ علي بن خليفة بن محمد، والسيد محمد صالح الشيخ عبد الله والسيد صقر محمد الزياني . وبتعيين القاضيين محمد صالح وصقر الزياني وهما من المحامين ذوى المؤهلات القانونية قفزت المحاكم إلى الأمام باختيار أجود المحامين لتعيينهم كقضاة كنظام أفضل لأنهم اكتسبوا الخبرة والدراية في القضايا المعقدة .

وفي ١٥ إبريل ١٩٧٠م صدر مرسوم بإنشاء محكمة استئناف صغرى مكونة من قضاة المحاكم الكبرى على أن تعقد جلساتها يوم الثلاثاء . وكان عليها أن تعتمد على موجز القضايا وادعاءات الأطراف المعنية بها .

وصدر أمر رسمي رقم ٧ في ٣٠ أبريل من رئيس مجلس الدولة بتعيين الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة مديراً للمحاكم البحرينية القانونية . وهو أحد القضاة الذين انضموا إلى المحاكم القانونية في ١٩٦٣م بعد التخرج في كلية الحقوق جامعة القاهرة .

وعقدت محكمة الاستئناف العليا جلساتها منذ تأسيسها خارج مبنى المحاكم القانونية . غير أن غرفة واحدة حجزت فيها كمساعدة للأطراف المعنية . وتعقد الجلسات في يومي الثلاثاء والخميس . وتصدر محكمة الاستئناف العليا قراراتها اعتماداً على الملخصات المستلمة من الأطراف المعنية وتعيدها إلى المحكمة التي استؤنف حكمها مع قرارها في الأمر لتعلنه للأطراف المعنية .

ومن أجل توفير التسهيلات لأطراف القضية ألغيت الحروف التي تميز المحاكم المختلفة واستبدلت بها الأرقام مثل المحكمة الصغرى (٣) بدلاً من المحكمة الصغرى (ج).

وساعد التعاون الوثيق بين وزارة العدل ودائرة الأمن على إيجاد حلول مقبولة لمشكلتين هما :

١ - الجرائم التافهة خرقاً للائحة المرور، مثلما ذكر في فصل (٦٩) الذي يتعلق بوقوف السيارات في الأماكن الممنوعة وترفع إدارة المرور الدعوى بشأن خرقه أمام المحكمة الصغرى رقم ٤ ويعود نصف القضايا التي تعالجها هذه المحكمة إلى المخالفات المرورية . وبعد دراسة مستفيضة للمشكلة تم الاتفاق على :

(ا) أنه على سلطات المرور توجيه إنذار شفهي للمخطئ لأول مرة، ومن ثم كتابياً وتقديمه للمحكمة في المرة الثالثة .

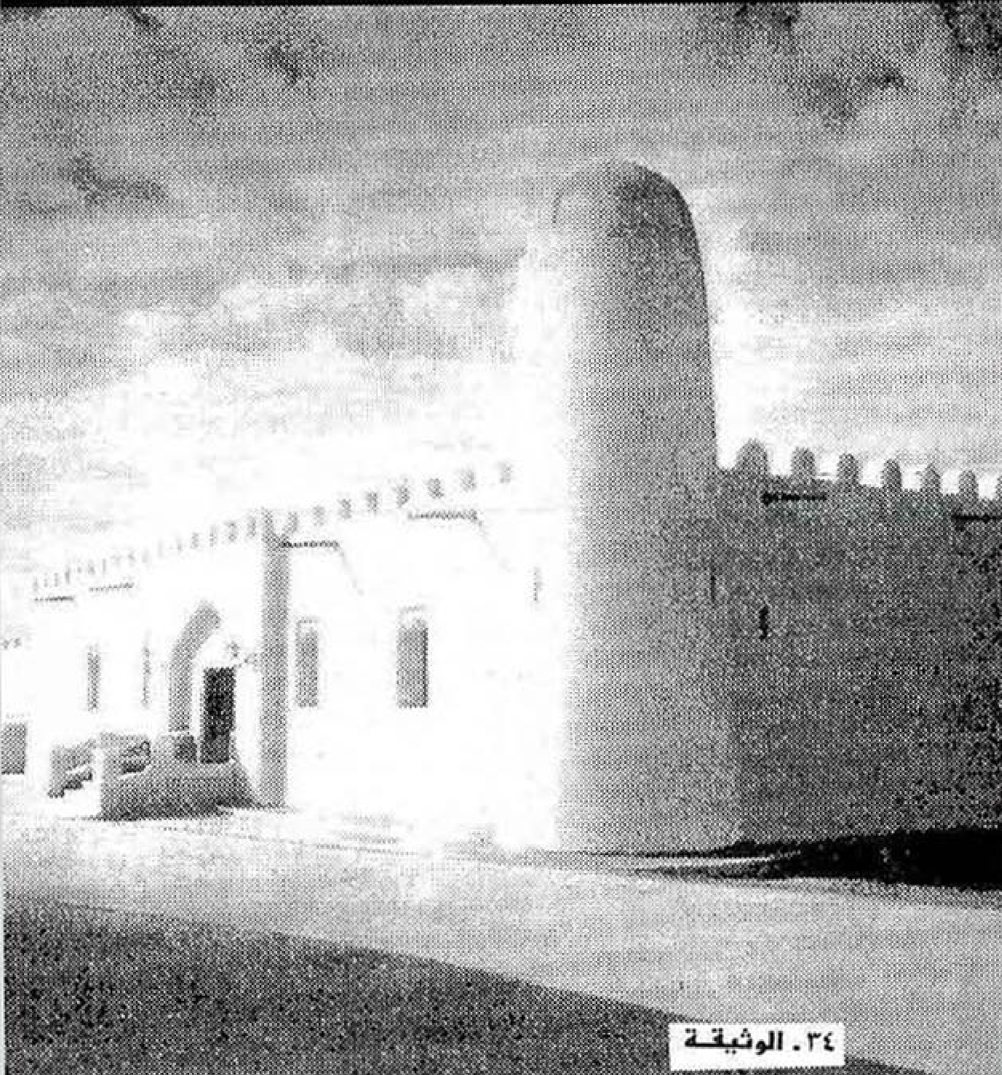
(ب) ويسمح فصل ٨٧ من قانون العقوبات للمحكمة أن تعقد جلستها دون حضور المجرم إذا أقر المجرم بالذنب كتابياً .

(ج) قامت المحاكم القانونية بطبع استمارات خاصة معنونة : (وزارة العدل - المحاكم البحرينية القانونية - لتوقيع المذنب) ويجب أن تتسع الاستمارات لكتابة الاعتراف من المذنب والغرامة المحددة للمخالفة . وبعد استلام مبلغ الغرامة ترفع سلطات المرور الاستمارة للقاضي للمصادقة عليها دون حضور المذنب . وفي حالة إنكار المذنب على المرور أن يتبع الإجراءات العادية ويرفع قضية أمام المحكمة .

٢ - يسهل الأمر إذا راجع قاض خاص كافة مطالب ضباط الشرطة للحبس الاحتياطي بعد مضي ٤٨ ساعة المسموح بها قانونياً . وبعد دراسة الموضوع وضعت لوائح خاصة وتم تطبيقها منذ أغسطس ١٩٧٠م لتغطية الحبس إن كانت قضيته موقوفة لم تحسم بعد، حسب نوع الجريمة المرتكبة . وتوجد صورة لهذه اللوائح في كل مركز للشرطة للتأكد من أن الحبس يطابق اللوائح .

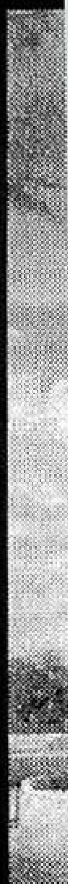
وفي بداية العام وقبل تأسيس اللجنة القانونية في مجلس الدولة لتدوين مشروع القانون. كان مكتب مستشار العدل في المحاكم القانونية يقوم بوضع القوانين . والقوانين التي تم تدوينها في هذا المكتب في ١٩٧٠م هي : قانون الأخطاء المدنية (طبع بشكل كتيب) وقانون الشرطة الخاصة وقانون الآثار القديمة .

نظرة في أهمية الخليج



العربي بالعصور القديمة

بقلم الدكتور سامي سعيد الأحمد



رغم أهمية منطقة الخليج العربي عبر التاريخ، فليست هناك معلومات كافية عن أحواله بالعصور القديمة . وحتى تسلسل مراحل تاريخه وحضارته لتلك الفترات لم توضع إلا مؤخراً ولا يزال غير ثابت بعد وعرضة للتعديل وحتى التبديل حسب ما تقدمه المكتشفات الأثرية من أدلة .

وقد أدركت حكومات المنطقة هذه الناحية وتوليها الآن الاهتمام البالغ لحرصها على إماطة اللثام عن ماضي المنطقة السحيق بالحفريات والأسبار والدراسات المكثفة والتراجم . لقد أدرك القدامى أهمية منطقة الخليج العربي وقدموا معلومات عدة عنها . واعتبرت منطقة القطر البحري (أرض البحر، مان تتم باللغة الأكدية) التي كانت تشمل منطقة الخليج العربي وأهوار العراق الجنوبية. وحدة إدارية بالغة الأهمية خلال فترة السلالة الكلدانية ٦٢٦ – ٥٣٩ ق.م. والبلاد التي قدم منها إلى العراق أهم رجالات سلالتها الحاكمة (نابو بلاصر وولده نبوخذ نصر الثاني) .

واعتبر الملك الفارسي داريوس الأول (٥٢٢ - ٤٨٥ ق.م.) المصطلحين **(جزيرة العرب ومنطقة الخليج العربي)** منطقة واحدة مما يدلل على أهميتها البالغة لديه وخطورتها وضرورة الاهتمام بها .

ووضع الإسكندر المقدوني (المتوفى سنة ٣٢٣ ق.م.) خطة لسبر غور الشواطئ الغربية للخليج العربي ولتهيئة الظروف الملائمة لإرسال حملة برية - بحرية لتنفيذ تلك الخطة ولم يثنه عن المضي بها تقارير قواده عن خطورتها وعدم جدواها . وقد أرسل الإسكندر قادة (لابد وأنهم كانوا من المشهود لهم بالكفاءة) من سلاح بحريته في سفن خفيفة ذات ثلاثين مجدافاً لوضع تقرير عن أوضاع شواطئها وتهيئة الظروف لإرسال الحملة . فبعث أولاً قائده أرخياس وهو مواطن يوناني من جزيرة ثاسوس الحالية وتسمى أيضاً تاسو في شمال بحر إيجه أمام ساحل تراقيا مقابل مصب نهر نيستوس) . ووصل أرخياس إلى جزيرة تيلوس وهي البحرين الحالية التي في الغالب نزل على برها وربما بقي لفترة لأنه أعجب بخصوبة تربتها .

وإذا كان ما أورده أريانوس من القرن الثاني الذي أرخ حملة الإسكندر المقدوني صحيحاً من أن تيلوس تقع على بعد يوم وليلة من مصب الفرات بالخليج العربي فإنه قد أخطأ بذلك فالمسافة بين دلمون (البحرين) وتيريدون (عند فم الفرات) أطول من أن تقطعها السفن آنذاك بهذه الفترة القصيرة .

والضابط البحري الثاني الذي أرسله الإسكندر لنفس الغاية كان أندرو ستينيس الذي وصل إلى نقطة أبعد من تيلوس .

أما الضابط الثالث الذي بعثه الإسكندر فكان هيرون من أهالي سولي في كليكية (منطقة أنطاكية وإسكندرونة في شمال سورية عند ساحل البحر المتوسط). الذي وصل إلى مكان أبعد من القائدين السابقين ويصعب معرفة ما إذا كان قد بلغ ماكيتا (ماكاي) عند مدخل الخليج العربي (رأس موسندم) .

وما ذكره القادة الثلاثة لم يكن مشجعاً غير أن الإسكندر كان مصمماً على المضي في مشروعه لاقتناعه بأهمية الشروع لسبر غور سواحل الخليج العربي والجزيرة العربية ليصل إلى هيروبوليس عند فم البحر الأحمر . وعهد الإسكندر إلى نيرخوس بإعداد السفن

والجند حتى أنه أقام حفلة عشاء لنيرخوس وضباطه وحدد الأيام التي يتحرك بها الأسطول والجند وأصدر الأوامر بها[1] . ولكن فوجئ الكل بمرض الإسكندر حيث أصيب بحمى التيفوئيد (رغم أن المصادر تذكر إصابته بالملاريا إلا أن أعراض المرض وتفاصيله تدل بأنه كان حمى التيفوئيد) وفارق الإسكندر الحياة بعد عشرة أيام من بدء مرضه في شهر حزيران سنة ٣٢٣ ق.م فمات المشروع معه .

قدّم كتاب الطواف حول البحر الأريتري (ويقصد به البحر الأحمر) معلومات مهمة وهو من تأليف تاجر يوناني من الإسكندرية بمصر بارع في الكتابة وأسلوبه سلس لطيف . وهو ليس مثل كتاب الطواف حول بحر أوكسين (البحر الأسود) الذي لا نعرف اسم مؤلفه ونسبه بعض الباحثين إلى أريانوس مؤرخ الإسكندر المقدوني . ولا مثل كتاب طواف سيلاكس . كما لم يكن وصفاً لرحلة مثل كتب نيرخوس وحنون. بل إنه أشبه بكتاب عام حوى معلومات مفيدة للتجار الذين يترددون على هذه البحار . ويلزم أن يكون القارئ حذراً في التعامل بمعلومات هذه الكتب وأمثالها . فبطلميوس الجغرافي اليوناني الإسكندراني من القرن الثاني يذكر عمان كمدينة تقع على ساحل كرمانيا (كرمان) في إيران (الجانب الشرقي)[2] . وإلى الخلف يضع مؤلف كتاب الطواف سلسلة جبال سيهان التي تمتد برأيه حتى موقع يسميه أسيك . وتقابلها في النهاية الجزر السبع المسماة جزر زنوبيا والتي يسميها البلداني العربي المقدسي البشاري (٩٤٧ - ٩٩٤م) خرطان مرطان والتي سميت أيضاً جزائر بن خلفان والمسماة حالياً جزر كوريا موريا مقابل الساحل الجنوبي لجزيرة العرب . ومدينة أوما نوم (عمان) التي ذكرها بطلميوس قد تكون موسكا أو صحار .

ويصف كتاب الطواف بصورة صحيحة مدخل الخليج العربي بين جبال وعرة يسميها أسابون وتشكل رأس موسندم . ويسمي بطلميوس الرأس وسلسلة الجبال السوداء أسابون أكرون وأسابا أورة[3] . وقد وصفها نيرخوس وإيراتو سيثينيس وسترابون وسموها ماكيتا أو ماكاي[4] . كما ذكر بطلميوس جبل سماه جبل سميراميس في كرمان وأورد أن في نهاية الخليج العربي تقع الأبلة **Apologus** التي حلت محلها تيريدون (عند موقع الزبير الحالية) ويصف الأبلة بأنها تقع مقابل الفرات ومدينة كرخ سباسينو (المحمرة القديمة) .

ما من موقع يكتشف في الشرق الأوسط إلا وتدل مكتشفاته في الغالب على علاقة مع الخليج العربي، فقد عثر على سبيل المثال في موقع تل الصوان قرب سامراء، شمالي بغداد على أصداف بحرية جلبوها في الغالب من منطقة الخليج العربي ولو أن هناك من لا يستبعد احتمال جلبهم إياها من منطقة بحيرة وان (شرق بلاد الأناضول) . وأن كتابات موقع ابلا (تل مرديخ على بعد حوالي ٦٠ ميلا عن حلب شمال سوريا) تذكر علاقات تجارية مع الخليج العربي . وذكر الموسوعي الروماني بلني الكبير (المتوفى سنة ٧٩) نهر فليمينيكوس ومعناه نهر الكلب وقصد به وادي الدواسر (ويسمى أيضاً وادي اللار) . علماً بأن هناك نهراً آخر بنفس الاسم في سورية . وعثر في موقع شعز بازار (تل ليلان) في أقصى الشمال الشرقي من الجزيرة الفراتية ضمن سورية بالمنطقة التي يسميها الجغرافيون منقار البطة على بعد ٢٥ كم جنوب شرق القامشلي[٥] على صدفة مزينة مستوردة من نهاية الخليج العربي[٦] . وللدلالة على أهمية الخليج العربي في العصور القديمة فقد اخترنا حضارة أم النار التي اكتشفت قبل مدة ليست بالطويلة كمثال على تلك الأهمية .

تقع جزيرة أم النار على بعد ٢٠ كم شرق العاصمة أبوظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة ويفصلها عن ساحل الخليج العربي مضيق يبلغ عرضه ١٠ - ٥٠ ياردة وهي غير مسكونة في الوقت الحاضر . لكنها لم تكن كذلك في العصور القديمة . وما يدلل على أهميتها سعة المنطقة التي سكنها أصحاب حضارة أم النار حيث وجدت آثارها في كثير من المناطق وتأثيرات حضارتها وسعة علاقاتها الخارجية مع الأقطار الأخرى . ويطلق الآثاريون حالياً المصطلح أم النار على التجمعات السكانية من الفترة التي سبقت الكتابة والتي تمثلها الأوعية الفخارية ذات اللون الأسود والمدافن الركامية البرجية البناء والأبنية الخالية من الملاط (الطين) . ومما ساعد هذه الحضارة على المضي قدماً توافر الموارد المحلية من البحر والتي تقدم للسكان الطعام الكافي أمثال صيد الأسماك على أنواعها ومنها الأطوم (Dugong) (وهو سمك كبير من صنف ذوات الثدي)، وصيد الطيور ومنها طير الغاق الذي يعتاش على السمك، وجمع الأصداف . ويظهر مدى تقدم أصحاب حضارة أم النار عند مقارنتهم بسكنة مواقع شرق إيران أمثال جرجان وسيستان وحتى مع مواقع وادي السند (موهانجو دارو، جنهو دارو وهارايًا وغيرها) . وأن الفخار الذي عثر عليه في موقع أم النار يدل على علاقة بمواقع جنوبي شرق إيران وشرق بلوجستان .

والآثاري الياباني موريزيو توسي مقتنع بأن آثار أم النار تدل على مساهمة صانعيها المبكرة في استثمار أعماق البحار على طول الرصيف القاري العربي والآسيوي بتقديم أدوات معقدة الأمر الذي يدل على مستواهم الاجتماعي والاقتصادي العالي[٧] .

ويدل طراز قبور أم النار وأثاث المدافن الجنائزي على ارتفاع مستوى معيشة السكان وترفهم . فالركام الذي رقمه الآثاريون يوضح سعة البناية الدفنية (بقطر ١١ متراً مع سور خارجي شيد على صخور . وللبناية سور خلفي عرضه متر واحد، وهناك ما يدل بأن الغرف والممرات بالمدفن كانت مسقفة بالصخر . وقد وجد به وعاء من المرمر وآخر من الحجر الصابوني الناعم الملمس الأخضر اللون وما لا يقل عن ٦٥٠ خرزة أكثريتها قصيرة وأنبوبية من الحجر الأخضر ودبوس وخرز من أحجار ملونة وأشكال مختلفة . وقد ظلت هذه المقبرة في الاستعمال مدة طويلة ابتداءً من فترة أم النار (حوالي ٢٣٠٠ ق.م)[٨] والكثير من القبور محفور تحت الأرض مما يدل على الجهد الكبير المبذول . وأرضية بعض القبور مبلطة وكلها مدورة وشيدت على نظام واحد واختلاف في التفاصيل .

ويتكون أثاث القبر الجنائزي عادة من فخار وسهام وخناجر ودبابيس ومغازل . وغالبية الفخار مزهريات صغيرة أنيقة بارتفاع ١٠ - ١٢سم . والزينة غالباً في القسم العلوي من الأوعية وأحياناً تغطي كل السطح وتتألف الزينة من خطوط إما متحززة أو ملونة بالأسود على الخلفية الرمادية . اثنان من الأوعية الكبيرة بها تضم إلى جانب الزينة الهندوسية أشكال حيوانات مثل الثور ذو السنام . والفخار بصورة عامة ثري ومتقدم له علاقة بفخار كولي في بلوجستان من الألف الثالث ق.م مشابه له في الموضوع والشكل مما يدل على علاقة السكان مع حضارة كولي . وعثر على عدد من التلال الواطئة وجدت بها كسرات فخار بدائية الصنع كثير منها مشابه لفخار أم النار[٩] .

تعتبر قبور خلايا النحل التي قد يرجع تاريخها إلى أوائل الألف الثالث ق.م خطوة تلاها طراز مقابر أم النار . وقد تكون الأولى معاصرة لجمدة نصر والاستيطان البشري خلال الألف الثالث ق.م وقت حضارة أم الناروما قبلها بقليل متواصل في جميع منطقة سفوح الجبال من البريمي حتى إبرا ولمسافة تزيد على ٣٥٠ كيلومترا . وكان الزخم البشري متركزاً في الوديان وبعض الواحات ذات الينابيع . وعثر على آثار لمستوطنات من هذه الفترة عند قبور ومستوطنات البريمي وحفيت والوادي الكبير ووادي عملي ووادي

بهلا ووادي عندام ووادي أثلي ووادي أبرا . ويتماشى الاستيطان بصورة طولية مع اتجاه جريان السيل . وكانوا يعتمدون على الإنتاج الزراعي في الحصول على الغذاء كما استعملوا مواد عدة أمثال اليشب وحجر الصوان الخام والنحاس لصنع الأدوات التي يحتاجونها في أعمالهم وحياتهم اليومية . فمستوطنة وادي عملي قد شيدت على قمة بروز من اليشب وكانت مثل بقية المستوطنات في ذلك الوادي مكتفية ذاتياً حيث توافر النحاس والصوان واليشب . وكانت مواقع صهر النحاس في الألف الثالث في عمان متركزة قرب الماء والأراضي الصالحة للزراعة[١٠] .

إن فخار قبور أم النار تشبه الفخاريات التي عثر عليها في موقع كولي شمال غرب كراتشي بين بلدتي شاهي تمب ونندارو موطن تلك الحضارة التي ازدهرت خلال الألف الثالث ق.م. في العهد البرونزي . وتعتبر كولي أحد مواقع وادي السند . والملاحظ التشابه مع فخار أم النار في أسلوب الزخرفة واستعمال الألوان في الصبغ . وقد ذكرنا رسم الثور بحدبه الملون بالأسود على خلفية حمراء[١١] . وقد عثر في مقابر أم النار على وعاء عليه صور ثيران طويلة مفصولة عن بعضها البعض بقطع هندسية وجد ما يماثلها في أوعية كولي وبذلك تكون من نفس الفترة[١٢] . وعثر في بريمي على أوعية رمادية مثل أوعية كولي تدل على تجارة عبر الخليج العربي وحتى هناك من يعتقد بأن شعب كولي قد لعب دوراً أساسياً في تجارة الخليج العربي وأن تجارة النصف الشرقي من الخليج كانت في أياد هندية . والمعروف أن بعض نوى التمر قد وجدت في آثار مواقع وادي السند (هرايا وموهنجو دارو) ولابد وأن التمر كان قد جلب من الخليج العربي أو بلوجستان ذات العلاقة القوية مع الخليج العربي . وأن الخرز الكثير الذي وجد في قبور أم النار وبأشكال متباينة كما رأينا ربما قد أحضر من مواقع وادي السند حيث وجد بكثرة بأشكال كثيرة في موقع هرايا . وقد عثر على كثير من عظام وقرون ماعز وماشية وسمك وسلاحف وجمل وصنارات صيد نحاسية مع مغازل وأوزان وثقالات شباك صيد مصنوعة من الحجر الجيري في مستوطنة بأبوظبي شرق التلال الدفنية بجزيرة أم النار في بيت كبير مساحته ثلاثمائة متر مربع وجدت إلى جانب فخار أم النار المتميز .

وعثر في موقع هيلي الواقعة على بعد ٦ كم شمال العين بالإمارات العربية المتحدة على فخار يشبه فخار جزيرة أم النار . كما عثر في دولة الإمارات على موقع لمدينة مهمة

تبعد حوالي ١٦٥كم جنوب شرق أبو ظبي فيها قبور تشبه تلك التي لأم النار . وهناك تماثل في قبور عمله بوادي العين مع تلك التي لأم النار وقبور هيلي بصورة عامة دائرية تشبه قبور أم النار ومقابر الحجر في البحرين بدأ استعمالها ابتداءً من فترة أم النار . وقد وجد لحضارة أم النار ارتباط مع جنوب شرق فارس وبموقع تيه يحيى ومع الطبقات السفلى من موقع باربار في البحرين .

كما يدخل ضمن حضارة أم النار مستعملو مقابر جبل حفيت الذين يصعب معرفة هويتهم حيث يبدو أن لهم عقائدهم الخاصة فاهتموا بدفن الموتى وزودوا الميت بأثاث جنائزي ودفنوه باتجاه معين وموضع معين وتاجروا مع الخارج حيث جلبوا الأحجار الكريمة ربما عن طريق العراق . وحوت مقابرهم أنواع الخرز . وعثر على مئات المقابر لهم في سلسلتي جبل حفيت (الحد الجنوبي لواحة البريمي) وتركزت في القسم الشمالي من الجبل .

وحوى الجزء الجنوبي في منطقة بات شرقي قبوراً من طراز أم النار . وأن مواقع وادي أبرا، ووادي الأثلي، ووادي الفرع، في عمان هي مستوطنات حوت عددا من الأركمة والحلقات الحجرية شبيهة بنصب قبور أم النار . كما أن فخاريات المستوطنات السبع عشرة في عمان عثر على ما يشابهها في بات وعملة والقبور . وإلى الألف الثالث ترجع في الغالب قبور المنيمة في إمارة عجمان التي يصعب اعتبارها قبوراً . وأن محتويات قبور حفيت تشبه قبور جمدة نصر خاصة الفخار الذي يماثل فخار توتوب (خفاجي بمنطقة ديالي) . ودفن ميت في قبر رقم ١٣١٧ على جانبه الأيسر وإلى شمال الجثة وجد رأس دفن بصورة منفصلة عن الجثة مما يدل على عادة ربما مارستها الجماعة وجد ما يشابهها في موقع تل السلطان (أريحا في فلسطين) .

والدفن في مقابر حفيت يشبه الدفن في جمدة نصر (الميت ملقى على أحد جانبيه ويداه أمام الوجه ورجلاه مثنيتان) . وهناك جزء من مقابر حفيت تشابه أخرى في مواقع أور وجمدة نصر والعقير[١٣] . وإن فخار هيلي وأم النار وجد في البحرين مما يدل على العلاقة بين سكنة المنطقتين، كما عثر على قبور عملة بوادي العين وبنايات ظهرت لأول مرة في أم النار وهيلي . وتبعد هيلي ١٠ كم شمال العين وقرب المقبرة مستوطنه بجواره فالج وعثر في هيلي على مدفن كبير. قطره ١٢ متراً والفخار به من طراز أم النار . ووضع

مـع الميت أثاث جنائزي . وان التشابه بين هذه المواقع (الدفن والفخاريات والبناء) تدل على عودتها كلها لحضارة واحدة شاملة .

إن القبر في هيلي ثري في الفخار وضمن كسرات الفخار كثير مشابه لفخار أم النار . وعثر في ثلاثة قبور من مقبرة أور الملكية في أور على نوع من الفخـــار معروف في أم النار[١٤] . . ويحتوي الجزء الجنوبي من مقبرة بمنطقة بات شرقي على قبور من طراز أم النار . وهـناك علاقـة بين حضارة أم النار وموقع بامبور دليله تشابه فخار أم النار مع العصرين السـادس والسـابع في بامـبور . كمـا عـثر في رقم ١ و٥ و٦ من أم النار على جرار صغيرة ملونـة يمكن ربطها مع كسرات فخار بامبور من العصرين السابقين[١٥] . وأن الارتباطات بـين شـهري سـوختا وبامبور قوية خاصة بالنصف الثاني من الألف الثالث ق.م. وكذلك العلاقـة بـين بامـبور وأم النار . والأدلة متوفرة عن تعاصر أم النار مع الطبقة الرابعة من تـيه يحيى ومع حضارة باربار في البحرين . وعند تحري ٦٢ موقعاً عثر على تلال واطئة قـرب عملـة وبـنايات ظهـرت لأول مرة في أم النار وفي أحد القبور وجد فخار أسود على أحمـر مـع آخـر أسود على رمادي ومحزز يمكن ربطها مع قبور هيلي وأم النار وبامبور وشـهري سـوختة جـنوب إيران حيـث وجدت الأوعية الرمادية في نهاية الألف الثالث ق.م. ويمكن مقارنة وعاءين رماديين وجدا في موقع عمله مع فخار أم النار[١٦] .

وعـثر في موقـع عمله، على كسرات بعض قطع الجرار الجنائزية المشابهة لتلك من مدافـن هـيلي وأم الـنار . وربمـا أن الطقوس الدينية في عمان القديمة كانت تتطلب دفن أنواع معينة من الأوعية مع الموتى المهمين في المجتمع[١٧] .

وقـد وجدت في مستوطنات الألف الثالث ق.م. عند وادي سمد في عمان بقايا سدود مشيدة مـن حجـارة مـا تزال ممتدة عبر مسايل الماء . وفي الغالب أن هذه السدود كانت تسـتخدم لصد تراب السيل والاحتفاظ بما يكفي من الماء حتى يتيسر له النفاذ في الأرض وجعـل التربـة رطبة . ويستفيد موقع وادي أبرا، من وجود سد طبيعي . فهذه المستوطنة تقع تحت نبع في موقع انتشار الماء فوق سهل منبسط[١٨] .

إن المستوطنات التي كانت تعمل في صهر النحاس بوادي سمد والباطن والظاهر تدل عـلى وجود جماعة في الألف الثالث ق.م. تعمل بصهر النحاس . ولكن ليس هناك دليل حـالي عـلى تصدير الـنحاس وقتذاك إلى خـارج عمـان . ولعل النحاس والحبوب التي

تجلب من الداخل كانت تقايض بالمحار والسمك من الساحل . وهناك أدلة على وجود تجارة خارجية في عمان بالعصر البرونزي حيث أن بعض الفخار يشابه ما كان في العراق وجنوب شرق إيران . ويظهر أن عمان زمن حضارة أم النار كانت بلاداً عامرة تعتمد على الزراعة تسقي مزروعاتها من السيول . وفي كثير من المواقع إنتاج محلي للنحاس . والقرى صغيرة. وليس هناك دليل على تميز قرية على أخرى بالقوة والثراء والبلد في رخاء دون وجود سلطة سياسية ثابتة ويختارون عند الحاجة الشخص الملائم[١٩] . كل هذه الأمثلة التي أوضحتها الحفريات الأثرية منذ اكتشاف مواقع جزيرة أم النار سنة ١٩٦٠ تدل على أهمية حضارة جزيرة أم النار (التي تأتي زمنياً قبل حضارة باربار) وعلاقات الخليج في عهود ازدهارها مع المناطق المجاورة .

د. سامي سعيد الأحمد

الهوامش

١ - E. H. Bunbury, A History of Ancient Geography, (New York,1959). Vol I, PP 261-262.

٢ - Ptolemy, 33

٣ - VI. 7,12,20.

٤ - XVI, 3, P. 705.

٥ - د. عدنـان بـني . تل ليلان . شوبات أنليل حاضرة شمشي أدد الآشــــوري . المفكر العربي . عدد ٥٢ . مجلد ٩ ص١٧١ .

٦ - M.Mallowan, "The Mechanics of Ancient Trade in Western Asia". Iran, Vol. III, (1965) P. 1

٧ - Maurizio Tosi, Dating of the Umm-An-Nar Culture and the Proposed Sequence for Oman in the Third Millennium B.C., Journal of Oman Studies, Vol. 2 (1976) P. 81.

٨ - Knud Thorvildsen, Burial Cairns on Umm-An-Nar, Kuml, 1962, P.209 FF.

٩ - Karen Frifelt, Archaeological Investigations in the Oman Peninsula, Kuml, 1988, PP. 172-174.

١٠ - موديتستو تـوزي . ملاحظـات حول توزيع الموارد الطبيعية واستثمارها في عمان القديمة . مجلة الدراسات العمانية ١ و٢ (١٩٧٥ – ١٩٧٦) ص١١٠

١١ - حسين منديل . الآثار في أبو ظبي . المؤتمر السادس للآثار في البلاد العربية . ١٩٧١ . القاهرة . ١٩٧٣ . ص٤٥٣ .

١٢ - Knud Thorvildson, Op. Cit., PP. 191 FF.

١٣ - Leonard Woolly, Excavation of UR, Early Periods (Philadelphia. 1955), Vol IV, pl. 26 P. 110; E. Mackay, Report on the Excavations at Jamdet Nasr, Iraq, (Chicago, 1931), P.232, 236, 245, pl. LXV, 16.

١٤ - Leonard Woolley, UR Excavations II, The Royal Cemetry, Pl. 241, 8.

١٥ - De Cardi, Op. Cit. (1970) P.325.

١٦ - Excavations and Surveys in Oman 1974 – 1975, 8. de Cardi, Stephen Collier and D. B. Doe, Journal of Oman Studies, Vol. 2 (1976), PP. 101, 107.

١٧ - نفسه ص١١٨ .

١٨ - م. هيستنجز، ج. هـ همفريز ور. هـ ميدوز، عمان في الألف الثالث قبل التاريخ الميلادي، مجلة الدراسات العمانية (عمان، ١٩٧٨) ١. ٢، ص٩ .

١٩ - نفسه ص ١٣ - ١٤ .

الإبل وأهميتها الحضارية خلال القرن الأول الهجري

بقلم : دكتور خالد أحمد زنيد



في شبه الجزيرة العربيّة
ـرن السّابع الميلادي

يهدف هذا البحث إلى بيان أهمية حيوان الإبل في الحياة الحضارية للأمم والشعوب. وقد لعب هذا الحيوان إلى جانب الإنسان دوراً كبيراً ومؤثراً لدرجة أن الإنسان لا يستطيع في شبه الجزيرة العربية الاستغناء عنه مهما كانت الظروف . لذلك كان هناك اهتمام كبير بتربية هذا الحيوان، والعناية به نظراً لما وهبه الله من الصفات والخصائص التي انفرد بها عن سائر الحيوانات الأخرى .

لقد عاش هذا الحيوان إلى جانب الإنسان. فكان له دورٌ هامٌ في الحياة العامة. إلى جانب أهميته في النواحي الاقتصادية من تجارية وزراعية. علاوة على دوره العسكري في الحروب والمعارك. إضافة إلى أهميته الاجتماعية والصحية والإدارية. فقد قدم خدمات جليلة لسكان شبه الجزيرة العربية في نواح كثيرة لا يمكن تجاهلها بأي حال من الأحوال .



موقع وطبيعة شبه الجزيرة العربية

تتمتع شبه الجزيرة العربية بموقع فريد في وسط العالم القديم، فهي قلب العالم العربي. ومهد حضاراته، "فجنوبيها اليمن وشماليها الشام وغربيها شرم أيلة وما طردته من السواحل إلى القلزم وفسطاط مصر وشرقيها عمان إلى البحرين وكاظمة والبصرة وموسطها الحجاز وأرض نجد والعروض"[١]. وهذا الموقع قد مكّن العرب من التعرف على الحضارات المجاورة، والاتصال بها بواسطة إبلهم.

أما حدود شبه الجزيرة العربية فلم تكن ثابتة أو واضحة المعالم. فهي تطل على مياه كثيرة، فمن الشمال تحيط بها مياه نهرية هي شط العرب فالفرات فالعاصي لتنتهي في خليج العقبة، ويحيطها من الشرق خليج البصرة وعُمان، في حين يشكل البحر العربي وخليج عدن حدها الجنوبي. وبينما يحدها من الغرب بحر القلزم[٢]. وهي بهذا الموقع المتفرد. تتاخم أكثر المراكز القديمة للحضارة في تلك العصور.

كانت شبه جزيرة العرب كما ذكر علماء الأجناس مستودعاً بشرياً عظيماً، ظل يفيض بهجرات بشرية على مدى العصور والأجيال، إذ كانت من قبل غزيرة المطر، ميسورة وسائل الرزق، ثم اعتراها الجفاف بعد انتهاء العصر المطير منذ عشرة آلاف سنة[٣]. فاضطر كثير من العرب إلى الهجرة إلى أماكن مجاورة على ظهور الإبل.

وتضم شبه جزيرة العرب تنوعاً جغرافياً، فالطبيعة فيها ليست واحدة أو متماثلة في جميع أنحائها. فهناك الجبال والوديان والبوادي، فبالنسبة للجبال نجد جبال تهامة تشكل قطعة من اليمن وتطل على البحر الأحمر صاعدة إلى مكة[٤]. وبينها وبين نجد السروات وهي جبال ممتدة من جنوب اليمن إلى شمال الحجاز كثيرات الغرس[٥]. وهذه الجبال تتمثل أيضاً في "جبل السراة الذي يصل ما بين اليمن والشام فإنه ليس بجبل واحد، وإنما هي جبال متصلة على نسق واحد من أقصى اليمن إلى الشام"[٦].

بينما تتوزع الوديان والواحات التي تحتوي على بعض مياه الأمطار والسيول في أكثر من مكان من شبه الجزيرة العربية[٧] أما على مستوى البوادي فتشكل المساحة

الكبرى في شبه الجزيرة العربية، وهي تضم بادية البصرة وبادية الجزيرة وبادية الشام وأخيراً بادية السماوة[٨]، وهي بصفة عامة قفار صعبة الاجتياز[٩]، ومع ذلك تمكن العرب بواسطة الإبل من ارتيادها رغم الأهوال والمصاعب . ومن هنا نرى أن وسط شبه جزيرة العرب صحراء شاسعة عديمة الأنهار، قليلة المياه بينما في الشمال والجنوب كان الاستقرار والإنتاج معتمدين جميعاً على الإبل اعتماداً كبيراً في معاشهم .

تاريخ الأبل ومواطن ظهورها

يمكننا في ضوء المعلومات الأثرية والنصوص الأدبية المتوافرة أن نحدد ما بين مطلع الألف الثالثة إلى مطلع الألف الأولى قبل الميلاد[١٠]، البداية لتدجين الإبل حيث ورد أقدم نقش فيه إشارة إلى العرب حيث ذكر الجمل مقروناً بهم، ويشير إلى "عشرة آلاف جمل لجندب العربي"[١١] . كما وجد سكان هذه المنطقة (شمال الحجاز وجنوب الأردن) قبل الميلاد سرجاً معيناً عرف بسرج الجمل لشمالي جزيرة العرب، حيث مكن هذا السرج الإنسان من التحرك والاحتكاك بالحواضر والمدن المجاورة حتى أن **Richard Bulliet** يقرن هذا السرج بظهور العرب في شمال الجزيرة العربية[١٢] .

وقد اشتهرت بلاد العرب بالإبل ذات السنام الواحد، في حين عرف في بلاد المشرق وبخاصة أواسط آسيا الإبل ذات السنامين، وتسمى بالبخاتي، وتعتبر الإبل الحجازية أفضل أنواع الإبل لسرعتها[١٣] . وتم كشف أقدم رسم معروف للجمل في نقشين في أطراف شرقي الأردن من بلاد الشام في موضع من جبل طبيق يسمى كلوة[١٤]، وهو من فصيلة الإبل ذات السنام الواحد . ويبدو أن شبه الجزيرة العربية هي الموطن الأصلي[١٥] للإبل. حيث وصفها الشاعر ذو الرمة بقوله :

إن الإبل الزرق أوطان أهلها فيها تحمل علياء معلم[١٦]

ومنها انتقلت إلى بلاد الشام[١٧] وغيرها من البلاد المجاورة، علاوة على أن إقليم مهرة باليمن[١٨] من أكثر الأقاليم تربية للإبل لأهميتها في حياتهم .

وتعتبر بلاد الشام من أنسب البيئات لتربية الإبل وغيرها من الحيوانات، فنلاحظ اهتمام أهل الشام بتربية هذه الحيوانات من أجل استخدامها في الأعمال الزراعية والتجارية[١٩]، ويذكر الأصطخري أن أنطاكية كانت فيها مراع للحيوانات بقوله "وبجبل مشرف عليها فيه مزارع وأرحية ومراع وأشجار . وبها ضياع ونواح خصبة جداً"[٢٠]، ويبدو أن هناك مراع للإبل التي يمكن أن تربى في كل مكان بعكس الحيوانات الأخرى التي تحتاج إلى مراع خصبة"[٢١] .

وقد عرف عن قبيلة كلب التي سكنت بلاد الشام أن لديها إبلاً من أسرع أنواع الإبل.، إضافة إلى أنها من أكثر القبائل العربية قناً وإبلاً[٢٢]، إلى جانب قبيلة جذام التي اعتبرت من أكثر القبائل العربية إبلا لوجود المراعي الكثيرة لإبلهم[٢٣]، مما أدى إلى اشتغال كثير من النصارى أدلاء[٢٤] للقوافل التجارية نظراً لما توفره هذه الحرفة من أجر مناسب يؤمن لهم سبل العيش .

والإبل من الحيوانات التي تتغذى على القليل من النباتات الشوكية ذات الأوراق الإبرية. كما لديها القدرة على استساغة بعض النباتات الشوكية مثل شوكة الجمل والعرفج والشيح والسنط والشجيرات المالحة"[٢٥] التي لا تستطيع حيوانات الرعي الأخرى أكلها مع العلم أن شفتي الإبل المطاطتين إلى جانب الغطاء المخاطي الصلب للفم يساعدانه على رعي الأعشاب الشوكية،وبالتالي نزع أوراق أشجار الصبار لأكلها، وبذلك لا تشكل الأشواك أي مشكلة لها[٢٦] . ويروي الهمداني أنه ينبت بنجد عدد من الأعشاب التي ترعاها الإبل فمن ذلك الحمض والسحاء[٢٧] .

اهتم سكان شبه الجزيرة العربية بصفة عامة بتربية الخيل والأغنام والإبل، فيروي السمهودي أنه كان لأهل المدينة مائتا راع[٢٨]، يرعون دوابهم على ما تنبته هذه المناطق، وقد تعرض هؤلاء الرعاة لهجمات الخارجين على الدولة حيث ذُكر أن أصحاب نجدة بن عامر الحنفي مروا على إبل ترعى لعبد الله بن عمر فاستاقوها مع راعيها[٢٩] .

وانتشرت القطعان الكبيرة من الإبل والخيل والأغنام في بوادي شبه الجزيرة العربية، وتنقل بها الرعاة بحثاً عن المراعي الخصبة[٣٠]، حيث الماء والعشب، ويروي الأصفهاني أن بني قشير عندما جاء الربيع اتجهوا لنجد حيث سكنوا أرضاً قد نضّرها

غيث فأخصبها"[٣١]، كما أن بني عامر كانوا يتصيفون الطائف لطيب ثمارها، ويتشتون من أرض نجد لسعتها وكثرة مراعيها[٣٢].

وقد ربِّيت الإبل في الواحات وأطراف المدن للاستفادة منها في الأعمال الزراعية، فكان أهل المدينة يمتلكون كثيراً من الإبل نظراً لتوافر المراعي والأشجار بها، بينما كان أصحاب الإبل في مكة يرعونها في الشعاب والوديان المجاورة لمكة، وقد أصاب أبرهة الأشرم في حملته على مكة مائتي بعير لعبد المطلب كبير مكة، وكان للإبل وغيرها من الدواب سوق نشيطة في مكة[٣٣].

كذلك استقر قسم من قبيلة بني نُمير في نجد في منطقة الشريف، نظراً لما تمتاز به من كثرة الأعشاب التي ترعاها الإبل والأنعام[٣٤]، حيث كان يتولى رعاية الأنعام رعاة هذه القبيلة[٣٥].

أما الشاعر جرير فقد أعطاه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ثمانية عبيد لكي يرعوا إبله[٣٦]، حيث كان العبد سحيم يرعى إبل مواليه في المدينة المنورة[٣٧]، كما أن الشاعر ذا الرمة كان يجيد رعي الإبل[٣٨].

أما عن مراعي الإبل فقد انتشرت في شبه الجزيرة العربية في حذية[٣٩] والربذة[٤٠] وفيد[٤١]، وغيرها من الأماكن الكثيرة في طول البلاد وعرضها . ونظراً لأهمية الإبل، فقد شجع الرسول صلى الله عليه وسلم، المسلمين على اقتنائها والاهتمام بها، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقوم بنفسه بوسم إبل الصدقة[٤٢]، وكان العرب يوسمون إبلهم بأوسام مختلفة حتى يعرف كلٌّ إبله[٤٣]، وبالتالي حمى الرسول صلى الله عليه وسلم، النقيع لإبل وخيل المسلمين واستعمل عليه بلال بن الحارث المزني[٤٤].

كما شجع الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين على تدريبها والاعتناء بها، فقال : "لاسبق إلا في نصل، أو حافر، أو خف"[٤٥]، واستمر التشجيع على اقتنائها زمن الخلفاء الراشدين، فقد حميت لإبل الصدقة الأحماء[٤٦]، وحبست في سبيل الله، حيث ذكر ابن سعد أن عمر بن الخطاب كان يحمل في العام الواحد على أربعين ألف بعير مزوّداً كلاً منها بكافة ما يلزم[٤٧].

أما عن خلفاء دولة بني أمية، فإنهم اهتموا بمراعي الإبل، وقاموا بتوسيعها، فهذا عمر بن عبد العزيز يأمر بإباحة الحمى لجميع المسلمين[٤٨]، ولكن بعد ذلك يبدو أن الحمى استفاد منها الولاة لحسابهم الخاص، فيذكر السمهودي أن إبراهيم بن هشام المخزومي زاد في حمى ضرية وصنيف على أهله واتخذ فيه من كل لون من ألوان الإبل ألف بعير[٤٩].

وقد اشتملت المصادر على بعض الإشارات التي تدل على أن الثروة الحيوانية كانت موجودة في شبه الجزيرة العربية، حيث يذكر ابن قتيبة أن ابن ميناء كان يتولى أموال معاوية بن أبي سفيان في الحجاز، وكانت لديه مجموعة من الإبل التي تسرح للرعي[٥٠]. ويروي العصامي أن معاوية بن أبي سفيان عندما حج أهدى لدرامية الحجازية من بني كنانة "مائة ناقة حمراء فيها فحولها ورعاتها"[٥١].

وذكر الرشيد بن الزبير أن الخليفة سليمان بن عبد الملك عندما قدم للمدينة سنة ٩٨ هـ/٧١٦م أهدى إليه خارجة بن زيد بن ثابت "مائة جزور"[٥٢]، وعندما امتدح دكين الراجز عمر بن عبد العزيز، أثناء ولايته على المدينة، أمر له بخمس عشرة ناقة[٥٣].

ويروي لنا الأصفهاني أنه كان لديكن الراجز عدد من الإبل بالفلج في نجد[٥٤]، وكان ثابت بن عبد الله بن الزبير ممن يهتمون بتربية الإبل فيروي الزبير بن بكار أنه كان صاحب إبل، وقد اشترى مرة من سكينة بنت الحسين جارية بمائة ناقة[٥٥].

وعندما مدح الشاعر نصيب عبد الله بن جعفر أهدى إليه خيلاً وإبلاً[٥٦]. أما إبراهيم بن هشام المخزومي فكان له في حمى ضرية من كل لون من ألوان الإبل ألف بعير[٥٧]. حيث كانت ترد إبله مع رعاتها على عين لأخيه يزيد في الفلج لترتوي شربها منها[٥٨]، ويذكر الزبير بن بكار أن أبا عبيدة بن عبد الله بن زمعة كان إذا صدر إلى الفرش في وقت الربيع ذهب بكثير من الحيوانات والطيور وبخاصة الإبل[٥٩].

خصائص الإبل

لقد وهب الله للإبل بعض الخصائص التي انفردت بها عن سائر الحيوانات، بحيث تستطيع تخزين طاقة كافية من الغذاء في دهن سنامها من أجل البقاء على قيد الحياة[٦٠]، ووصفت بسفينة الصحراء[٦١]، حيث وصفها الفرزدق بقوله :



الوثيقة - ٥٣

على سفن الفلاة مردفات جناه الحرب بالذكر الحسام

إلى ملك الملوك جمعت همي على المتردفات من السمام[٦٢]

ومن خصائصها التي تتفوق بها على غيرها من الحيوانات، قدرتها على تناول طعامها وشرابها أثناء السير مما تعجز عنه الحيوانات الأخرى[٦٣]، كما إنه يستطيع حمل أو جر ضعفي ما يقوم به الثور الواحد، وقطع مسافة خمسة وعشرين ميلاً[٦٤]، (ما يعادل خمسين كيلومترا)، دون توقف، علاوة على طول رقبته التي تعمل توازناً حتى يستطيع أن ينهض بالحمل الثقيل، كما تساعده على الرعي، وبذلك يكون هناك تناسب بين القوائم والرقبة[٦٥].

كما أن اتساع المناسم في أرجله يسر له السير في التربة الرملية أو الكلسية اللينة دون الغوص فيها مسافات طويلة[٦٦]، وتستطيع الإبل أن تشم رائحة الماء وهو على بعد اثنين إلى اثنين ونصف من الكيلومترات[٦٧]، إضافة إلى أنه يشرب كل أسبوعين مرة في الصيف، وأطول من ذلك في الشتاء[٦٨]. كما أن له قدرة على تخزين الماء لمدة ثلاثين يوماً أو أكثر من ذلك بكثير[٦٩].

فالإبل من الحيوانات الصبورة على تحمل العطش في هجير الصيف لمدة أسبوعين. أما في فصل الشتاء، فتتحمل العطش لمدة تتراوح ما بين شهرين إلى أربعة شهور[٧٠]. وترجع قدرة بعض الإبل على تحمل العطش بسبب وجود مخزن الجيوب المائية بأجسامها حيث يحتوي على خمس إلى سبع لترات ماء[٧١]، إلى جانب نسبة من الماء المخزون في المقصورات الملحقة بكرش الإبل[٧٢]، إضافة إلى وجود طبقة من الوبر التي تشكل عازلاً قوياً[٧٣] بين جسم الإبل والجو الحار المحيط بها.

ويستطيع نوع منها أن تشرب الواحدة منه خلال عشر دقائق ما يعادل خمسة وعشرين جالونا (أي حوالي مائة لتر من الماء)[٧٤]، في حين تشرب في الدقيقة الواحدة من عشرة إلى سبع عشرة لتراً[٧٥] أي ما يعادل ستة ونصف جالون)، فالمعدل العادي هو عشر إلى عشرين لتراً، ولكن في حالة العطش الشديد تصل إلى سبع وعشرين لتراً[٧٦]، ويمكن أن تشرب الواحدة من الإبل نصف وزنها أي ما يعادل عشرين إلى ثلاثين لتراً يومياً.

ولقد كان للرسول عليه الصلاة والسلام ناقة تسمى (القصواء) حين دخل المدينة المنورة وتزاحم المسلمون على ضيافة الرسول فقال: "**خلوا سبيلها فإنها مأمورة**".

وفي غزوة بواط في شهر ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة وكان مقصد الرسول عليه الصلاة والسلام أن يتعرض لعير قريش وكان فيها أبو سفيان بن أمية بن خلف ومائة رجل وألفان وخمسمائة بعير .

ولقد أمر الخليفة أبو بكر الصديق خالد بن الوليد بقوله : أن اتجه من العراق واستخلف المثنى بن حارثة الشيباني على العراق في نصف الناس، فإذا فتح الله على المسلمين الشام فارجع إلى عملك . وامتثل القائد خالد بن الوليد لأوامر الخليفة ورحل لنجدة المسلمين في الشام .

وأمر خالد أن يترووا للشفة لخمس وأمر صاحب كل خيل بقدر ما يسقيها فظمأ كل قائد من الإبل الشرف الجلال ما يتكفى به ثم سقوها وصروا آذان الإبل وكمموها وركبوا . فلما ساروا يوماً افتظموا لكل عدة من الخيل عشرة من الإبل فمزجوا ما في كروشها من الماء بما كان من الألبان ثم سقوا الخيل وشربوا للشفة جرعاً ففعلوا ذلك أربعة أيام حتى وصل خالد بن الوليد إلى (بصرى) وفتحها . ثم اتجه إلى اليرموك واجتمع بالقوات العربية هناك . وكانت المدة التي تمكن بها خالد بن الوليد من قطع المقفر ثمانية عشر يوماً من يوم تحركه من الحيرة حتى مرج راهط .

وفي حصار خالد بن الوليد للحامية الفارسية بالأنبار أمر بذبح الإبل الضعاف وأمر برميها في محل ضيق من الخندق . وكان يحيط المدينة سور حوله خندق . فأصبح من أجسام الإبل جسر عبر عليه المسلمون إلى المدينة . وهكذا كانت الإبل تحملهم في أسفارهم وتسقيهم من ألبانها وتكسيهم من أوبارها وتكون جسراً لهم في أجسامها . فتقدم المسلمون وقاتلوا أهل الأنبار في الخندق واضطروهم إلى اللجوء إلى حصنهم حتى طلبوا الصلح[٧٧] .

كذلك تميزت الإبل بسرعتها التي تختلف باختلاف أنواعها، فهناك الإبل التي تتراوح سرعتها من اثنين إلى ثلاثة أميال لكل ساعة[٧٨] (أي ما يعادل من أربعة إلى أربعة ونصف من الكيلومترات)، بينما يبلغ أقصى سرعة لبعض من الإبل في السباقات عشرة أميال في الساعة[٧٩] (أي ما يعادل ستة عشر كيلومتراً) .

ويستطيع نوع من الإبل قطع مسافة تتراوح من عشرين إلى ثلاثين ميلاً يومياً[٨٠] (أي ما يعادل من اثنين وثلاثين إلى ستين كيلومتراً، بينما تسير الإبل المخصصة للركوب

بسرعة ثمانية كيلومترات لكل ساعة، وإذا كانت الرحلة طويلة تستطيع السفر لمدة سبع ساعات يومياً[٨١]، ومن هنا يمكن القول أن سرعتها هي ستة أميال في الساعة(أي ما يعادل عشرة كيلومترات)[٨٢]. في حين يقطع نوع منها مسافة مائة وثلاثين كيلومتراً خلال أربع وعشرين ساعة[٨٣]. (أي بمعدل خمسة كيلومترات ونصف لكل ساعة) .

أما عن مقدار حمولة الإبل، فيحمل ذو السنام الواحد منها ما بين مائة وخمسين إلى ثلاثمائة كيلوجرام[٨٤] (أي ما يعادل ثلاثمائة وستين إلى سبعمائة وعشرين باوند) في حين أن حمولة ذي السنامين تصل إلى ألف باوند[٨٥] (أي ما يعادل أربعمائة وخمسين كيلو جراماً) . وبذلك يمكن للقافلة حمل ما يعادل خمسة وعشرين ألفاً إلى ثلاثين ألفاً من الكيلوجرامات من السلع[٨٦]، على اعتبار أن القافلة مكونة من ألف بعير .

ومن الخصائص التي تتميز بها الإبل، الاهتداء إلى الطريق التي اعتاد أن يسلكها ولا يضل فيها ليلاً ولا نهاراً، حتى ضرب العرب المثل به بقولهم أهدى من جمل. فمن صفاته الصبر على الحمل الثقيل[٨٧] .

أهمية الإبل في الحياة العامة

أشار القرآن الكريم إلى أهمية الإبل في الحياة بقوله "**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس**"[٨٨]، مما يدل على أهميتها كوسيلة للحمل والكرى والركوب والتنقل وقطع الصحاري[٨٩]، علاوة على أنها تعطينا الألبان والوبر واللحوم[٩٠]، فهي مصدر جيد للحوم حيث يمكن أن تزن الإبل وحيدة السنام حوالي أربعمائة كيلوجرام أو أكثر، في حين تزن ذات السنامين أكثر من ذلك بكثير[٩١] .

كذلك يستفاد من وبر الإبل في صناعة الملابس والخيام والبسط والسجاد والأكياس لخزن الحبوب، ومن جلدها تصنع الحقائب الجلدية والأحذية والقوارب[٩٢]، والرواء لحفظ الماء أو السفاء لنشل الماء من الآبار والغدران[٩٣]، علاوة على استخدام روثها وقوداً للنار التي يستخدمها الإنسان في حياته .

وقد استخدمت الإبل في جر العجل التي كانت تحمل الأحجار عليها لبناء المساكن في مكة[٩٤]. وتذكر المصادر أن عمر بن عبد العزيز عندما ولي المدينة حمل متاعه على ثلاثين بعيراً لنقلها للمدينة[٩٥].

وكانت النجائب من الإبل من وسائل الانتقال التي يستخدمها الأغنياء، فيروي الأصفهاني أن عمر بن أبي ربيعة كان يركب النجائب المخضوبة بالحناء عليها الديباج[٩٦].. وكذلك فعل المغني ابن سريج[٩٧].

دور الإبل في الحياة الاقتصادية

لعبت القافلة التجارية دوراً اقتصادياً هاماً في حياة الشعوب والأمم، حيث كانت القوافل التجارية من أكثر وسائل التجارة شيوعاً[٩٨]، في القرون الزاهرة التي مرت بها دولة المسلمين، فحجم تجارة القوافل التجارية وضخامته يمكن معرفته من خلال الرجوع إلى المصادر العربية التي يوثق بصحتها كتاريخ الطبري، حيث ذكر أن عدد القافلة التجارية يتراوح عادة من ألف إلى ألفين وخمسمائة بعير[٩٩]، وقد تصل في بعض الأحيان إلى ثلاثة آلاف دابة[١٠٠].

وتسير الإبل على شكل قوافل طويلة، حيث وصل عدد إبل عبد الرحمن بن عوف أحد الأشراف العرب إلى ما يقارب سبعمائة جمل[١٠١]، وأشار محمد كرد على أن القافلة التجارية قد تحتوي على عشرة آلاف نسمة من مشاة وفرسان وهجانة، إضافة إلى عشرين ألف دابة[١٠٢]، ويعمل فيها ما يقارب خمسة آلاف رجل[١٠٣] يرافقون القافلة منهم الجمالون الذين يقومون بأعمال منها تقييد الجمال، وربطها بالليل، وإطعامها مع المحافظة على البضائع والسلع وحراستها من اللصوص. كما يعهد لهم بالغناء وراء الإبل من أجل تنشيطها[١٠٤]. ومن وظائف الحمالين تحميلها وتفريغها، ونصب الخيام وقلعها، علاوة على الطبخ وخدمة المستأجرين[١٠٥].

وقد كثر الحمالون في المراكز التجارية التي تقع على طرق التجارة التقليدية. حيث يقوم الحمالون بتحميل السلع مقابل أجر معين. ومن أدوات الحمال حبل سميك يلفه

حول السلع المراد حملها[١٠٦]، ونقلها من مكان لآخر . وقد مارس الكثيرون هذه المهنة عرف منهم بنان الحمال[١٠٧] الذي كان يحمل على ظهره بضائع للتجار مقابل أجرة. كما تعتبر مهنة الحمل من الأعمال التي مارسها الأخيار من السلف الصالح إلى جانب مهنة التجارة[١٠٨] .

كما ظهرت في حرفة الكري[١٠٩] حيث كان ليزيد بن عبد الملك قوافل من الإبل يكريها في التجارة بين الشام ومصر، كما اشتغل بعض النصارى ومنهم حنين بن بلوع الحيري[١١٠] المغني الذي يسكن الحيرة، بكري إبله للتجار الشاميين لنقل بضائعهم، كما اشتغل أبو يحيى الحكم بن ميمون الوادي مولى الوليد بن عبد الملك بكري الإبل، ونقل الزيت عليها من الشام إلى المدينة[١١١]، كما حملت إبل علي بن الحسين الفاكهة من الشام إلى للمدينة[١١٢] .

ويبدو اشتغال بعض التجار أمثال دحمان الجماني بكري إبله إلى المواضع، وأثناء كري إبله كان يمارس التجارة فيشتري ويبيع[١١٣]، علاوة على ممارسة كثير من العرب والبدو كري دوابهم وإبلهم وسلاحهم وحتى أنفسهم[١١٤] .

وكان للقافلة التجارية دليل واحد أو أكثر[١١٥]، من أجل اتخاذ معظم القرارات، نظراً لمعرفتهم بمسالك الطرق، ومواطن الآبار، والعيون والمراعي[١١٦]، فهم يستدلون بالمظاهر الأرضية نهاراً، والاهتداء بالنجوم ليلاً[١١٧]، لقوله تعالى : "وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر"[١١٨]، ومن وظائفهم أيضاً المحافظة على النظام اليومي للمسير من أجل قطع مسافة معينة من الرحلة[١١٩]، وقد عمل النصارى في بلاد الشام أدلاء[١٢٠] لخدمة القوافل التجارية .

ويرافق القوافل الكثير من الحراس المسلحين والخفراء[١٢١] الذين يبدأون المسير قبل الفجر بساعات من أجل قطع مسافة كبيرة تصل في بعض الأحيان إلى ثلاثين ميلاً[١٢٢]. وقد وجدت خانات لخدمة المسافرين والتجار، حيث أطلق عليها فنادق لاستراحة المسافرين ودوابهم[١٢٣]، إلى جانب مرافقة الكلاب للقوافل التجارية[١٢٤] أينما سارت وحيثما حطت، لأنها لا تنام ليلاً، وبالتالي تحرس البضائع والمسافرين، ويستعان بها في مطاردة اللصوص وقطاع الطرق، وإذا كانت الرحلة طويلة توقفت القافلة مرتين في

اليوم من أجل وجبتي الإفطار والعشاء، ثم يستمرون في السير بحيث لا يتوقفون أثناء الظهر[١٢٥] .

أما من الناحية الزراعية، فإن أبعار الإبل لها أهمية كبرى في تسميد الأراضي الزراعية[١٢٦]، كما استخدمت في نقل المياه من الآبار لري الأراضي الزراعية، وكانت تسمى الإبل النواضح، فيروي السمهودي أن عنبسة بن سعيد بن العاص كان يستخدم أربعين بختيا لري مزارعه[١٢٧]، ولمحمد بن عمران عدد من الإبل التي كان يستخدمها في ضيعته[١٢٨] .

الأهمية العسكرية للإبل

كان للإبل دورٌ عسكري هام لدى قبائل العرب. وهو دور لا يقل عن دور الخيول. فقد كانت القبائل العربية تستخدم الإبل في نقل المقاتلين وأسلحتهم وأدواتهم الحربية[١٢٩] عندما يتوجهون لغزو مناطق للسيطرة عليها .

ويبدو أن عدد الإبل عند المسلمين الأوائل لم يكن كافياً ابتداءً حيث كان يتعقب البعير أكثر من مقاتل، فكان عدد الإبل في غزوة العشيرة ثلاثين، بينما كان عدد المقاتلين مائة وخمسين[١٣٠]. وفي سرية نخلة كان كل رجلين يتعقبان بعيراً واحداً[١٣١] .

ويمكن القول بأن السبب الذي أدى لنشوب معركة بدر الكبرى سنة ٢ هـ/٦٢٣م الخروج للهجوم على قافلة تجارية مكونة من ألف جمل[١٣٢] تحمل البضائع من الشام للحجاز، بينما بلغ عدد الإبل في غزوة بدر سبعين بعيراً، ووصل عدد المقاتلين إلى ثلاثمائة مقاتل أو يزيدون[١٣٣]، ولكن بعد ذلك ازداد عدد الإبل في غزوة تبوك سنة ٩هـ/ ٦٣٠م حيث بلغ اثني عشر ألف بعير[١٣٤]، واستعملت الإبل في القتال، فقد قوتل عليها في عدة معارك[١٣٥]، كما أن الخليفة أبو بكر الصديق قاتل عليها سنة (١١هـ/٦٣٢م)[١٣٦].

أهميتها الاجتماعية والصحية والإدارية

فمن الناحية الاجتماعية تسهم الإبل في حل كثير من المشاكل الاجتماعية، وبقدر ما يمتلك العربي من الإبل تقدر ثروته ومكانته الاجتماعية بين القبائل، علاوة على أنها تقوم مقام النقد، فبعدد الإبل يقدر مهر الفتيات[١٣٧] الراغبات في الزواج .

ومما يدل على أهمية الإبل عند عرب شبه الجزيرة العربية في تلك الفترة أن ديات القتلى كانت تدفع عدداً من الإبل كما إنها تدفع فداء، فقد دفعها عبد المطلب فداءً لابنه عبد الله حيث قام بذبح مائة من الإبل فداء له[١٣٨] .

ومن عادات العرب أنهم يسمون إبلهم بأوسام مختلفة حتى يعرف كل إبله[١٣٩] متى اختلفوا، وحيث كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقوم بنفسه بوسم إبل الصدقة[١٤٠] حتى تتميز عن سائر الإبل .

أما من الناحية الصحية فيستخدم لبن الإبل لعلاج بعض الأمراض[١٤١]، كاليرقان والسل والربو، كما تستخدم بعض النساء بول الإبل لغسل شعورهن اتقاء خطر الأمراض والحشرات، كما يدخل في تحضير أدوات التجميل[١٤٢]،وذكر لبيد بن ربيعة أهمية بول الإبل في علاج بعض الأمراض بقوله :

يهوي إلى قصب كأن جمامه سملاتُ بول أغليت لسقيم[١٤٣]

ولم تقتصر أهمية الإبل على النواحي السابقة، بل تجاوزت ذلك إلى الناحية الإدارية حيث ساهمت الخصائص مجتمعة لدى الإبل إلى جعل العرب يستخدمونها في نقل البريد، ولاسيما في اجتياز الصحاري، فليس هناك حيوان يتحمل السير والعطش في الصحاري أكثر من الإبل[١٤٤]، وشاع استخدام الإبل السريعة الجري، لنقل البريد عبر الصحاري والتي لا يستطيع قطعها غير هذه الإبل، ومن هذه الأنواع التي اشتهرت بسرعة الجري، الإبل المهرية[١٤٥]، والبختية[١٤٦]، والتي وصفت بسرعتها وصبرها .

وعرفت الجمازات[١٤٧] كوسائل لنقل البريد حيث شاع استخدامها في القرن ٤هـ/ ١٠م نظراً للحروب والأزمات المتفاقمة التي كانت تستدعي سرعة نقل الأخبار، ولم

يقتصر استعمالها على الحروب إنما استخدمت في جلب أشخاص معينين مطلوبين للسلطة، بل تعدى الأمر ذلك إلى تهريب بعض الأشخاص عليها، كما أن الفتح بن خاقان بن أحمد، وزير المتوكل عندما أمره والياً على الشام، وصل إلى دمشق على جمازه[١٤٨] اختصاراً للوقت والسرعة .

وخلاصة القول إن الإبل لعبت دوراً هاماً في بناء المسيرة الحضارية للأمم والشعوب إلى جانب الإنسان حتى بداية القرن الرابع عشر الهجري - التاسع عشر الميلادي .

د. خالد أحمد زنيد
جامعة الأزهر - فلسطين

الهوامش

١ – الهمداني، أبومحمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف، صفة جزيرة العرب، طبعة ليدن، ١٩٦٨، ص١ .

٢ – الاصطخري، أبو إسحق إبراهيم بن محمد، كتاب مسالك الممالك، طبعة بريل، ليدن، ١٩٦٧ م، ص١٢–١٣ .

٣ – محمد، محمد عوض، الشعوب والسلالات الأفريقية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٥، ص١١ .

٤ – ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ، ص٤٣ .

٥ – ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى، كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، الطبعة الأولى، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠م، ص١١٧ .

٦ – الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٦٧ .

٧ – المصدر نفسه، ص١٥٠ وما بعدها .

٨ – ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٥–٢٦ .

٩ – المصدر نفسه، ص١١٨ .

١٠ – لوفران، جورج، تاريخ التجارة منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث، ترجمة هاشم الحسيني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ، ص١٩، الهاشمي، رضا جواد، تاريخ الإبل في ضوء المخلفات الآثارية والكتابات القديمة، مجلة آداب جامعة بغداد، ملحق العدد الثالث والعشرون، بغداد ١٩٧٨، ص١٨٧ .

Bulliet, Richard W., The Camel and the Wheel, Harvard University Press Cambridge, Massachusetts, 1975, PP. 148-150.

١١ – جبور، جبرائيل سليمان، البدو والبادية، صور من حياة البدو في بادية الشام، أشرف على تحريره سهيل جبرائيل الجبور، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٨، ص١٥٨ – الحتي، حنا نصر، الإبل العربية الأصيلة، ط١، جروس بروس، طرابلس، لبنان، ١٤٠١هـ/ ١٩٩٠م، ص١٠ .

١٢ - Bulliet, The Camel, P. 87.

١٣ - الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، الطبعة الثانية، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٠، ص١٤٤.

١٤ - الحيتي، الإبل، ص٨.

١٥ - الصانع، محمد عبد الله، الإبل العربية، مراجعة وتقديم سالم المناعي، ط١، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، إدارة التأليف والترجمة والنشر، الكويت، ١٩٨٣، ص٥٩، ١٣٧ - الهاشمي، تاريخ الإبل، ص١٩٧ - جبور، البدو، ص١٥٨ - Bulliet, The Camel, PP. 148-150.

١٦ - ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي، ديوان شعر ذي الرمة، عني بتصحيحه وتنقيحه كارليل هنري هيس مكارثني، طبع على نفقة كلية كمبريدج في مطبعة الكلية، ١٣٧١هـ/ ١٩١٩م، ص ٦٣٢.

١٧ - الصانع، الإبل، ص٥٩ - جبور، البدو، ص١٥٥.

١٨ - الاصطخري، مسالك الممالك، ص٢٥.

١٩ - ابن لوقا، قسطوس، الفلاحة اليونانية (الرومية)، ترجمة سرجس بن هليا الرومي، المطبعة الوهابية، القاهرة، ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، ص١٢٩-١٣٢ - ديمومبين، موريس، غودفروا، النظم الإسلامية، نقله إلى العربية فيصل السامر وصالح الشماع، ط١، دار النشر للجامعيين، مطبعة حداد، بيروت، ١٦١، ص٢٠٩.

٢٠ - الاصطخري، مسالك الممالك، ص٦٢.

٢١ - لوبون، جوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الطبعة الثالثة، إعادة طبعه دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٦٢.

٢٢ - الحمارنة، صالح، المراكز التجارية في الأرض الأردنية وعلاقتها مع جيرانها قبل الإسلام، ضمن كتاب:

Studies in the History and Archaeology of Jordan Department of Antigites,by Adnan Hadidi, 3 Vol., Amman, Hashemite Kingdom of Jordan, 1982-1987, Vol. 3. PP. 318-320.

٢٣ - المؤلف نفسه، دور جذام في الفتوح الإسلامية، دراسات تاريخية، العدد ١٩/٢٠، دمشق ١٩٨٥ م، ص١٥٠.

٢٤ - عباس، إحسان، تاريخ بلاد الشام من ما قبل الإسلام حتى بداية العصر الأموي، ٦٠٠-٦٦١. نشر لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص١٥٧.

٢٥ – الصانع، الإبل العربية، ص١٣٢، ١٣٣، ١٣٧ .

Franck, Irene M., David M.Brownstone, Th Silk Road Printed in The United States, New York,Oxford, England, 1986, P.48, Yagil, R.,Camels and Camel, Milk, Food and Agriculture, Organization of the United nations Rome, 1982, PP. 1, 4 .

٢٦ – لوبون، جوستاف، حضارة العرب ص٦٠ – الحيتي، الإبل، ص١٠٠– ١٠١

Beebe, Keith, The Dromedary Revolution, the instite antiguity and Christianity, the Claremont Graduate School, Occidental College, 1990, P.16.

٢٧ – الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٠٢ .

٢٨ – السمهودي، نور الدين علي بن أحمد، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ٤ أجزاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ج٣، ص١٠٩٤ .

٢٩ – الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٠ أجزاء، القاهرة، ١٩٣٢م، ج١، ص٣٠٠ .

٣٠ – الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ٢٤ جزءا، ج٧ – ج١٦، طبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٣٠، ج١٧ –ج٢٤، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ج٢٠، ص١٩٩ .

٣١ – نفس المصدر السابق، ج١٩، ص١٠٣ .

٣٢ – البكري أبو عبد الله عبد العزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، ٤ أجزاء، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٤ – ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٥ –١٩٤٩م، ج١، ص٧٧

٣٣ – المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، إقناع الأسماع ما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤١م، ص٢٤٧ .

٣٤ – الأصفهاني، المصدر السابق، ج٢٤، ص٢٠٩ – ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي، معجم البلدان، ٥ مجلدات، نشر دار صادر، بيروت، ١٩٧٩ –١٩٨٦م، مج٣، ص ٣٤١ .

٣٥ – الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص٣٢٤ .

٣٦ – ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، دار المعارف، ١٩٦٦م، ج١، ص٤٦٨ .

٣٧ – الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص٣٣٩ .

٣٨ – نفس المصدر السابق، ج١٨، ص٧ – ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد، العقد الفريد، ٦ أجزاء، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٨ – ١٩٥٣م، ج٣، ص٣٢٥ .

٣٩ – الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٨٨، وضرية لا تزال قرية موجودة وتبعد عن المدينة حوالي ٢٥٠ كيلومترا تقريبا – أنظر : دراز، عمر، الحمى في شبه الجزيرة العربية، مجلة العربي، العدد ٢١١، ١٩٧٦م، ص٢١١ .

٤٠ – السمهودي، وفاء الوفاء، ص١٠٨٢، ١٠٩١، ١٠٩٢ .

٤١ – بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة عامرة، أنظر : ياقوت، معجم البلدان، مج٤، ص٢٨٢ .

٤٢ – ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٢٨ جزء في ١٤ مجلدا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ج٠، ص٣٦٦ .

٤٣ – المصدر نفسه، ج٣، ص٣٦٦ .

٤٤ – المقريزي، إقناع الأسماع، ص ٢٠٥ . النقيع موضع قرب المدينة المنورة كان لرسول الله – عليه الصلاة والسلام – . أنظر : ياقوت، معجم، مج ٥، ص٣٠١ .

٤٥ – الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، ٨ أجزاء، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ج٤، ص٢٢٩ .

٤٦ – البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٦٣٣، ج٣، ص٨٦٠ .

٤٧ – ابن سعد، الطبقات، ٨ أجزاء، مطبعة بريل، لندن، ١٣٢٢هـ، ج٣، ص٣٠٢، ٣٠٦ .

٤٨ – المصدر نفسه، ج٥، ص٢٨١ .

٤٩ – السمهودي، وفاء الوفاء، ج٣، ص١٠٩٣ – ١٠٩٤ .

٥٠ – ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، جزءان، تحقيق طه محمد الزيني، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ج١، ص١٧٦ .

٥١ – العصامي، عبد الملك بن حسين، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ، ص٣٥–٣٦ .

٥٢ – ابن الزبير، القاضي الرشيد، كتاب الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، مراجعة صلاح الدين المنجد، الكويت، ١٩٥٩م، ص١١ .

٥٣ – الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص٢٦١ .

٥٤ – الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص٢٦١، والفلج يعرف الآن باسم الباطن، أنظر : الحربي، ابراهيم بن إسحق، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق محمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، مطبعة المتنبي، بيروت، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص٥٣٥، حاشية رقم (١) .

٥٥ – ابن بكار، أبو عبد الله الزبير، جمهرة نسب قريش وأخبارها، الجزء الأول، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٣٨١هـ، ج١، ص١١٥-١١٦ .

٥٦ – المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، ٤ أجزاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ، ج١، ص١٦٧ .

٥٧ – السمهودي، وفاء الوفاء، ج٣، ص١٠٩٤ .

٥٨ – الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص١٧٦ . الفلج : ويعرف اليوم باسم الباطن . أنظر الحربي، المناسك، ص٥٣٥، رقم (١) .

٥٩ – ابن بكار، جمهرة، ج١، ص٤٨٦، والفرش هو فرش ملل، ويبعد عن المدينة ثلاثين ميلا، أنظر : الحربي، المناسك، ص٤٤١ .

٦٠ – الحيتي، الإبل، ص١٠٠-١٠١ – Yagil, Camels, P.40

٦١ – الدميري، كمال الدين محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، جزءان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، بدون تاريخ، ج١، ص٢٠٢ .

Grant, Christina Phelps, The Syrian Desert, Govavans, Traveland Exploration, London, 1937, P. 235.

٦٢ – الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة، ديوان الفرزدق، شرحه وقدم له علي فاعور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م، ص٦٠٠ .

٦٣ – الهاشمي، تاريخ الإبل، ص١٩٥ .

٦٤ – Bulliet, The Camel, PP. 22-27.

٦٥ – القزويني، زكريا محمد بن محمد، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، قدم له وحققه فاروق سعد، الطبعة الرابعة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٤٠٤-٤٠٥ – الدميري، حياة، ج١، ص١٤ .

٦٦ – جبور، البدو، ص١٥٩ – الحيتي، الإبل، ص١٠٠ .

٦٧ – الحيتي، الإبل، ص١٠٠ .

٦٨ – المرجع نفسه، ص٩٦ .

٦٩ – Bannister, J.P., Asurvery of the Holy Land, no details, 1843, P. 184.

٧٠ – القزويني، عجائب، ص٤٠٤–٤٠٥، الدميري، حياة، ج١، ص١٤ .

The Encyclopaedia Americana, International edition, 30 vols, New York, U.S.A. 1978,Vol. 5,P.261.

Beebe, The dromedary, P. . 15-16, Bulliet, The Camel, PP.22-27.

٧١ – الصائغ، الإبل، ص٨٣ .

٧٢ – الحيتي، الإبل، ص٩٦–٩٧ .

٧٣ – المرجع نفسه، ص٩٦–٩٧ .

٧٤ – الهاشمي، تاريخ الإبل، ص١٩٥، جبور، البدو، ص١٦٢ .

٧٥ – The Encyclopaedia Americana, V. 5, P. 262 .

٧٦ – جبور، البدو، ص١٦٢، الحيتي، الإبل، ص٩٦ .

٧٧ – الحيتي، الإبل، ص٩٦ . والسامرائي، عبد الحميد حسين . القائد الخالد خالد بن الوليد . طبع دار المعرفة بغداد ١٩٥٥م ص١٩٨ و٢٣٤ و٢٤٤ عن الطبري، ج٤، ص٤١ و٤٤ .

٧٨ – المرجع نفسه، ص١٠٥، Bunnister, Asurvery, P. 184.

٧٩ – The Encyclopaedia Americana, Vol. 5, P. 262.

٨٠ – Beebe, The dromedary, P. 16, The Encyclopaedia Americana, Vol. 5, P.262

٨١ – الحيتي، الإبل، ص١٠٥ .

٨٢ – The Encyclopaedia Americana, Vol. 5< P. 262.

٨٣ – بليايف، ي.ا. العرب والإسلام والخلافة العربية، نقله إلى العربية أنيس فريحة، وراجعه وقدم له محمود زايد، الطبعة الأولى، مطابع الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٣، ص ٨٧ –٨٨ .

٨٤ – الهاشمي، تاريخ الإبل، ص١٩٥ .

Yagil, Camels, P. 4, Beebe, The Dromedary, PP. 15-16.

٨٥ – The Encyclopaedia Americana, Vol. 5, P. 263, Beebe, The Dromedary, P.15

٨٦ – الهاشمي، تاريخ الإبل، ص١٩٥ .

٨٧ – الدميري، حياة الحيوان، ج١، ص١١٤–١١٥، الغزولي، علاء الدين علي بن عبد الله، مطالع البدور في منازل السرور، جزءان، الطبعة الأولى، ١٣٠٠هـ، ج٢، ص١٨٥ .

٨٨ – القرآن الكريم، سورة النحل، آيات ٥–٧ .

٨٩ – الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، كتاب القول في البغال، حققه وعلق عليه شارل بلا، الطبعة الأولى، شركة مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥ م، ص٢٠، الصانع، الإبل، ص٥٩، بليابيف، العرب، ص٨٧–٨٨ .
Yagil, Camels, PP. 1, 4

٩٠ – كحالة، عمر رضا، مباحث اجتماعية في عالمي العرب والإسلام، مطبعة الحجاز بدمشق، دمشق، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص١٠٣، الصانع، الإبل، ص١٥٣، ١٦٥، ١٧٥، الهاشمي، تاريخ الإبل، ص١٨٥، ٢٣٢ .

٩١ – الحيتي، الإبل، ص٥٩ .

٩٢ – جبور، البدو، ص١٧٦، الحيتي، ص١١٨ .
The Encyclopaedia Americana, Vol. 5, P. 263.

٩٣ – جبور، البدو، ص١٧٤–١٧٦، الحيتي، الإبل، ص١٢٠ .

٩٤ – الأزرقي، محمد بن عبد الله بن أحمد، كتاب أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، غتنغة، ١٢٧٥هـ، ص٣٩٦ .

٩٥ – الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ١٠ أجزاء، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠/١٩٦٩م، ج٦، ص٤٢٧، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب، تاريخ اليعقوبي، ٣ أجزاء، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م، ج٢، ص٢٨٤ .

٩٦ – الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص٢٢١ .

٩٧ – المصدر نفسه، ج١، ص٢٥٨ .

٩٨ – كرامرز، ج. اج.، الجغرافية والتجارة، تراث الإسلام، تأليف جمهرة من المستشرقين، بإشراف سير توماس أرنولد، عربه وعلق عليه جرجيس فتح الله، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٧٨، ص١٥٤

٩٩ – الطبري، تاريخ، ج٢، ص ٤٠٧ .

The Encyclopaedia Americana, Vol. 5, P. 257.

١٠٠ – ابن فضلان، أحمد بن فضلان بن العباس، رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، ٣٠٩هـ/ ٩٢١م، تحقيق سامي الدهان، الطبعة الثانية، نشر مديرية إحياء التراث العربي، دمشق، ١٩٧٧، ص١٢٩ .

١٠١ – سعد، أحمد صادق، تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي في ضوء النمط الآسيوي للإنتاج، الطبعة الأولى، دار بن خلدون، بيروت، ١٩٧٩م، ص١٤٠ .

١٠٢ - كرد علي، محمد، خطط الشام، ٦ أجزاء، الطبعة الثالثة، دار العلم للملاين، بيروت، مكتبة النوري، دمشق، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج٥، ص١٦٨ .

١٠٣ - ابن فضلان، رسالة، ص١٢٩ .

١٠٤ - كون، كارلتون، القافلة قصة الشرق الأوسط، ترجمة برهان دجاني، مراجعة إحسان عباس، نشر مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ودار الثقافة، نيويورك، بيروت، ١٩٥٩، ص ٤٨٦-٤٨٧ .

١٠٥ - المرجع نفسه، ص٤٨٥ .

١٠٦ - هوتسما وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، كتاب الشعب، ١٦ مجلدا، إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الشنتاوي وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٩م، مج ١٦، ص٤٦ .

١٠٧ - الغزالي، أبو حامد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م، ج٢، ص٨٥، ج٤، ص٢٦٤ .

١٠٨ - المصدر نفسه، ج٢، ص٨٥، ج٤، ص٢٦٤ .

١٠٩ - الأصبهاني، حلية الأولياء، ج٨، ص٣٣٢ .

١١٠ - النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، ١٨ جزءا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، بدون تاريخ، ج٤، ص٢٩٣-٢٩٤ .

١١١ - المصدر نفسه، ج٤، ص٣٠٥ .

١١٢ - اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٥٩ .

١١٣ - التنوخي، ابو علي المحسن بن علي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ٨أجزاء، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧١/١٩٧٣م، ج٧، ص١٣٠-١٣٣، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ٧ أجزاء، هذبه ورتبه الشيخ عبد القادر بدران، الطبعة الثانية، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م، ج٥، ص٢١٩-٢٢٠ .

١١٤ - عثمان، فتحي، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، ٣ أجزاء، الدار القومية للطباعة والنشر بالاشتراك مع المؤسسة المصرية العامة للأنباء، ودار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢، ج٣، ص١٩٧ .

١١٥ - بليايف، العرب، ص١٣٥-١٣٦، كون، القافلة، ص٤٨٥،

Beebe, The Dromidary, P.8.

١١٦ – الطبري، تاريخ، ج٣، ص٤٠٨، بلياييف، العرب، ص١٣٥-١٣٦ .
١١٧ – حوراني، جورج فضلو، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمة السيد يعقوب بكر، وراجعه وقدم له يحيى الخشاب، نشر مكتبة الأنجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك، ١٩٥٨ م، ص٢٧٥-٢٧٦ .
١١٨ – القرآن الكريم، سورة الأنعام، آية ٩٧ .
١١٩ – كون، القافلة، ص٤٨٦ .
١٢٠ – عباس تاريخ، ص١٥٧ .
١٢١ – حمور، عرفان محمد، أسواق العرب، عرض أدبي تاريخي للأسواق الموسمية عند العرب، الطبعة الأولى، دار الشورى، بيروت، ١٩٧٩م، ص٢٠ .
عباس إحسان، الحياة التجارية في المدينة بعد الهجرة، الثقافة، العدد ٦٧٨، السنة الثالثة عشرة، القاهرة، ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م، ص١١
١٢٢ – كون، القافلة، ص ٤٨٦ .
١٢٣ – Grant, The Syrain Desert, P. 154.
١٢٤ – أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر، المختصر في تاريخ البشر، ٤ أجزاء، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ١٣٢٥هـ، ج١، ص١٧٣ .
١٢٥ – كون، القافلة، ص٤٨٦ .
١٢٦ – جبور، البدو، ص١٧٤-١٧٦، الحيتي، الإبل، ص١٢٠ .
١٢٧ – السمهودي، وفاء الوفاء، ج٣، ص١٠٥١ .
١٢٨ – وكيع، محمد خلف بن حيان، أخبار القضاة، ٣ أجزاء، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٤٧-١٩٥٠م، ج١، ص١٩٧ .
١٢٩ – الجنابي، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤م، ص١٣٠ .
١٣٠ – ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٩-١٠ .
١٣١ – الواقدي، محمد بن عمر، مغازي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ٣ أجزاء، تحقيق مارسدن جونس، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج١، ص١٧، ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص١٠ .
١٣٢ – الطبري، تاريخ، ج٢، ص٤٢١-٤٢٢، بلياييف، العرب، ص١٣٥ .
١٣٣ – الواقدي، مغازي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ج١، ص٢٣-٢٤، ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص١٠ .

١٣٤ - البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، أنساب الأشراف، الجزء الأول، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م، ج١، ص٣٦٨، المقريزي، أمتاع، ج١، ص٤٥٠ .

١٣٥ - ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، السيرة النبوية، ٤ أجزاء، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، ج٤، ص٧٤ .

١٣٦ - الطبري، تاريخ، ج٣، ص٢١٣ .

١٣٧ - جبور، البدو، ص١٧٦ .

١٣٨ - الصالحي الشامي، محمد بن يوسف، سبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد، ٤ أجزاء، تحقيق مصطفى عبد الواحد وآخرين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٢-١٣٩٩هـ/ ١٩٧٢-١٩٧٩م ج١، ص٢٨٩ .

١٣٩ - ابن حجر العسقلاني، ج٣، ص٣٦٦ .

١٤٠ - المصدر نفسه، ج٣، ص٣٦٦ .

١٤١ - Yagil, Camels, P. 24.

١٤٢ - دلو، برهان الدين، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي، دار الفارابي، بيروت، ص٤٠ .

١٤٣ - شيخو، لويس، المجاني الحديثة، ٦ أجزاء، جددها لجنة بإدارة فؤاد إفرام البستاني، الطبعة الأولى حتى الثالثة، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦/ ١٩٧٢م ج١، ص١٢٢ .

١٤٤ - الجنابي، تنظيمات الجيش، ص١٣٠ .

١٤٥ - ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، تحقيق دي جوية، بريل، ١٨٨٥م، ص٢٥٢ .

١٤٦ - الاصطخري، مسالك الممالك، ص٢٥ .

١٤٧ - الجمازات، الجمز العدو السريع، والجمازات، إبل بختية تدرب على نوع من السير السريع، أنظر : الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٩م، ص٨٣ .

١٤٨ - الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد، فوات الوفيات، ٥ أجزاء، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣/١٩٧٤م، ج٣، ص١٧٧ .

المصادر والمراجع

أولاً - المصادر :

= القرآن الكريم .

= الأزرقي، محمد بن عبد الله بن أحمد .

كتاب أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، غتنقة، ١٢٧٥هـ .

= الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٠ أجزاء، القاهرة ١٩٣٢م .

= الاصطخري، أبو إسحق إبراهيم بن محمد

مسالك الممالك، طبعة بريل، ليدن، ١٩٦٧م .

= الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين

الأغاني، ٢٤ جزءاً، طبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٣٠، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م .

= ابن بكار، أبو عبد الله الزبير

جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٣٨١هـ .

= البكري، أبو عبيد الله عبد العزيز

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، ٤ أجزاء، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٤-١٣٦٨هـ/ ١٩٤٥-١٩٤٩م .

= البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر

أنساب الأشراف، الجزء الأول، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف القاهرة، ١٩٥٩م .

= التنوخي، أبو علي المحسن بن علي

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ٨ أجزاء، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧١/ ١٩٧٣م .

= الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر

كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٩م .

كتاب القول في البغال، حققه وعلق عليه شارك بلا، الطبعة الأولى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م .

= ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٢٨ جزءا في ١٤ مجلدا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

= الحربي، إبراهيم بن إسحاق

المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، مطبعة المتنبي، بيروت، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م .

= ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي

صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ .

= الدميري، كمال الدين محمد بن موسى

حياة الحيوان الكبرى، جزءان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت بدون تاريخ

= ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي

ديوان شعر ذي الرمة، عني بتصحيحه وتنقيحه كارليل هنري هيس مكارتني، طبع على نفقة كلية كمبريدج في مطبعة الكلية، ١٣٧١هـ/ ١٩١٩م .

= ابن الزبير، القاضي الرشيد

كتاب الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، مراجعة صلاح الدين المنجد، الكويت، ١٩٥٩م .

= ابن سعد، محمد

الطبقات، ٨ أجزاء، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٢٢هـ .

= ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى

كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، الطبعة الأولى، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠ .

= السمهودي، نور الدين علي بن أحمد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ٤ أجزاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

= الشافعي، محمد بن إدريس

الأم، ٨ أجزاء، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

= الصالحي الشامي، محمد بن يوسف

سبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد، ٤ أجزاء، تحقيق مصطفى عبد الواحد وآخرين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٢-١٣٩٩هـ/ ١٩٧٢-١٩٧٩م.

= الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير

تاريخ الرسل والملوك، ١٠ أجزاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠/ ١٩٦٩م.

= ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد

العقد الفريد، ٦ أجزاء، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٨-١٩٥٣م.

= ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله

تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ٧ أجزاء، هذبه ورتبه الشيخ عبد القادر بدران، الطبعة الثانية، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

= العصامي، عبد الملك بن حسين

سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ.

= الغزالي، أبو حامد بن محمد

إحياء علوم الدين، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

= الغزولي، علاء الدين علي بن عبد الله

مطالع البدور في منازل السرور، جزءان، الطبعة الأولى، ١٣٠٠هـ.

= أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر

المختصر في تاريخ البشر، ٤ أجزاء، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ١٣٢٥هـ.

= الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة

ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له علي فاعور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

= ابن فضلان، أحمد بن فضلان بن العباس

رسالة بن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، سنة ١٣٧٩ هـ/ ١٩٢١م، تحقيق سامي الدهان، الطبعة الثانية، نشر مديرية إحياء التراث العربي، دمشق، ١٩٧٧م.

= ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمذاني

مختصر كتاب البلدان، تحقيق دي غوية، بريل، ١٨٨٥م.

= ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم

الإمامة والسياسة، جزءان، تحقيق طه محمد الزيني، القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٧٦م .

= القزويني، زكريا محمد بن محمد

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، قدم له وحققه فاروق سعد، الطبعة الرابعة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

= الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد

فوات الوفيات، ٥ أجزاء، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣/١٩٧٤م .

= ابن لوقا

قسطوس، الفلاحة اليونانية والرومية، ترجمة سرجس بن هليا الرومي، المطبعة الوهابية، القاهرة، ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م .

= المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد

الكامل في اللغة والأدب، ٤ أجزاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ .

= المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي

إمتاع الأسماع للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤١م .

= النويري، أحمد بن عبد الوهاب

نهاية الأرب في فنون الأدب، ١٨ جزءا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، بدون تاريخ .

= ابن هشام، أبو محمد عبد الملك

السيرة النبوية، ٤ أجزاء، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ .

= الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد

صفة جزيرة العرب، طبعة ليدن، ١٩٦٨م .

= الواقدي، محمد بن عمر

مغازي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ٣ أجزاء، تحقيق مارسدن جونس، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

= وكيع، محمد خلف بن حيان

أخبار القضاة، ٣ أجزاء، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٤٧-١٩٥٠م .

= **ياقوت الحموي**، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي
معجم البلدان، ٥ مجلدات، نشر دار صادر، بيروت، ١٩٧٩-١٩٨٦م .
= **اليعقوبي**. أحمد بن واضح
تاريخ اليعقوبي، ٣ أجزاء، بيروت، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م .

ثانياً - المراجع :

أولا - المراجع العربية والمترجمة :

= **بليابيف**، ي.ا
العرب والإسلام والخلافة العربية، نقله إلى العربية أنيس فريحة، وراجعه وقدم له محمود زايد، الطبعة الأولى، مطابع الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٣ .
= **جبور**، جبرائيل سليمان
البدو والبادية، صور من حياة البدو في بادية الشام، أشرف على تحريره سهيل جبرائيل الجبور، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٨ .
= **الجنابي**
تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأمـــوي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤م .
= **الحيتي**، حنا نصر
الإبل العربية الأصيلة، ط١، جروس بروس، طرابلس، لبنان، ١٤٠١هـ/ ١٩٩٠م .
= **الحمارنة**، صالح
المراكز التجارية في الأرض الأردنية وعلاقتها مع جيرانها قبل الإسلام، ضمن كتاب :
Studies in the historyand Archacology of Jordan Department of Antigites, by Adnan Hadidi, 3 Vol., Amman, Hashemite Kingdom of Jordan, 1982-1987.
= **دور جذام في الفتوح الإسلامية**، دراسات تاريخية، العدد ١٩/٢٠، دمشق، ١٩٨٥م .
= **حمور**، عرفان محمد
أسواق العرب، عرض أدبي تاريخي للأسواق الموسمية عند العرب، الطبعة الأولى، دار الشورى، بيروت، ١٩٧٩م .
= **حوراني**، جورج فضلو

العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمة السيد يعقوب بكر، راجعه وقدم له د. يحيى الخشاب، نشر مكتبة الأنجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك، ١٩٥٨م .

= دراز. عمر

الحمى في شبه الجزيرة العربية. مجلة العربي. العدد٢١١. الكويت. ١٩٧٦م .

= دلــو. برهان الدين

مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٥م .

= الدوري، عبد العزيز

تـاريخ العـراق الاقتصـادي في القرن الرابع الهجري، الطبعة الثانية، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٤م .

= ديموبيد، موريس جودفروا

النظم الإسلامية. نقله إلى العربية فيصل السامر وصالح الشماع، ط١ . دار النشر للجامعيين، مطبعة حداد، بيروت، ١٩٦١م .

= سعد، أحمد صادق

تـاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي في ضوء النمط الآسيوي للإنتاج، الطبعة الأولى، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٩م .

= شيخو. لويس

المجـاني الحديثة، ٦ أجزاء، جددها لجنة بإدارة فؤاد إفرام البستاني، الطبعة الأولى حتى الثالثة، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦/١٩٧٢م .

= الصانع. محمد عبد الله

الإبـل العربيـة، مـراجعة وتقديـم سالم المناعي، ط١، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، إدارة التأليف والترجمة والنشر، الكويت، ١٩٨٣م .

= عباس، إحسان

الحـياة الـتجارية في المديـنة بعـد الهجـرة، الـثقافة، العـدد ٦٧٨، السـنة الثـالـثة عشـرة، القاهرة، ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م .

تـاريخ بـلاد الشـام من ما قبل الإسلام حتى بداية العصر الأموي، ٦٠٠-٦٦١، نشر لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

= عثمان، فتحي

الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، ٣ أجزاء، الدار القومية للطباعة والنشر بالاشتراك مع المؤسسة المصرية العامة للأنباء، ودار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢م .

= **كحالة**، عمر رضا

مباحث اجتماعية في عالمي العرب والإسلام، مطبعة الحجاز بدمشق، دمشق، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

= **كرامرز**، جي. أ ج

الجغرافية والتجارة، تراث الإسلام، تأليف جمهرة من المستشرقين، بإشراف سير توماس أرنولد، عربه وعلق عليه جرجيس فتح الله، الطبعة الثالثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨م .

= **كرد علي**، محمد

خطط الشام، ٦ أجزاء، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت، دمشق، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

= **كون**، كارلتون

القافلة، قصة الشرق الأوسط، ترجمة برهان دجاني، مراجعة إحسان عباس، نشر مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ودار الثقافة، نيويورك، بيروت، ١٩٥٩م .

= **لوبون**، جوستاف

حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الطبعة الثالثة، إعادة طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

= **لوفران**، جورج

تاريخ التجارة منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث، ترجمة هاشم الحسيني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ .

= **محمد**، محمد عوض

الشعوب والسلالات الأفريقية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٥م .

= **الهاشمي**، رضا جواد

تارخ الإبل في ضوء المخلفات الآثارية والكتابات القديمة، مجلة آداب جامعة بغداد، ملحق العدد الثالث والعشرين، بغداد، ١٩٧٨م .

= **هوتسما وآخرون**

دائرة المعارف الإسلامية، كتاب الشعب، ١٦ مجلداً، إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الشنتناوي، وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٩م .

ثانياً ـ المراجع الأجنبية :

= Bannister, J.T.

Survey of the Holy Land, 1843.

= Beebe, H. Keith

The dromedary Revolution, the institute for antiquity and Christianity, the Clarsmont Graduate School, Occidental College, California, U.S.A., 1990.

= Bulliet, Richard W.

The Camel and the Wheel, Harvard University, 1975.

= The Encyclopedia Americana, international edition, 30 vols., New York, U.S.A., 1978.

= Franck, Irene M., and Brownstone, David M.

The Silk Road, New York, U.S.A. Oxford, England, 1986.

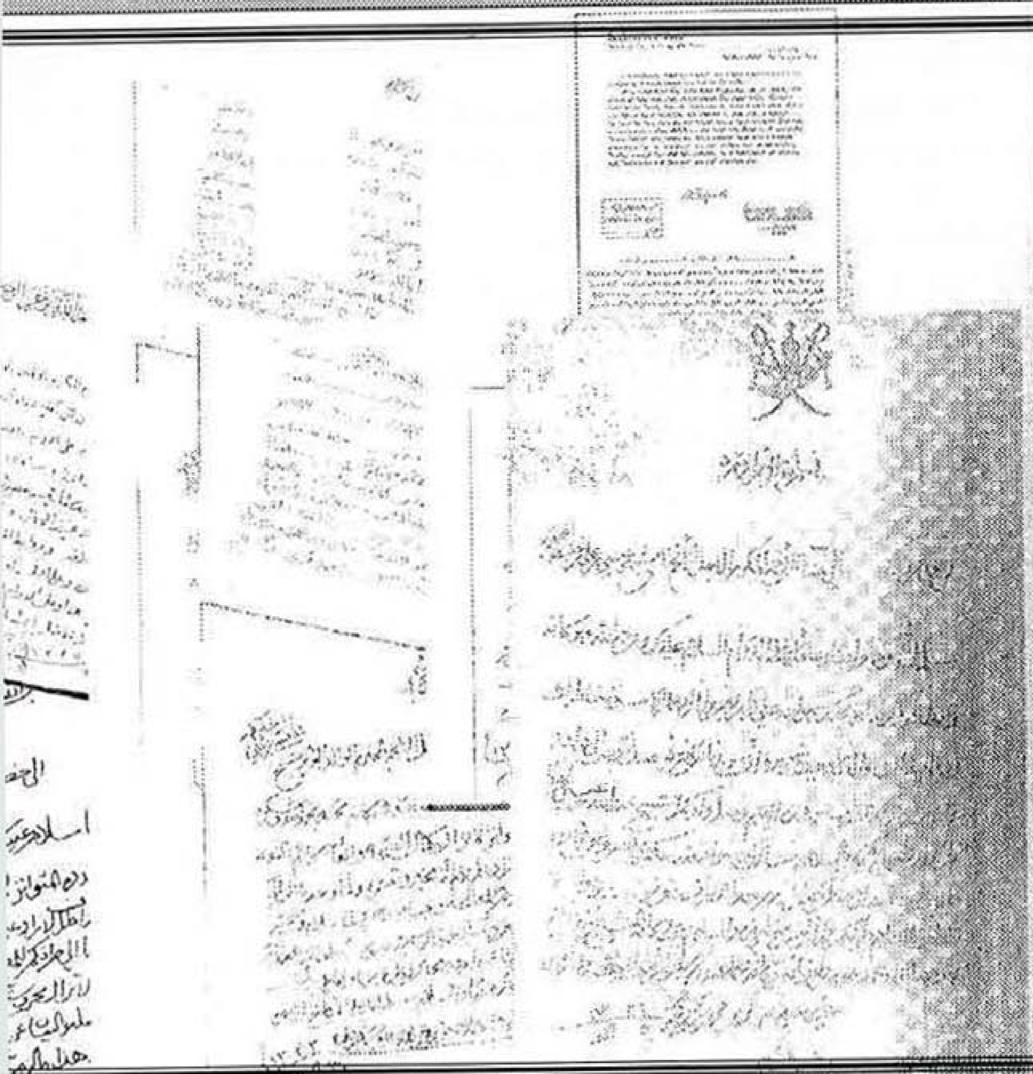
= Grant, Christina Phelps

The Syrian Desert, Caravans, Travel and exploration, London, 1937.

= Yagil R.

Caels and Camel milk, food and agricultural, Organization of the United Nations Rome, 1982.

الوثائق والتوثيق في



بقلم الدكتور محمد كريم إبراهيم الشمري

الوثيقة : دلالتها وأهميتها

لم تكن في العصور القديمة أو الوسطى حدود فاصلة بين الآثار والمخطوطات والوثائق، وكلها مصادر للتاريخ. وبصورة تدريجية وبسبب التطور في أساليب البحث، توزعت المخطوطات وأصبحت تنقل إلى أبنية خاصة أطلق عليها أولاً اسم : المكتبات. وتم نقل الآثار إلى المتاحف. كما نقلت الوثائق إلى دور الوثائق، وتشمل الوثائق : الدواوين والسجلات والمراسلات والخرائط والصور والأختام والاتفاقيات والمعاهدات. وأطلق على تلك الدور اسم : الأرشيفات، ومع ذلك فإن هناك تداخلاً واضحاً بين المتاحف والمكتبات ودور الوثائق . فأصبح أمراً طبيعياً أن تجد وثائق مهمة ضمن المكتبات . وقد تضم المتاحف قسماً من نوادر الكتب والمخطوطات. وقد نجدها في المساجد ومراكز العبادة والقصور .

وقبل مواصلة الحديث عن الوثائق وماهيتها وما تشمله وأنواعها وأهدافها، لابد من وقفة سريعة عند اشتقاق هذا اللفظ ودلالته في اللغة العربية، بالرجوع إلى الفعل (وثُق)، فالثقة مصدر قولك : وثق به يثِق (بالكسر) وثاقة وثقة أي : ائتمنه، وأنا واثق به وهو موثوق به وهي موثوق بها وهم موثوق بهم .

ووثقت فلاناً إذا قلت إنه ثقة، وأرض وثيقة : كثيرة العشب موثوق بها، والوثاقة مصدر الشيء الوثيق المحكم، والفعل اللازم يوثق وثاقه، والوثاق اسم الإيثاق . قال تعالى في كتابه العزيز : بسم الله الرحمن الرحيم :

"حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق"(١) .

ووُثق الشيء (بالضم) وثاقه فهو وثيق أي صار وثيقاً . والوثيقة في الأمر إحكامه والأخذ بالثقة، والجمع الوثائق .

والوثيق الشيء المحكم، والجمع : وثاق .

ويقال : أخذ الوثيقة في أمره، أي بالثقة .

وتوثق في أمره : مثله. ووثقت الشيء توثيقاً، فهو موثق .

والوثيقة : الإحكام في الأمر، والجمع وثيق .

والوثيق هو العهد الوثيق، والموثق والميثاق : العهد، والجمع : المواثيق، وقيل الجمع : المواثق .

والمواثقة : المعاهدة، ومنه قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم : **"واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به"**(٢) .

والميثاق : العهد. مفعال من الوثاق .

واستوثقت منه. أي أخذت منه الوثيقة(٣) .

ووردت في القرآن الكريم مفردات الوثاق والميثاق في مواضع عدة لا مجال لذكرها هنا يمكن الرجوع إليها، منها قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم :

"وإذ أخذنـا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله"[٤]. وقوله عز وجل، بسم الله الرحمن الرحيم : "فيومئذ لا يعذب عذابه أحد، ولا يوثِق وَثاقه أحد"[٥]. وقوله تعالى: "فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية"[٦].

والوثيقة Document لا تعني النص المخطوط أو الخبر المروي فقط، بل أن مضمونها أوسع من ذلك، فهي تشمل : القبور والأبنية والأسلحة والأدوات والملابس والسجلات الرسمية والمعاهدات والاتفاقيات والوثائق السياسية، وكلها آثار مادية. كما تشمل الوثيقة الروايات والقصص والأساطير والأقوال والحكم سواء أكانت شفوية مروية أم مكتوبة. فضلاً عن الوثائق الكتابية أو اليدوية مثل : التصاوير والمشاهد التاريخية وبعض الحفلات والكتابات والنقوش[٧].

من كل ما سبق نستطيع القول أن الوثائق هي الأصول التاريخية. والتاريخ يعتمد اعتماداً أساسياً على الأصول. لذلك قيل : "إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ"[٨]. ويقصد بالأصول الآثار التي خلفتها عقول السلف أو أيديهم، وأن البحث والتفتيش عن الآثار التي خلفها السلف هو واجب المؤرخ[٩]. وبهذا المعنى تلتقي الأصول وتقترب من الوثائق. ولعلها تتطابق في المعنى. فالوثائق هي الأدلة لأنها وثقت أي : دونت، سواء أكانت آثاراً مادية أم آثاراً مدونة أي كتابية.

والبحث عن الوثائق من العمليات الأساسية في كتابة التاريخ، وعملية الكشف عن كمية من الوثائق المهمة عن موضوع معين، هي التي تحدد إمكانية الاستمرار في البحث التاريخي أو العدول عنه. وقيمة أي وثيقة ترتبط بالمعلومات التي تشتمل عليها. ولأهميتها قيل : "وحيث لا توجد الوثائق ينعدم وجود التاريخ". لأنه ليس هناك ما يمكن أن يعوض عن ضياع تلك الوثائق. فالباحث الذي لا يمكنه الوصول إلى مجموعة الوثائق الأساسية لبحثه لا تكون له قيمة علمية مهما كانت كفايته وقدرته على العمل[١٠].

وقد يكون الغرض من الوثيقة حاجة الناس إليها في ذات العصر الذي أنجزت فيه. مثل الأبنية والقبور والألبسة والسجلات الرسمية والوثائق السياسية، ولا يخفى ما لهذه

الوثائق من أهمية آنية قريبة بالنسبة إلى الإنسان . وقد يكون الغرض من الوثائق أن تنتفع منها الأجيال اللاحقة، ولكي يقفوا عن كثب على أخبار ومجهودات وأحداث من سبقوهم لأخذ الدروس والعبر. لكي تتواصل الحضارة وينتقل التراث . وقد تكون الوثائق شفهية مثل الروايات والقصص والملاحم والأقوال المأثورة، وربما وردت إلينا مكتوبة أو مصورة أو صنعت بيد الإنسان، ومن أمثلتها التصاوير التي تمثل المشاهد التاريخية، أو الكتابات والنقوش الموجودة على الأبنية(١١) .

تعد الوثائق من الأصول التاريخية التي يعتمد عليها التاريخ، وتخضع إلى منهج البحث التاريخي، وتمر بالمراحل التالية :

١ – جمع الوثائق أو الأصول .

٢ – نقدها سلباً أو إيجاباً .

٣ – مرحلة التأليف بين الحقائق وتركيبها وعرضها .

وتخضع الوثائق لمناهج النقد بنوعيه: النقد الخارجي والنقد الداخلي معاً .

١ – **النقد الخارجي** : ويتناول دراسة المادة التي كتبت عليها الوثيقة كالورق أو البردي أو الرق أو القماش أو الجلد، وكذلك دراسة علامات الإثبات، سواء أكانت أختاماً أم توقيعاً للتأكد من صحتها ومن كونها صادرة عن الشخص الذي تنسب إليه الوثيقة، ثم دراسة أسلوب الخط لمعرفة العصر الذي تعود إليه .

٢ – **النقد الداخلي** : ويتناول دراسة اللغة المستعملة والصيغ الواردة في الوثيقة، مثل عبارات الافتتاح (الديباجة)، والموضوع الذي تتناوله الوثيقة (نصوصها) وعبارات الاختتام والتاريخ(١٢) .

ونظراً للأهمية الكبيرة للوثائق فقد تنبهت الدول منذ أقدم العصور إلى الاهتمام بها وحفظها وسن القوانين والتشريعات التي تنظم الإفادة منها وحمايتها .

أما المقصود بالتوثيق Documentation من الناحية الاصطلاحية، فإنه يعني جمع الوثائق والمستندات ونقدها وتمحيصها وتقديمها للناس في هيئة أقرب ما تكون إلى الأصل الذي صدر عن مؤلفها أو صاحبها(١٣) .

علم الوثائق

يعرف علم الوثائق في اللغات الأوروبية باسم علم الدبلوماتيك، Diplomatic بالإنجليزية (دبلوماتك – Diplomatique) بالفرنسية (الدبلوماتك). واشتق الاسم من الكلمة اليونانية Diploma، ومعناها : صحيفة مطوية .

سميت الوثائق بهذا الاسم لأنها كانت تكتب في الأزمنة الماضية إما على قراطيس البردي أو قطع الرق أو الورق بعدما انتشرت صناعته في العالم . ثم تطوى الصحيفة بحيث تصبح ملفوفة وتحزم أحياناً بشريط من الجلد أو القماش، وقد يختم على هذا الشريط حفظاً للوثيقة من العبث والتزييف، لذلك سمي العلم الذي يدرسها بـ : علم الأوراق المطوية، وإن كان يشمل أيضاً دراسة كل السجلات والأضابير التي كانت محفوظة في الدواوين المختلفة[١٤] .

ولما كانت الوثيقة كلمة عامة، فقد أطلقت على المستند قانونياً كان أو غير قانوني. وإزاء هذه العمومية يفضل بعض الباحثين المعاصرين استعمال تعبير أكثر دقة وشمولاً هو : "الوثيقة الدبلوماتية". نسبة إلى علم الدبلوماتيك بالفرنسية أو دبلوماتك بالإنجليزية، عدا بعض العلماء الألمان الذين يفضلون استعمال كلمة بديلة هي : "أركندنلير" . وإذا تتبعنا الأصل الذي اشتقت منه هذه الألفاظ لوجدناه في اللغة اللاتينية بصيغة : دبلوماتيكوس Diplomaticus .

والدبلوما لفظ انحدر عن كلمة إغريقية الأصل هي : دبلو diplo التي وردت بصيغ مختلفة والمعنى الحرفي لها هو : يطوي أو يضاعف doublo أو صفحة مطوية . ومن هنا سمي العلم الذي يدرسها بـ : علم الأوراق المطوية، ومن معانيها : الرسالة التي تطوى مرتين . واستعملها الرومان أول الأمر للدلالة على الجواز أو الإذن بالسفر لصاحبة البريد العام . ومن الدبلوما جاءت كلمة الدبلوجراف diplograph . ويقصد بها الطريقة التي يتم فيها تدوين الكتابة بصورة مضاعفة وفي الوقت نفسه (في آن واحد)[١٥] .

وتنوعت معاني الدبلوما وتعددت، فمن معانيها : الوثيقة المختومة من قبل سلطة حاكمة قوية، واستعملها الإنسانيون في عصر النهضة لتمجيد الأعمال والمنجزات في ميدان الخدمة العامة أو الذين قاموا بأعمال أدبية أو فنية بارزة، وبمرور الزمن تطور المعنى إلى

مبدأ الحفاظ على وثائق العصور الوسطى والعناية بها بصورة عامة أو دراسة هذا النوع من الوثائق. ومن معاني الدبلوما : الرسالة المطوية أو رسالة التوصية أو الورقة الرسمية التي تصدر عن جهة حكومية. أو أنها وثيقة رسمية أو عهد. أو الصكوك والمستندات التاريخية أو الأدبية أو الوثيقة التاريخية.

ومن معاني الدبلوما : وثيقة الشرف. التي تمنح للتشريف أو حيازة مرتبة شرفية. أو تمنح للحصول على امتياز أو ترخيص. وللدبلوما معان أخرى في مجال السياسة ودراسة الوثائق لا مجال لذكرها هنا[١٦].

أما البلوماتيك كفن فيعرف بـ : العلم الذي يختص بتحقيق الوثائق ونقدها. ومن الاشتقاقات المتصلة بالوثائق هي كلمة : الدبلوماتيست. ويقصد بها : الشخص المختص بالوثائق. أو الذي يتولى العمل فيها. وهو ما يعرف اليوم بـ : الموثق. أي وثائقي.

وفي نهاية القرن السابع عشر وضعت قواعد ذلك العلم في أوروبا عندما رجع بعض العلماء إلى الوثائق المحفوظة في الأماكن المعروفة عندهم باسم : "الأرشيف" أو "دور المحفوظات" فدرسوها وأخضعوها لمناهج النقد الخارجي والنقد الداخلي معاً.

وقد أراد عدد من المؤرخين في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي. البحث عن الوثائق العربية لاستخدامها في دراسة تاريخ الحضارة الإسلامية تطبيقاً للمناهج الأوروبية السابقة. فكان محتماً عليهم أن يبحثوا عن الوثائق الأصلية. لكنهم لاحظوا أنه لم تكن هناك عناية بحفظ الوثائق وترتيبها في الدول الإسلامية المتعاقبة خلال العصور الوسطى. كما كان عليه الحال في الدول الأوروبية. وربما كان هؤلاء المؤرخون الذين بحثوا عن الوثائق العربية ودور الوثائق في العالم الإسلامي. قد تأثروا في أحكامهم بدراستهم السابقة للظروف التي نشأ فيها علم الوثائق في أوروبا[١٧].

وظهر مصطلح الأرشيف Archives . ويعني الهيئة التي تتولى مهمة حفظ الوثائق والسجلات والقيود والمدونات بصورة منتظمة. سواء أكانت صادرة عن مؤسسة عامة أو شبه عامة. أو سواء أكانت دائرة أعمال أم هيئة خاصة. وكذلك الدوائر والمصالح والشركات الحكومية التي تقوم بتيسير الأعمال المتصلة بشئونها وحفظها وحفظ ما يخص تاريخ الإنسان[١٨].

وأصل كلمة (أرشيف) مشتق من الكلمة اليونانية (أرخيون) و (أرشيون)، وتطلق على سجلات الحكومة ووثائقها، أي : الأرشيف الحكومي[١٩]، وشاع استعمال الأرشيف في أغلب لغات العالم، وصار علماً قائماً بذاته أطلق عليه : أرشيفولوجي Archivology .. واستعملت لفظة أرشيف في اللغة العربية، نظراً لشيوع استعمالها في لغات العالم، ولدلالاتها اللغوية والاصطلاحية، وحداثة الدراسات والتنظيمات الوثائقية، وكان معظم ما كتب عن هذا العلم باللغات الأجنبية[٢٠] .

أما المجموعة الأرشيفية فهي تعني مجموعة الوثائق ذات الوحدة العضوية، التي تتوفر فيها شروط محددة من أهمها : أن تكون نتاجاً لإدارة ذات شخصية اعتبارية سواء كانت أوراقاً خاصة بوزارة أو مصلحة أو شركة أو مؤسسة . على أن تحتفظ تلك الأوراق بنفس الترتيب والتسلسل الذي نشأت به في الوحدة الأم، دون حدوث خلل في هذا الترتيب .

أما الوثائق الخاصة فهي مجموعة الوثائق التي يمتلكها الأفراد أو الأسر، لذا لا تعد مجموعة أرشيفية، لأنها ليست نتاج إدارة ذات اعتبار، كما أنها تفتقد عنصر الترابط العضوي، والوثائق المتنوعة هي مجموعة أوراق تتناول مواضيع مختلفة ومتباينة جمعت من جهات متعددة كجزء من جهود المسئولين في مراكز الوثائق، التي تهتم بجمع هذه المجموعات وحفظها على الرغم من تباينها بهدف إعدادها للبحث، ويعد هذا الهدف الفيصل بين ما يحفظ في المصالح الحكومية لأغراض إدارية، وما يحفظ في مراكز الوثائق لغرض البحث والدراسة[٢١] .

علم الوثائق العربية

لقد نوهنا إلى أن عدداً من المؤرخين بحثوا عن الوثائق العربية ودور الوثائق في العالم الإسلامي، وأنهم تأثروا في أحكامهم بسابق دراستهم للظروف التي نشأ فيها علم الوثائق في أوروبا، وذلك للتمييز بين الصحيح والزائف من الوثائق، أي أن هناك حاجة قانونية هي التي دفعت إلى وضع قواعده في أوروبا، فكان لابد من الرجوع إلى الوثائق الأصلية .

لإخضاعها لمناهج النقض الخارجي والداخلي، ثم انتقل علم الوثائق إلى ميدان التاريخ، وأصبح أحد العلوم المساعدة له .

وعلى الرغم من وجود العقبة السابقة، فإن ذلك لم يمنع البعض من المستشرقين أن يحاول وضع قواعد علم الوثائق العربية، من ذلك ما قام به جروهمان اعتماداً على مجموعات البردي التي نشرها، وأراد أن يستنبط منها تصنيفاً كاملاً للوثائق العربية وأحكام كتابتها وأجزاءها وأشخاص الوثيقة وعلامات الإثبات . كذلك قام المستشرق بجوركمان بمحاولة مماثلة، إذ نشر في الطبعة الجديدة من دائرة المعارف الإسلامية مقالاً تحت عنوان : "ديبلوماتيك"، حاول فيه أن يضع أسس علم الوثائق العربية، لكنه اعتمد في مقاله اعتماداً شبه كامل على مصدر واحد هو كتاب : صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي المتوفى عام ٨٢١هـ/ ١٤١٨م .

وعقب صدور مقالة بجوركمان، نشر المستشرق الفرنسي كلود كاهين أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة السوربون بحثاً نقد فيه المحاولتين اللتين قام بهما جروهمان وبجوركمان لوضع قواعد علم الوثائق العربية، لأن كلاً منهما اعتمد على مصادر معدودة في دراسته، وأشار إلى وجود مصادر أخرى مهمة جداً لابد من دراستها قبل وضع قواعد هذا العلم .

قسم الأستاذ كاهين تلك المصادر إلى قسمين :

١ - قسم يتعلق بالوثائق العامة **Acte Public** :

وهي الوثائق التي كانت تصدر عن ديوان الإنشاء والدواوين الأخرى التي نشأت في العالم الإسلامي في مختلف العهود، مثل : ولاية العهود وتعيين الوزراء والقضاة والمحتسبين ووثائق الإقطاع، وكذلك الرسائل المتبادلة بين القوى الإسلامية وبين الدول الأخرى، والمعاهدات المعقودة بين الطرفين .

وحفظت لنا بعض كتب التاريخ وبعض كتب الإنشاء صوراً لتلك الوثائق. وعلى الرغم من أن الذين نقلوا هذه الصور عن مصادرها الأصلية حذفوا منها أجزاء عدوها غير مهمة، مثل : صيغ الافتتاح وصيغ الانتهاء والتواريخ وعلامات الإثبات، إلا أنه عن

طريق مقارنة هذه الصور بالمؤلفات التي قصد بها تعليم الكتاب فن الإنشاء أو الكتب الفنية الأخرى، يمكننا إلقاء كثير من الضوء على قواعد كتابة الوثيقة العامة .

٢ - القسم الثاني من المصادر هو مجموعة المؤلفات في "علم الشروط" وما يتصل به من علم المحاضر والسجلات، وحفظت لنا دور الكتب العامة والخاصة في أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي عدداً من هذه المؤلفات[٢٢] .

أثار الأستاذ سالم الألوسي[٢٣] تساؤلاً صيغته : هل عرف العرب والمسلمون علم الدبلوماتيك ؟. وهل تحققت لديهم مساهمات ومنجزات في هذا العلم ؟

وفي معرض إجابته عن هذا التساؤل ذكر أنه أطلق على الدبلوماتيك اسم : "علم تحقيق الوثائق" . وكانت هنالك صعوبة بالغة في إيجاد كلمة مناسبة دالة معبرة ومطابقة تماماً لما تعنيه لفظة "الدبلوماتيك" في لغاتها الأوروبية . كما ذكر أنه تريث كثيراً فيما يراه بعض الباحثين الأوروبيين في أن علم الدبلوماتيك كان معروفاً عند العرب والمسلمين وشائعاً في مأثوراتهم الأدبية والفقهية والتاريخية وكتب الإنشاء تحت اسم : "علم الشروط" . وهي تنتظر جهود المخلصين لرصدها وجمعها واستخراجها من بطون الكتب، ومن ثم دراستها دراسة نقدية وفق منظور علمي حديث وفي ضوء الدراسات المنهجية والقواعد الموضوعة لهذا العلم مستفيدين من تجارب الأمم الأخرى .

ولكون أصول هذا العلم جاءت متفرقة مبثوثة في العديد من الكتب والمصادر، فإن إيراد بعض الأمثلة قد يفيد في رسم الخطوط العامة له . وفي هذا المجال يمكن القول أن أقدم عملية دبلوماتية تتمثل في تدوين القرآن الكريم واعتماد نسخ موثقة وزعت على الأمصار. وكذلك جمع وتدوين الحديث النبوي الشريف .

وفي الآونة الأخيرة نشر أحد الأساتذة العرب[٢٤] بحثاً قيماً وجه فيه الأنظار إلى جهود فريق من علماء أوروبا من المتخصصين في الدراسات الإسلامية ممن تصدوا لمعالجة هذا الموضوع ودراسته موجهين الأنظار إلى حقيقة مهمة، هي أن علم الدبلوماتيك كان معروفاً لدى العرب والمسلمين باسم : "علم الشروط". وقد تكون كلمة الوثائق Charter أو Charte مشتقة من لفظة (الشرط) العربية ومنحدرة عنها. ومن أبرز العلماء الذين تصدوا لهذا الموضوع : كلود كاهن. بيوركمان. قره باجيك. جروهمان. بيل. بيكر. ديتريش وآبوت .

ومن هنا يجب إعادة النظر - من وجهة دبلوماتية - في تاريخنا العربي الإسلامي. وعلى الخصوص تاريخ الوزارة وتاريخ الدواوين وواجباتهما في العصرين الأموي والعباسي[٢٥]

أثر علم الشروط في تكوين علم الوثائق العربية

تشكل المؤلفات الخاصة بعلم الشروط القسم الثاني من المصادر الإسلامية التي تبحث في الوثائق. ولأهمية هذه المؤلفات سوف نستعرض بداية ظهورها وأبرز من ألف فيها من العرب والمسلمين.

ظهر هذا العلم في المدرسة الحنفية في بغداد منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وأول من صنف فيه هلال بن يحيى البصري المتوفى عام ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م، وأبو زيد أحمد بن زيد الشروطي الحنفي الذي ألف فيه ثلاثة كتب كبير وصغير ومتوسط ويحيى بن بكر الحنفي وبكار بن قتيبة والإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي المصري المتوفى عام ٣٢١هـ/ ٩٣٣م. وأقدم ما هو موجود لدينا من المؤلفات في علم الشروط كتاب: (الجامع الكبير في الشروط) لأبي جعفر الطحاوي. واستمر التأليف في كتب الشروط في العصور التالية - كما سنوضح.

كان ظهور هذا العلم ناشئاً بسبب الحاجات العملية اليومية، فنحن نعلم أن القرآن الكريم نص على ضرورة الدين، كما جاء في قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: "يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمىً فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل. . .وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم. لله ما في السماوات وما في الأرض. . . والله على كل شيء قدير"[٢٦].

لكن الفقهاء اختلفوا فيما بعد حول تفسير هذه الآيات، وهل الأمر الوارد فيها أمر واجب أم مندوب.

نحن نعلم أن النظرية الفقهية الإسلامية كانت لا تجيز الاعتماد على الوثيقة المكتوبة، كوسيلة للإثبات عند قيام الدعاوى وطلب البينات، وإنما يتم الإثبات عند القاضي عن طريق شهادة الشهود واليمين . وكان جمهور قضاة المسلمين يرفضون الاعتماد على الوثيقة المكتوبة بغية إثبات الحقوق. خوفاً أن تكون الوثيقة قد تعرضت للتزوير. وعلى الرغم من ذلك فإن الحاجات العملية اليومية كانت تحتم إثبات تصرفات الأفراد القانونية بالكتابة، بسبب أن ذاكرة الشهود لم تكن تتسع إلى تذكر التفاصيل كافة عند تنازع الأطراف ذات العلاقة أمام القاضي .

ومع نشأة الحاجة إلى تسجيل تلك التصرفات بالكتابة. كان لابد من إيجاد قواعد محددة يلتزم بها كاتب الوثيقة، على أن تصاغ كل عبارة لتدل على معنى قانوني محدد، لهذا اتخذ الشروطيون الحيطة والحذر على قدر ما يسعهم الجهد عند انتقاء الألفاظ وتركيب الصيغ الفقهية بحيث تدون وهي على غاية في الدقة، لأن أي اختلاف حول تفسير أي لفظ أو صيغة قد يؤدي إلى الدفع ببطلان الوثيقة عند تقديمها إلى القاضي.

ونتيجة الاهتمام بالحاجات العملية اليومية والاستجابة لوضع القواعد والحلول اللازمة لها . صار علم الشروط هو العلم الذي يبحث في تركيب تلك الصيغ وفي انتقاء الألفاظ المناسبة[٢٧] .

ونستنتج مما سبق أن علم الشروط صار يعني تدوين الأوامر والتعليمات والصيغ والشروط التي تنظم العلاقة بين أفراد المجتمع، فأصبحت بمثابة قواعد وقوانين فقهية وشرعية لابد من الالتزام بها في حل المشاكل والخلافات وتوضيح ما غمض وأبهم من الاختلافات التي تحصل يومياً، فدونت في كتب الفقه وخصوصاً الحنفي منها. وأصبحت تشكل الدعامة الأساسية لعلم الوثائق العربية، أي أنها وثقت واعتمدت في التطبيق العملي من قبل الفقهاء لحسم وحل النزاعات والخلافات بين أفراد المجتمع. وأصبحت بمثابة قوانين ودساتير مطبقة فعلاً لحل تلك المشكلات شرعياً وفقهياً بأسلوب لغوي بلاغي واضح الألفاظ.

وبهدف إجلاء الصورة الواضحة لعلم الشروط، نورد أدناه أبرز التعريفات لهذا العلم. فقد عرفه حاجي خليفة[٢٨] بما يلي : "وهو علم باحث عن كيفية ثبت الأحكام

الثابتة عند القاضي في الكتب والسجلات على وجه يصح الاحتجاج به عند انقضاء شهود الحال، وموضوعه تلك الأحكام من حيث الكتابة وبعض مبادئه مأخوذ من الفقه وبعضها من علم الإنشاء وبعضها من الرسوم والعادات والأمور الاستحسانية .

وهو من فروع الفقه من حيث كون ترتيب معانيه موافقاً لقوانين الشرع . وقد يجعل من فروع الأدب باعتبار تحسين الألفاظ"[٢٩] .

وأوضح الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحوالي[٣٠] الشروط بقوله : "جمع شرط وهي الوثائق وسجلات المعاملات كالبصائر وورق الأجائر والأحكام وغيرها من العقود". ويضيف الأكوع أنه يحتفظ بمجموعة قديمة منها يعود بعضها إلى عهد الهمداني مؤلف صفة جزيرة العرب والإكليل، وهو من رجال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وأخرى تعود إلى عهد يسبق عهد الهمداني، وذكر أنه ثبت تلك الشروط في بعض مؤلفاته .

ووصف روحي أوزجان[٣١] كتاب الشروط الصغير للطحاوي بقوله : "هو كتاب فقهي خلافي . فيما عدا العبادات، يستعرض أقوال أعلام الفقه الإسلامي إلى أوائل القرن الرابع الهجري، مع الأدلة، وما ترجح عنده من المذاهب المنقولة، أو عن طريق الاستنباط المباشر ورسم الشروط التي تكتب في المعاملات الالتزامية مع ذكر الجانب النقلي والعقلي فيها .

وبعبارة موجزة، فهو تأليف في الفقه الخلافي وكتابة العدل، معتصر من جهود القرون الأربعة الأولى للهجرة" .

وهكذا يتضح لنا جلياً أن علم الشروط هو العلم الذي يبحث في الخلافات الفقهية بين المسلمين، وهي الخلافات المتعلقة بالمعاملات والحاجات العملية اليومية، وهي خلافات اعتيادية تنشأ في التعامل والاحتكاك اليومي بين أفراد المجتمع، ووظيفة هذا العلم وضع الشروط التي تؤكد الالتزام بقواعد ومبادئ الشريعة الإسلامية المرتبطة بالاحتكام إلى كتاب الله الكريم القرآن العزيز وسنة الرسول الكريم محمد (ص)، وجهود الفقهاء من خلال فكرهم خلال القرون الإسلامية الأولى وحتى عصر المؤلف الذي ألف كتابه في الشروط الفقهية .

وارتبط بعلم الشروط علم آخر، هو : علم المحاضر والسجلات، وهو العلم الذي يدرس الصيغ اللازمة لكتابة الحكم الذي أصدره القاضي في الدعوى وإثباته في السجلات التي يحتفظ بها عنده في ديوانه[٣٢]، وتعد المحاضر والسجلات من ضمن الشروط وليست شيئاً مستقلاً عنها[٣٣].

أصبحت الشروط صيغة سائدة معمولاً بها في مختلف أرجاء الدولة العربية الإسلامية، فكان لكل مدينة شروطها المرتبطة بها في التعامل، وهي بلا شك وثائق مدونة مطبقة في المعاملات اليومية بين الناس، وقد وصف لنا الهمداني[٣٤] أهل صنعاء، وأبرز ما اشتهروا وعرفوا به، إذ يقول : "ولهم الشروط دون غيرهم، ولا يكون لفقيه من أهل الأمصار شرط إلا ولهم أبلغ منه وأعذب لفظاً وأوقع معنىً وأقرب اختصاراً".

وزودنا ابن الفقيه[٣٥] بصورة من صور التعامل لأهل هجر في شروطهم، إذ يقول : "وأهل هجر يكتبون في شروطهم اشترى جميع الدار بمصورها أي بحدودها".

ونستنتج من هذا الوصف أن الدور كانت تباع في هجر وهي مصورة، أي فيها تحديد، وهو ما معمول به الآن في دوائر الطابو، إذ تحدد حدود الدار بمرتسم يوضح أبعادها وتعطى أرقام الدور المجاورة لها أو الشوارع التي تقع عليها، ويحدد شكلها وفق خارطة واضحة الحدود والمعالم.

احتوت كتب الشروط نماذج كثيرة من المعاملات والمسائل الفقهية التي يمكن تقسيمها إلى قسمين : المسائل الرئيسية والمسائل الجانبية التي تنتظم تحت الأولى من حيث الأصول، ويمكن وصف كتاب الشروط الصغير للطحاوي، إذ أعطى نموذجاً لتحرير الشروط في القسم الأول منه، ولم يفعل ذلك في القسم الثاني دائماً، بل اكتفى بالتنبيه على الاستغناء بما هو مذكور عن غيره، كما اتصف بمنهج واضح في كتابة (الشروط) يتعلق بتقرير القواعد العامة، فهو يذكر ما كتبه الشروطيون المتقدمون من الشروط مع الأدلة، ويجري مقارنة بينها بصورة موضوعية، ثم ينتهي إلى قاعدة عامة شاملة، قد تكون في أكثر الأحايين وليدة القياس على ما هو مجمع عليه، لذلك كان مذهبه في الشروط مفضلاً على المذاهب الأخرى[٣٦].

ويحسن بنا إعطاء القارئ الكريم فكرة عن مقدمة الإمام الطحاوي لكتابه الشروط الصغير، موضحاً فيها دوافع تأليفه، إذ يقول : "بسم الله الرحمن الرحيم، رب يسر

يا كريم . قال أبو جعفر أحمد بن سلامة الأزدي. وسمعته في شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثمائة بفسطاط مصر[٣٧] يقول : أما بعد حمداً لله عز وجل. والثناء عليه بما هو أهله. والصلاة على محمد عبده ونبيه وأمينه على وحيه ورسوله إلى كافة خلقه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. كما ينبغي الصلاة عليه صلى الله عليه وعلى آله أجمعين وسلم تسليماً. فإن الله عز وجل قد قال في كتابه في الديون الآجلة التي تجب لبعض الناس على بعض "يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمىً فاكتبوه"[٣٨] فأمرهم بكتابة ذلك. ليكون تحصيناً لأموال الطالبين. ولأديان المطلوبين منهم . . ."[٣٩]

ونستنتج من مقدمة الطحاوي لكتابه الشروط أن ظهور علم الشروط كان بسبب الحاجات العملية اليومية ، ومنها الديون التي تتم في التعامل بين الناس في المجتمع. فضلاً عن المعاملات اليومية والحياتية الأخرى كالبيع والشراء والإيجار والاستئجار والوقف والوصايا والمواريث والزواج والطلاق والإرث . . .

وفي كتاب الشروط الصغير للطحاوي نماذج متنوعة من المعاملات. وردت في مفردات وعناوين كتابه. منها كتاب البيوع (ص٤ - ١٥). وباب ما يكتب في الضمان بين البائع والمبتاع (ص٨٩). باب ابتياع الرجل الدار والرجلين ومن أكثر منهما (ص١٠١ - ١٠٣) . باب ابتياع الرجلين وأكثر منهما من رجل واحد داراً في صفقة واحدة (ص١٠٩). باب ابتياع الدار إلا منزلاً أو بيتاً منها (ص١١٣ - ١١٦). باب أشرية (جمع شراء) الدور إلا الطرقات التي لغيرها فيها(ص١٢٣) . وتضمنت هذه الفقرات مداخلات وتعليقات من كتاب الشروط الكبير للطحاوي نفسه . أنظر مثلاً : ص٩٠ - ٩٩ .

وطبع كتاب الشروط الكبير بهامش كتاب الشروط الصغير للطحاوي. فهو ذيل عليه تضمن ما عثر عليه في كتاب الشروط الكبير. فقد ورد على ص٣١ ما نصه : "وقال المصنف : رحمه الله في الكبير أثناء الكلام على رسم كتاب الشروط : فأول ما نذكر من ذلك الكتب في الأشرية (جمع شراء) والبياعات على النحو الذي وصفنا إن شاء الله" .

كتاب رجل اشترى من رجل داراً ص٣١ - ٧٧ .

باب شرّي الأعمى وبيعه ص٧٧ - ٧٨ ثم التعليقات الطويلة .

باب شرْي الأخرس وبيعه ص٨٠ – ٨١ ثم التعليقات الطويلة .

باب بيع الجماعة من الواحد والواحد من الجماعة ص١٠٤ – ١٠٨ .

باب ضمان تسليم المبيع إلى المبتاع ص١١١ – ١١٢ .

باب شري الدار إلا بيتاً منها سفلاً وعلواً ص١٢٠ – ١٢٢ .

هذه نماذج من كتاب الشروط الصغير وبهامشه كتاب الشروط الكبير للإمام الطحاوي سقناها ليطلع القارئ الكريم على مضمون كتب الشروط وطبيعة اهتمامها بشئون المعاملات اليومية بين أفراد المجتمع .

كما أورد الأستاذ محمد خضر[٤٠] أمثلة للنماذج التي أوردها الشروطيون للوثائق المختلفة، تبين أهمية دراسة هذا العلم عند دراسة علم الوثائق العربية، منها نموذج أورده الطحاوي لوثيقة بيع دار، وهناك أنواع أخرى من البيوع اجتهد الشروطيون في وضع عباراتها وألفاظها، مثل بيع الرقيق وبيع السلم وبيع الدواب وبيع الثمار وغيرها. وأورد نموذجاً من الأندلس لبيع الرقيق .

مؤلفات العرب والمسلمين في علم الشروط

لم يكن أبو جعفر الطحاوي هو أول من ألف في علم الشروط، وإنما سبقه عدد من الشروطيين ذكرهم في كتابه. كما عاصر الطحاوي عدداً من الشروطيين كان منهم : بشر بن الوليد الكندي الحنفي المتوفى عام ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م ونقل عنه الطحاوي في كتابه الشروط الصغير، وإبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي المتوفى عام ٢٣٨هـ، وهلال بن يحيى بن مسلم البصري الحنفي المتوفى عام ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م، وهو أول من صنف في الشروط، ونقل الطحاوي عنه كثيرا في كتابه هذا. وعبد الحميد بن عبد العزيز أبو خازم القاضي المتوفى عام ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م[٤١] .

وأورد حاجي خليفة[٤٢] قائمة طويلة ذكر فيها المؤلفين في علم الشروط، بعد أن خصص عنواناً : (علم الشروط والسجلات). ذكر فيها أن أول من صنف في هذا العلم

هلال بن يحيى الرائي البصري الحنفي المتوفى عام ٢٤٥هـ. ولأبي زيد أحمد بن زيد الشروطي الحنفي ثلاثة كتب : كبير وصغير ومتوسط، وليحيى بن بكر الحنفي. ولأبي جعفر أحمد بن محمد الإمام الطحاوي المتوفى عام ٣٢١هـ/ ٩٣٣م في أربعين جزءا. أوله : أما بعد حمداً لله عز وجل . . .الخ وله الشروط الصغير في خمسة أجزاء والشروط الأوسط.

ذكر أوزجان[٤٣] أن دور النضج والكمال لفقه الشروط بدأ بممارسة الطحاوي كتابة الشروط، واستمر حتى وفاته، واستعرض حياته تفصيلاً والذي يهمنا منها بروزه وشهرته العلمية في مجال التأليف، وعلى وجه الخصوص في علم الشروط، وذكر إشادة المؤرخين بجهوده في هذا المجال، إذ عاصر الطحاوي عدداً من الشروطيين وبرز بينهم وتفوق عليهم منذ شبابه حتى على شيوخه، وشهد له بذلك أهل الشأن، فوصف بأنه كان وجيه النقد في الشروط والسجلات والشهادات. وكان بارعاً في علم الشروط، رسم وطبع خبراته ونتائج تجاربه في الكتب التي ألفها في الشروط.

ألف الطحاوي في الشروط : كتاب الشروط الكبير، وكتاب الشروط الأوسط، وكتاب الشروط الصغير، ومن المؤسف أنه لم يصلنا شيء من كتاب الشروط الأوسط، ووصلنا شيء غير يسير من الشروط الكبير، ووصلنا الشروط الصغير كاملاً دون أي نقص.

ألف الطحاوي كتابه الشروط الكبير أولاً، ثم ألف كتابه الشروط الصغير، وذكر في أوله أنه بدأ به عام ٣٠٥هـ/ ٩١٧م، ولا نعرف هل ألف الأوسط قبل الصغير أم بعده. وكان الطحاوي أكثر دقة في الشروط الصغير منه في الكبير، لأنه استوعب المسائل الفقهية وعناصر فقه الشروط، ثم تطرق إلى جزئيات وتفاصيل تعبيرية في الشروط الصغير أواخر عمره[٤٤].

ومن مؤلفي كتب الشروط والمتخصصين فيه ممن ذكرهم حاجي خليفة[٤٥] آخرون، هم : أبو نصر الدبوس، والحاكم أحمد بن محمد السمرقندي الحنفي المتوفى عام ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م. له كتاب أوله : الحمد لله الملك العلام، رتبه على أربعة وعشرين فصلاً، وشمس الأئمة الحلواني له كتاب سماه البسيط، أوله : الحمد لله الذي رفع علم الشرع وأعلى قدره، وجلال الدين بن محمد العمادي له كتاب أوله : الحمد لله الذي وتد الأرض بالأعلام المنيفة . . . ولصاحب المحيط برهان الدين عمر بن مازة الحنفي،

ولجده الحاكم الشهيد، ولظهير الدين حسن بن علي المرغيناني، ولأبي بكر أحمد بن علي المعروف بـ : الخصاف الحنفي، ولمحمد بن أفلاطون الرومي البرسوي الشهير بـ : أفلاطون المتوفى عام ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م وكان مقدماً فيه، ولهلال بن يحيى الرائي البصري الحنفي المتوفى عام ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م[٤٦]، ذكر الجرجاني في ترجيح مذهب أبي حنيفة أن الشروط لم يسبقه إليه أحد . وأجاب أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي في رده بأن النبي (ص) أول من أملى كتب العهود والمواثيق، منها : عهده لنصارى أيلة بخط علي بن أبي طالب (رضي) .

واستقصى محمد بن جرير الطبري الشروط في كتاب على أصول الشافعي، وسرق أبو جعفر الطحاوي من كتابه ما أودعه كتابه وأوهم (وأخبرهم) أنه من نتيجة أهل الرأي ثم جاء بعده شيخ الشروط والمواثيق أبو بكر محمد بن عبد الله الصيرفي فصنف في أدب القضاء والشروط والمواثيق . وممن صنف في الشروط المزني أملى فيه كتاباً جامعاً، وأبو ثور وكتابه فيها مبسوط، وأبو علي الكرابيسي وبين في تأليفه ما وقع في كتب أهل الرأي من الخلل في شروطهم، وداود بن علي الأصبهاني وشرح في كتابه أصول الشافعي وذكر ما عابه على يحيى بن أكثم من الشروط وابنه أبو بكر وزاد على أبيه أبواباً وفصولاً، ومثله أبو عبد الرحمن الشافعي .

ذكر حاجي خليفة[٤٧] مؤلفات أخرى في علم الشروط نسبها إلى مؤلفيها، نوردها أدناه إتماماً للفائدة وزيادة في المنفعة العلمية، هي :

= **شروط ابن بهرام** المسمى بـ : مناط الأحكام .

= **شروط الأحكام** لابن عبدان .

= **شروط الأكرمي** وهي ثلاثة : البسيط والوسيط والوجيز للإمام شمس الدين الأكرمي، أول بسيطه : "الحمد لله الذي رفع علم الشرع وأعلى قدره . . .الخ"[٤٨]. وألحق بها النيات في الصلاة وخطب الجمعة والعيدين والنكاح والأدعية المأثورة.

= **شروط الأئمة** : أي المخرجين الذين شرطوا الرواية عن الراوي، لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي الهمداني المتوفى عام ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م[٤٩]، ولأبي الفضل محمد بن طاهر ذكره العراقي في شرح الألفية .

= **شروط صدر الشريعة** - عبيد الله بن مسعود بن تاج الشريعة المتوفى عام ٧٤٥ هـ/ ١٣٤٤م .

= **شروط الفتوى ؟!**[٥٠] .

في بحثه عن علم الشروط ذكر الأستاذ محمد خضر[٥١] عدداً من الشروطيين الذين ألفوا في هذا العلم، ممن سبقوا الطحاوي في هذا المجال، منهم : أبوزيد الشروطي وهلال بن يحيى الرائي المتوفى عام ٢٤٠هـ/ ٨٥٩م،وبكار بن قتيبة وغيرهم .

وذكر الأستاذ الألوسي هؤلاء المؤلفين الذين سبقوا الطحاوي في التأليف في علم الشروط، وذكر أن شيخ الشروط والمواثيق أبو بكر محمد بن عبد الله الصيرفي صنف كتابا في أدب القضاء، والشروط والمواثيق[٥٢] .

وهكذا يتضح لنا بجلاء جهود علماء العرب والمسلمين التي سخروها في مجال تأليف كتب الشروط خلال مرحلة زمنية طويلة تمتد منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي واستمرت حتى القرون المتأخرة، مما يدلل على أهمية هذا العلم والتأليف فيه خدمة للمجتمع العربي الإسلامي، فأصبحت وثائق مهمة لحل الخلافات الحياتية، فهو علم يبحث في الفقه الخلافي وكتابة العدل، وصار أهم أسس علم الوثائق العربية، الذي عرف في العصور الحديثة بـ : علم الدبلوماتيك أو : علم الأوراق المطوية .

١ - مساهمة علماء الأندلس في علم الشروط

أصبح علم الشروط علماً مرتبطاً بحياة المسلمين اليومية، وقد ذكرنا أن هذا العلم نشأ عن الحاجات العملية اليومية، فقد نص القرآن الكريم على ضرورة كتابة الدَّيْن وتوثيقه بكتابته وشهادة الشهود، لذلك وصف علم الشروط بأنه فرع من فروع الفقه من حيث كون ترتيب معانيه موافقا لقوانين الشرع، وجعل من فروع الأدب باعتبار تحسين الألفاظ، فهو علم يهتم جدا بتثبيت الأحكام في الكتب والسجلات، فكانت كتب الشروط تأليفاً في الفقه الخلافي وكتابة العدل، وهكذا مارس الشروطيون أعمالهم على أرض الواقع، من خلال مؤسسات القضاء والأحكام التي استدعت أن يعمل فيها من كان ذا إلمام بمسائل

الفقه وحفظ الشروط الفقهية والأحكام وعقد الشروط، وهذه الأنشطة اليومية كانت واسعة وحية تمارس يومياً . وتولى رجال الدين والفقهاء العمل فيها انطلاقاً من تحقيق العدل الذي أكدته الشريعة الإسلامية، بالرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وجهد الفقهاء من خلال فكرهم الديني الإسلامي الذي يعتمد الرأي والقياس والاستنباط والاجتهاد .

ذكر حاجي خليفة[٥٣] أن النبي محمد (ص) أول من أملى كتب العهود والمواثيق، منها عهده لنصارى ايلة بخط علي بن أبي طالب (رض) . وسار الخلفاء الراشدون على هدي رسول الله (ص) وسنته في عقد العهود والمواثيق مع سكان المناطق المحررة والمفتوحة، وحل مشاكلهم وتحقيق العدل والمساواة في المجتمع العربي الإسلامي الجديد استناداً إلى كتاب الله وسيرة رسوله الكريم (ص) .

أصبحت كتب العهود والمواثيق بمثابة وثائق مدونة ترجمها الفقهاء في مؤلفاتهم وأخذت شكل الشروط كما في كتابي الخراج لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري المتوفى عام ١٨٢هـ/ ٧٩٨م وكتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي المتوفى عام ٢٠٣هـ/ ٨١٨م. فضلاً عما ورد في كتب الأموال والأحكام السلطانية كما أشرنا إلى أن أقدم عملية توثيق (دبلوماتيك) تمثلت في تدوين القرآن الكريم وتدوين الحديث النبوي الشريف، وتبع ذلك الاهتمام بالمؤسسات الإدارية والخدمية مثل الوزارة بنوعيها التفويض والتنفيذ، فضلاً عن الدواوين وأبرزها : ديوان الرسائل، التوقيع، الخاتم، وكان لديوان الرسائل (ديوان الإنشاء) أهمية كبيرة في حفظ العهود والمواثيق والالتزامات المتنوعة، وأصبح مصدراً مهماً من مصادر حفظ الوثائق العربية عبر العصور التاريخية المختلفة .

عمل عدد كبير من علماء وفقهاء الأندلس في عقد الشروط والعلم بها وحفظها والتأليف فيها. مما يدلل على أهمية علم الشروط والتخصص فيه والعمل بعد الدراسة والتخرج في مجالات عديدة لتمشية المعاملات الفقهية المتعلقة بالحاجات اليومية العملية المرتبطة بحياة الناس، ولأجل الاطلاع على ما وصل إليه هذا العلم في بلاد الأندلس. نورد أدناه نماذج من تراجم عدد من الرجال العاملين في مجال علم الشروط وفروعه. معتمدين على كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي المتوفى عام ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م . وهذه التراجم مرتبة على قسمي الكتاب الأول والثاني وحسب تسلسلها .

١ - أحمد بن هلال بن زيد العطار :

من أهل قرطبة، يكنى أبا عمر، ولد في شهر رمضان عام ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م. رحل فسمع من محمد بن زيان الحضرمي ومحمد بن الربيع الجيزي وعلي بن ياسر وجماعة سواهم، وكان حافظا للشروط نبيلا في الرأي على مذهب أصحاب الإمام مالك، وكان مفتيا في السوق بقرطبة .

توفي رحمه الله ليلة الخميس ودفن يوم الخميس في عقب صفر عام ٣٦٤هـ/ ٩٧٤ م. في مقبرة متعة. وصلى عليه القاضي إبن إسحق بن السليم، وكان قد نيف على التسعين(٥٤) .

٢ - إسحاق بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مطرف النصري :

من أهل استجة، يكنى أبا بكر، سمع من أبيه ومحمد بن عبد الملك بن أيمن وقاسم بن أصبغ، وكان حافظا للخبر متصرفا في علم اللغة والنحو والشعر والطب، وكان شاعرا مطبوعاً ومرسلاً بليغاً مع مشاركته في حفظ الرأي وعقد الشروط . توفي في استجة في شعبان عام ٣٧٠هـ/ ٩٨١م(٥٥) .

٣ - حفص بن حسن :

من إقليم لورة من كورة قرمونة، سمع من محمد بن يوسف بن مطروح بن يحيى بن راشد. وكان مفتياً ببلده عاقداً للشروط(٥٦) .

٤ - عامر بن يزيد :

من أهل قرطبة، سمع من عبيد الله بن يحيى ومحمد بن عمر بن لبابة ومحمد بن وليد. وكان معتنيا بدرس المسائل وعقد الشروط، توفي رحمه الله عام ٣١٨هـ/ ٩٣٠م(٥٧) .

٥ - فرج بن سلمة بن زهير بن مالك البلوي :

من أهل قرطبة، يكنى أبا سعيد، سمع من محمد بن عمر بن لبابة وأحمد بن خالد ومحمد بن عبد الملك بن أيمن وقاسم بن أصبغ ونظرائهم. ورحل فسمع بالقيروان من أبي بكر محمد بن اللباد ومن غيره .

كان حافظاً للرأي على مذهب مالك وأصحابه، عاقداً للشروط، مُشاوَراً في الأحكام، واستقضى على كورة رية ووادي الحجارة(٥٨) .

٦ - محمد بن سعيد الموثق، المعروف بـ : ابن الملون :

من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله، روى عن يحيى بن يحيى وغيره من شيوخ الأندلس .

كان حافظاً لرأي مالك وأصحابه، عالماً بالشروط عاقداً لها، من أبصر الناس بها، و له فيها كتاب شريف هو بأيدي الناس، ولي الشرطة للأمير عبد الله وتوفي في صدر أيامه(٥٩) .

نستنتج من ترجمة محمد بن سعيد أنه كان علماً بارزاً في الوثائق، فعرف بـ : الموثّق، وكان عالماً بالشروط وعقدها وله فيها كتاب لم نتعرف على عنوانه، مما يدلل على أن هذا العلم أصبح واسع الانتشار في بلاد الأندلس ويحظى برعاية الدولة لعلمائه الذين أسندت لهم وظائف القضاء والفتيا وتولي بعض المناصب الحكومية مثل الشرطة .

٧ - محمد بن وليد بن محمد بن عبد الله بن عبيد :

من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله، سمع من العتيبي وغيره .

كان حافظاً للفقه، عالماً بالشروط، مشاوراً في الأحكام، متقدماً عند أحمد بن محمد بن زياد القاضي، وكانت للأمير عبد الله به عناية .

توفي في النصف من شهر ذي القعدة عام ٣٠٩هـ/ ٩٢٢م(٦٠) .

٨ - محمد بن يحيى بن عمر لبابة :

من أهل قرطبة وهو المعروف بـ : البَوْجون، يكنى أبا عبد الله، سمع من عمه محمد بن عمر ومن غيره .

رحل فسمع بالقيروان من حماس بن مروان، وكان حافظاً للفقه على مذهب مالك وأصحابه، عالماً بعقد الشروط، بصيراً بعللها .

توفي يوم الأحد السادس من شهر ذي الحجة عام ٣٣٠هـ/ ٩٤٢م، وفي رواية أنه توفي في شهر ذي القعدة عام ٣٣٠هـ(٦١) .

٩ - محمد بن أحمد بن محمد بن قاسم بن هلال بن يزيد بن طاهر القيسي :

من أهل قرطبة. يكنى أبا عبد الله. سمع من عبيد الله بن يحيى وسعيد بن عثمان الأعناقي وسعيد بن خمير وأيوب بن سليمان وطاهر بن عبد العزيز ومحمد بن عمر بن لبابة وأحمد بن خالد.

كان حافظاً للمسائل متصرفاً في عقد الشروط، حدث وسمع الناس منه كثيراً.

توفي رحمه الله عام ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م[٦٢].

١٠ - محمد بن عيسى بن خالد بن أبي عقيل المعافري :

من أهل البيرة، كان عاقداً للشروط، منسوباً إلى الفقه، توفي رحمه الله يوم الخميس ٤ شعبان عام ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م[٦٣].

١١ - محمد بن يعيش بن منذر الأيدي :

من أهل طليطلة، ويكنى أبا عبد الله، مولده عام ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م.

كان فقيهاً حافظاً للمسائل عالماً بالشروط، رأساً في معرفتها، توفي عام ٣٩١هـ/ ١٠٠١م[٦٤].

١٢ - مسعود بن عمر بن خيار :

من أهل قرطبة، يكنى أبا القاسم، مولده عام ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م. سمع من أحمد بن مطرف وأبي إبراهيم ومحمد بن يحيى بن عبد العزيز ومحمد بن إسحاق بن السليم وغيرهم، وكتب لمحمد بن إسحاق أيامه على القضاء، وكتب بعده لمحمد بن يبقر، وكتب أيضا لمحمد بن يحيى.

كان عاقداً للشروط بصيراً بها، وغلبت عليه السوداء في آخر عمره فانقبض عن الخدمة. توفي يوم الأربعاء ٦ شوال عام ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م، ودفن يوم الخميس بعد صلاة العصر في مقبرة قريش، وصلى عليه إبراهيم بن محمد الشرقي[٦٥].

١٣ - موسى بن أحمد بن سعيد بن حسن اليحصبي :

من أهل قرطبة. يكنى أبا محمد، ويعرف بـ : الوتد. سمع من قاسم بن محمد بن قاسم وأحمد بن مطرف ومحمد بن يحيى بن عبد العزيز ونظرائهم.

كان بصيراً بالشروط نبيلاً في عقدها، وكان له حظ في تعبير الرؤيا. كتب لمحمد بن يحيى في الأحكام وتصرف في رفع كتب المظالم، وقدم إلى الشورى، وقد نوظر عليه في الفقه وحدّث.

توفي ليلة الخميس لعشر بقين في شهر ربيع الأول عام ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م، ودفن يوم الخميس في مقبرة بني العباس وصلى عليه القاضي محمد بن يبقي[٦٦].

١٤ - ومن الغرباء : موسى بن يحيى الصديني :

من أهل فاس، يكنى أبا هارون. كان فقيهاً حافظاً للمسائل، عالماً بالرأي، له رحلة بالمشرق لقي فيها أبا جعفر الأسواني المالكي وغيره. دخل الأندلس وتردد في الثغر وكتب عنه هناك.

توفي رحمه الله بمدينة فاس يوم الجمعة يوم عرفة عند ارتفاع الضحى عام ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م، وهو ابن سبع وسبعين عاماً، وقبره عند باب الجيديين[٦٧].

١٥ - نابغة بن إبراهيم بن عبد الواحد :

من أهل البيرة في قلعة يحصب، روى عن أبي صالح أيوب بن سليمان وسعيد بن حمير وغيرهما، وكان متصرفاً في الفتيا وعقد الشروط، حافظاً للغة والنحو.

توفي رحمه الله عام ٣١٣هـ/ ٩٢٥م[٦٨].

١٦ - هارون بن بنج بن عثمان بن هارون :

من أهل استجة. يكنى أبا موسى.

كان معتنياً بالآثار، مشاركاً في حفظ الرأي وعقد الشروط، وكان شيخاً صالحاً ثقة، لقيته باستجة.

توفي رحمه الله ليلة الاثنين لتسع بقين من شهر جمادى الأولى عام ٣٧٤هـ/ ٩٨٤م[٦٩]

١٧ - يحيى بن أيوب بن خيار بن خطاب بن مقسم الزهري :

مولى لهم، أصله من البربر، من أهل جيان، رحل فسمع من سحنون بن سعيد وغيره.

كـان عالـماً بالـرأي متفنـناً حاذقاً بالكلام في المسائل، عاقداً للشروط، وألف في ذلك كتاباً، وكان كثير الحكاية عن سحنون[٧٠].

١٨ - يحيى بن يحيى المعروف بـ : ابن السمينة :

مـن أهـل قرطبة، يكـنى أبا بكر، كان متصرفاً في ضروب العلم، متفنناً في الآداب وروايـة الأخبار مشاركاً في الفقه والرواية وعقد الشروط، بصيراً بالاحتجاج والكلام، نافذاً في معاني الشعر وعلم العروض والتنجيم والطب.

توفي عام ٣١٥هـ/ ٩٢٧م[٧١].

٢ - مساهمة علماء الأندلس في علم الوثائق

أشـرنا في معـرض دراسـتنا عن علم الوثائق العربية إلى أن علم الدبلوماتيك يعني : عـلم تحقـيق الوثائق، أي التحقق من صحتها من خلال إخضاعها لمنهج النقد الخارجي والداخلـي. وقـد ذكـر بعـض الباحـثين الأوروبـيين أن عـلم الدبلوماتيك كان معروفاً عند العـرب والمسلمين وشـائعاً في مـأثوراتهم الأدبية والفقهية والتاريخية وكتب الإنشاء باسم (علم الشروط).

قـد تكون كلمة وثائق Charter أو Charte مشتقة من لفظ (شرط) العربية ومنحدرة عـنها، لذلـك كان لعلم الشروط هذا أثره الواضح في تكوين علم الوثائق العربية، إذ اعتبر الأساس لهذا العلم، وقد ذكرنا أن الشروط هي الوثائق وسجلات المعاملات، وقد عمل في هذا المجال جمهور من العلماء والفقهاء وموظفي الدولة لحفظ هذه الوثائق والحفاظ عليها والـرجوع إلـيها عند الحاجة، وهذا ما يعرف اليوم بـ : الأرشيف، أي المكان أو المخزن الذي تودع وتحفظ فيه الوثائق.

كـان الاهـتمام بالتوثـيق والوثـائق مأثـرة مـن مآثر تاريخنا وتراثنا العربي الإسلامي الزاخـر بـالإبداع والـتجديد، فـترك لـنا عـلماء الأندلـس مآثر خالدة من خلال اهتمامهم

بالوثائق وعقدها وحفظها، وتولى هذه المهام العلماء والفقهاء، ورجال الدين، انطلاقاً من مسئوليتهم الدينية أولاً والفقهية الشرعية ثانياً، لأنها تهم جمهور المسلمين وترعى مصالحهم وتحرص عليها .

وقد زودنا المؤرخ ابن الفرضي الأزدي بنماذج فريدة وخالدة لجمهور من هؤلاء العلماء والرجال الذين برزوا في علم الوثائق وأجادوا فيه، وسوف نورد تراجم هؤلاء حسب تسلسلها وكما يلي :

١ – أحمد بن جبون :

من أهل أكشونية، سمع من محمد بن عمر بن لبابة، وكان صاحب مسائل ووثائق[٧٢] .

٢ – جامع بن نوح :

من أهل رية، كان صاحب مسائل ووثائق، ذكره ابن حارث عن ابن سعدان، ورأيته في كتابه[٧٣] .

٣ – سعيد بن خمير بن عبد الرحمن :

من أهل قرطبة، يكنى أبا عثمان، وفي كتاب محمد بن أحمد بن يحيى القاضي :

سعيد بن خمير بن مروان بن سالم من الموالي، مولده عام ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م .

رحل إلى المشرق فسمع من يونس بن عبد الأعلى وأحمد بن عبد الله بن صالح ومحمد بن عبد الحكم، وكان فقيهاً عالماً فاضلاً .

كان يسكن بلاط مغيث فنقله الأمير عبد الله إلى المدينة بقرب المسجد الجامع، فكان يجلس فيه ويحملق إليه، ويفتي ويعقد الوثائق، وسمع منه .

توفي رحمه الله في صفر عام ٣٠١هـ/ ٩١٣م[٧٤] .

٤ – عفان بن عبد السلام :

من أهل قريش، سمع من أحمد بن خالد وعثمان بن عبد الرحمن ومحمد بن قاسم وأحمد بن زياد، وكان معتنياً بدرس المسائل وعقد الوثائق[٧٥] .

٥ – عيسى بن محمد بن عيسى بن أيوب المعروف بـ : البجاني[٧٦] :

بالوثائق وعقدها وحفظها، وتولى هذه المهام العلماء والفقهاء، ورجال الدين، انطلاقاً من مسئوليتهم الدينية أولاً والفقهية الشرعية ثانياً، لأنها تهم جمهور المسلمين وترعى مصالحهم وتحرص عليها .

وقد زودنا المؤرخ ابن الفرضي الأزدي بنماذج فريدة وخالدة لجمهور من هؤلاء العلماء والرجال الذين برزوا في علم الوثائق وأجادوا فيه، وسوف نورد تراجم هؤلاء حسب تسلسلها وكما يلي :

١ - أحمد بن جبون :

من أهل أكشونية، سمع من محمد بن عمر بن لبابة، وكان صاحب مسائل ووثائق[٧٢] .

٢ - جامع بن نوح :

من أهل رية، كان صاحب مسائل ووثائق، ذكره ابن حارث عن ابن سعدان، ورأيته في كتابه[٧٣] .

٣ - سعيد بن خمير بن عبد الرحمن :

من أهل قرطبة، يكنى أبا عثمان، وفي كتاب محمد بن أحمد بن يحيى القاضي :

سعيد بن خمير بن مروان بن سالم من الموالي، مولده عام ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م .

رحل إلى المشرق فسمع من يونس بن عبد الأعلى وأحمد بن عبد الله بن صالح ومحمد بن عبد الحكم. وكان فقيهاً عالماً فاضلاً .

كان يسكن بلاط مغيث فنقله الأمير عبد الله إلى المدينة بقرب المسجد الجامع، فكان يجلس فيه ويحملق إليه، ويفتي ويعقد الوثائق. وسمع منه .

توفي رحمه الله في صفر عام ٣٠١هـ/ ٩١٣م[٧٤] .

٤ - عفان بن عبد السلام :

من أهل قريش، سمع من أحمد بن خالد وعثمان بن عبد الرحمن ومحمد بن قاسم وأحمد بن زياد، وكان معتنياً بدرس المسائل وعقد الوثائق[٧٥] .

٥ - عيسى بن محمد بن عيسى بن أيوب المعروف بـ : البجاني[٧٦] :

ترجمنا له في رجال علم الشروط (ترجمة رقم ٨)، من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله. استقضاه الإمام الناصر على البيرة، ثم عزله وولاه في آخر عمره الوثائق، وله في الفقه كتب مؤلفة[٨٠] .

١٠ – محمد بن حكم الزياط :

من أهل قرطبة. يكنى أبا القاسم. روى عن محمد بن وضاح وإبراهيم بن محمد بن باز ومطرف بن قيس وعبيد الله بن يحيى وغيرهم. حدث وسمع منه الناس كثيراً .

كان حافظاً للمسائل عاقداً للوثائق، مشهوراً بالعدالة[٨١] .

١١ – محمد بن عمر بن دحون :

من أهل قبرة، كان معتنياً بالمسائل حافظاً لها، عاقداً الوثائق، موصوفاً بالخير[٨٢] .

١٢ – محمد بن عبد السلام :

من أهل فِرِّيش. سمع من الأعناقي محمد بن عمر بن لبابة. كان حافظاً للمسائل. عاقداً للوثائق. مفتياً بموضعه[٨٣] .

١٣ – محمد بن عمر بن يوسف بن عمروس :

من أهل أستجة. يكنى أبا عبد الله، سمع من أبيه عمر بن يوسف ومن غيره .

كان حافظاً للمسائل، معتنياً بالمسائل، حسن العقد للوثائق. توفي عام ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م. أخبرني بذلك ابنه يوسف[٨٤] .

١٤ – محمد بن موسى بن أزهر :

من أهل أستجة، يكنى أبابكر، روى عن أبيه وعن عبيد الله بن يحيى . كان حافظاً للمسائل عاقداً للوثائق، محدثاً .

توفي يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر جمادى الآخرة عام ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م[٨٥] .

١٥ – محمد بن عبد الله بن قاسم :

من أهل أستجة، يكنى أبا عبد الله. سمع من محمد بن عمر بن لبابة وأحمد بن خالد ومحمد بن عبد الملك بن أيمن ومحمد بن قاسم وقاسم بن أصبغ وعمر بن يوسف بن عمروس وإبراهيم بن داود وغيرهم.

كان حافظاً للمسائل، عالماً بعقد الوثائق، بصيراً بالنحو، ورعاً في الفتيا[٨٦].

١٦ – محمد بن عبد الله بن أيمن البزاز :

من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله. سمع من طاهر بن عبد العزيز وسعيد بن عثمان الأعناقي وسعيد بن خمير وسعد بن معاذ وابن الزراد ومحمد بن عمر بن لبابة.

وكان متصرفاً في الفتيا، وعقد الوثائق، حدث وسمع الناس منه كثيراً. وكان رجلاً صالحاً ثقة[٨٧].

١٧ – محمد بن خالد بن عبد الملك بن خالد :

من أهل أستجة، يكنى أبا عبد الله، سمع بقرطبة من محمد بن عبد الله بن أبي دليم وغيره.

كان حافظاً للمسائل عاقداً للوثائق. توفي يوم ١٠ ذي الحجة عام ٣٧١هـ/ ٩٨٢م.

١٨ – محمد بن عثمان بن سعيد :

من أهل أستجة، يكنى أبا عبد الله، سمع من محمد بن عبد الله بن دليم ونظرائه، وكان معتنياً بدرس المسائل وعقد الوثائق، متصرفاً في الفتيا بحاضرة أستجة، توفي بشهر ذي الحجة عام ٣٧١هـ/ ٩٨٢م[٨٨].

١٩ – محمد بن عبد العزيز بن يحيى، المعروف بـ : ابن الحصار :

من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله. سمع من قاسم بن أصبغ وغيره.

كان عالماً بالوثائق، بصيراً بعلله، وكان يدلس فيها وقد عرف بذلك، وكان غير ثقة ولا مأموناً، توفي عام ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م[٨٩].

٢٠ - منوس بن أحمد بن عفان :

من أهل قرطبة، يكنى أبا محمد، سمع من قاسم بن أصبغ ومحمد بن حكم وأحمد بن دحيم بن خليل ومحمد بن يحيى .

كان بصيراً بعقد الوثائق عالماً بها، تفقه فيها عند محمد بن يحيى، ووصف بالورع، توفي رحمه الله عام ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م[٩٠] .

٢١ - نُعيم بن محمد بن نعيم الحجري :

من أهل أستجة، يكنى أبا العباس، وكان أصله من أشبيلية . كان حافظاً للمسائل عاقداً للوثائق، وكان صاحباً لأبي صالح أيوب بن سليمان ويكاتبه من أستجة، وصف نُعيم بأنه كان فقيهاً حافظاً للمسائل[٩١] .

٢٢ - يحيى بن راشد :

من أهل قرطبة، يكنى أبا بكر، سمع من عبد الملك بن حبيب وأبان بن عيسى بن دينار وأبي زيد عبد الرحمن بن نعيم والعتبي .

كان معتنياً بالعلم جامعاً له. حافظاً للمسائل عاقداً للوثائق مع ورع وزهد، وذكر ابن الفرضي أنه حصل على بعض كتبه بخطه[٩٢] .

٢٣ - يحيى بن محمد بن يوسف الأشعري :

من أهل قرطبة، يكنى أبا زكريا، ويعرف بـ : ابن الجياني . سمع بقرطبة من مسلمة بن القاسم ومحمد بن معاوية القرشي ومحمد بن أحمد الخزاز ونظرائهم، ورحل إلى المشرق فسمع بمكة من أبي عبد الله البلخي كتاب (الضعفاء والمتروكين) لأبي جعفر العقيلي. وسمع من أبي يعقوب الشيباني، ومن الدينوري، وسمع بمصر كتاب مسلم بن الحجاج المسند من أبي العلاء بن ماهان وسمع من عدة من المصريين .

وكان معه حظ من الفقه وعقد الوثائق، وكان حسن النقل ضابطاً، توفي رحمه الله يوم الأربعاء، لتسع بقين من شهر صفر عام ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م،ودفن في مقبرة بني العباس[٩٣] .

وهكذا يتضح لنا بجلاء إسهام علماء وفقهاء الأندلس في علم الوثائق، الذي كان مثل علم الشروط مرتبطاً بالفقه وحفظ مسائل الدين والشرع، ونجد من بينهم من ألف الكتب في هذا العلم الذي ورد ذكره صراحة باسم : علم الوثائق، ووصف كثير من رجاله بأنهم ذوو علم بالوثائق ومعرفة بها وعناية بعقدها، والتي تتعلق بالحاجات العملية اليومية للناس، وهي أنشطة توضح جانباً مهماً من جوانب تراثنا العربي الإسلامي في الأندلس في مجال علمي الشروط والوثائق، اللذين يعدان من المآثر المهمة جداً في حياة العرب والمسلمين خلال العصور الإسلامية الوسيطة .

د. محمد كريم إبراهيم الشمري

جامعة عدن - الجمهورية اليمنية

هوامش وتعليقات البحث

١ - القرآن الكريم سورة محمد (٤٧)، آية : ٤ .

٢ - سورة المائدة (٥)، آية : ٧ .

٣ - ابن منظور . لسان العرب مجلد (١٠)، ص٣٧١-٣٧٢ .

٤ - سورة البقرة (٢)، آية : ٨٣

٥ - سورة الفجر (٨٩)، آية : ٢٥ - ٢٦ .

٦ - سورة المائدة (٥)، آية : ١٣ .

٧ - د. حسن عثمان . منهج البحث التاريخي ص٣٠، ٦٠، عابدين . التوثيق، تاريخه وأدواته ص ٦٣، عبد المنعم . الوثائق ص٣٣ .

٨ - د. أسد رستم . مصطلح التاريخ ص١ .

٩ - المرجع نفسه ص٣، عبد المنعم . الوثائق ص٣٣ .

١٠ - د. حسن عثمان . منهج البحث التاريخي ص٧٠. ص٧٠، الألوسي . علم تحقيق الوثائق ص٣

١١ - عبد المنعم . الوثائق ص٣٣ - ٣٤ .

١٢ - الألوسي . علم تحقيق الوثائق ص٤ - ٥، محمد خضر . علم الشروط ص١٥٢ .

١٣ - عابدين . التوثيق ص٦٣ .

١٤ - محمد خضر . علم الشروط ص١٥١، الألوسي . علم تحقيق الوثائق ص١١ .

١٥ - الألوسي . علم تحقيق الوثائق ص١٠ - ١١ .

١٦ - المرجع نفسه ص١١ - ١٢، وعن معاني الدبلوما في مجال السياسة ودراسة الوثائق ينظر : المرجع نفسه ص١٢ - ١٤ .

١٧ - محمد خضر . علم الشروط ص١٥٢ - ١٥٣ .

١٨ - الألوسي . الأرشيف تاريخه وأصنافه ص١، زروق، خديجة عثمان، الوثائق ودورها في البحث العلمي ص١١٦ .

١٩ - الألوسي، الأرشيف تاريخه وأصنافه، ص٣ .

٢٠ – عبد المنعم، الوثائق ص٣٥ .

٢١ – زروق، الوثائق ودورها في البحث العلمي ص١١٦ – ١١٧ .

٢٢ – محمد خضر، علم الشروط ص١٥٣ – ١٥٤، الألوسي، علم تحقيق الوثائق ص٤٧ – ٤٨ .

٢٣ – علم تحقيق الوثائق ص٤٢، وحول تدوين القرآن الكريم والحديث النبوي . ينظر : المرجع نفسه ص ٤٢ – ٤٤ .

٢٤ – هو الأستاذ محمد خضر محمد خضر، بحثه بعنوان : "علم الشروط عند المسلمين وصلته بعلم الوثائق العربية"، مجلة الدارة، العدد(٤) السنة الأولى، (الرياض، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ١٥٠ – ١٦١ .

٢٥ – محمد خضر، علم الشروط ص١٥٢ – ١٥٣، الألوسي، علم تحقيق الوثائق ص٤٤ – ٤٥، أنظر عن الوزارة بقسميها : التفويض والتنفيذ وكذلك الدواوين وواجباتها خصوصا دواوين الرسائل، التوقيع، الخاتم : المرجع نفسه ص٤٥ – ٤٦ .

٢٦ – القرآن الكريم، سورة البقرة (٢)، الآيات : ٢٨٢ – ٢٨٤ .

٢٧ – محمد خضر، علم الشروط ص١٥٤ – ١٥٥، أنظر أيضا الألوسي، علم تحقيق الوثائق ص٤٨ .

٢٨ – كشف الظنون مجلد ٢ ص١٠٤٥ – ١٠٤٦ .

٢٩ – محمد خضر، علم الشروط ص١٥٥، الألوسي، علم تحقيق الوثائق ص٤٨ .

٣٠ – محقق كتاب : صفة جزيرة العرب تأليف لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، منشورات دار اليمامة، (الرياض، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، ص٨٣ هامش رقم(٢) .

٣١ – محقق كتاب : الشروط الصغير مذيلا بما عثر عليه من الشروط الكبير، ج١، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي المصري، الطبعة الأولى، مطبعة العاني، (بغداد، ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤م)، ص٣١ مقدمة المحقق .

٣٢ – محمد خضر، علم الشروط ص١٥٥ .

٣٣ – أوزجان، مقدمة كتاب الشروط الصغير للطحاوي ج١ ص٣٠ .

٣٤ – صفة جزيرة العرب ص٨٣ .

٣٥ – مختصر كتاب البلدان ص٥٧ .

٣٦ – أوزجان، مقدمة كتاب الشروط الصغير للطحاوي ج١ ص٣٠ – ٣١ .

٣٧ – هذا دليل على أن الكتاب هو رواية لأحد تلاميذ الطحاوي .

٣٨ – سورة البقرة آية ٢٨٢ و راجع هامش ٢٦ .

٣٩ – الطحاوي، الشروط الصغير ج١ ص٣ .

٤٠ – علم الشروط ص١٥٥ – ١٥٨ .

٤١ – أوزجان، مقدمة كتاب الشروط الصغير ج١ للطحاوي ص٢٩ .

٤٢ – كشف الظنون مجلد٢ ص١٠٤٥ – ١٠٤٦ .

٤٣ – مقدمة كتاب الشروط الصغير ج١ ص٢٩، وحول حياة الطحاوي، أنظر : ص١١ – ١٨، وحول مؤلفاته، أنظر : ص٢١ – ٢٩ .

٤٤ – أوزجان، مقدمة كتاب الشروط الصغير للطحاوي ج١ ص٢٩ – ٣٠ .

٤٥ – كشف الظنون مجلد ٢ ص١٠٤٦ .

٤٦ – ذكر حاجي خليفة وفاته عام ٢٤٥هـ في الصفحة نفسها (ص١٠٤٦)، ولعله وقع في خطأ عندما كرر ذكره وحدد وفاته عام ٢٤٩هـ سهوا وربما هو خطأ مطبعي . وممن ذكر وفاته عام ٢٤٥هـ : أوزجان، مقدمة كتاب الشروط الصغير للطحاوي ج١ ص٢٩، محمد خضر، علم الشروط ص١٥٤، الألوسي، علم تحقيق الوثائق ص٤٨ .

٤٧ – كشف الظنون مجلد ٢ ص١٠٤٧ .

٤٨ – ذكر حاجي خليفة وذكرنا آنفا من كتب علم الشروط كتاب البسيط لشمس الأئمة الحلواني، أوله : الحمد لله الذي رفع علم الشرع وأعلى قدره، ولا نعلم هل المؤلف تكرر ذكره مع اختلاف لقبه أم انه مؤلف آخر، يشترك في اسم كتابه وبداية افتتاحه بنفس العبارة ؟

٤٩ – للحازمي مؤلف في الأنساب عنوانه : عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، تحقيق : عبد الله كنون، (القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م) .

٥٠ – ورد هكذا مجهول اسم المؤلف . كشف الظنون مجلد ٢ ص ١٠٤٧ .

٥١ – علم الشروط عند المسلمين وصلته بعلم الوثائق العربية ص١٥٤، أنظر أيضا : الألوسي، علم تحقيق الوثائق ص٤٨ .

٥٢ – الألوسي، علم تحقيق الوثائق ص٤٨، وذكر حاجي (كما ذكرنا آنفا) هذا المؤلف . كشف الظنون مجلد٢ ص١٠٤٦ .

٥٣ – كشف الظنون مجلد٢ ص ١٠٤٦ .

٥٤ – ابن الفرضي الأزدي، تاريخ علماء الأندلس، القسم الأول ص٤٦ .

٥٥ – المصدر نفسه ص٧٢ – ٧٣ .

٥٦ – المصدر نفسه ص١١٩ .

٥٧ – المصدر نفسه ص٢١١ .

٥٨ – المصدر نفسه ص٣٥٠ .

٥٩ – المصدر نفسه ق٢ ص١٢ .

٦٠ – المصدر نفسه ق٢ ص٣٢ .

٦١ – المصدر نفسه ص٥١ – ٥٢ .

٦٢ – المصدر نفسه ص٦٥ .

٦٣ – المصدر نفسه ق٢ ص٩٠ .

٦٤ – المصدر نفسه ص١٠٤ .

٦٥ – المصدر نفسه ص١٣٣ .

٦٦ – المصدر نفسه ص١٥٠ .

٦٧ – المصدر نفسه والصفحة، ولعل مولده عام ٣١١هـ .

٦٨ – المصدر نفسهص ١٥٧ .

٦٩ – المصدر نفسه ص١٧٠ .

٧٠ – المصدر نفسه ص١٨٣ .

٧١ – المصدر نفسه ص١٨٨ .

٧٢ – ابن الفرضي . تاريخ علماء الأندلس ق١ ص٤٧ .

٧٣ المصدر نفسه ص١٠٣ .

٧٤ – المصدر نفسه ص١٦٣ .

٧٥ – المصدر نفسه ص٣٠٩ .

٧٦ – البجاني نسبة إلى بجانة قرية من عمل الزهراء، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ق١ ص ٣٣٤ وبقية ترجمته في نفس الصفحة .

٧٧ – ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، القسم الثاني ص٣١ – ٣٢ .

٧٨ – المصدر نفسه ص٤٦ .

٧٩ – المصدر نفسه ص٤٩ .

٨٠ – المصدر نفسه ص٥١ .

٨١ – المصدر نفسه ص٥٢ .

٨٢ – المصدر نفسه ص٥٧ .

٨٣ – المصدر نفسه ص٥٨ .

٨٤ – المصدر نفسه ص٧٠ .

٨٥ – المصدر نفسه ص٧٠ .

٨٦ – المصدر نفسه ص٧٢ .

٨٧ – المصدر نفسه ص٧٥ .

٨٨ – المصدر نفسه ص٨٢ (ترجمة ١٧ ، ١٨) .

٨٩ – المصدر نفسه ص٨٤ ٨٥ .

٩٠ – المصدر نفسه ص ١٥٤ .

٩١ – المصدر نفسه ص١٥٩ .

٩٢ – المصدر نفسه ص١٨٢ – ١٨٣ .

٩٣ – المصدر نفسه ص١٩٥ – ١٩٦ .

مصادر ومراجع البحث

١ – القرآن الكريم .

× د. أسد رستم .

٢ – مصطلح التاريخ. (بيروت، ١٩٣٩م) .

× الألوسي. سالم عبود .

٣ – علم تحقيق الوثائق – المعروف بعلم الدبلوماتيك، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٧٧م) .

× حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي .

٤ – كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المجلد الثاني، (طهران، ١٩٤٧م)، طبعة أوفسيت، مكتبة المثنى (بغداد، د.ت) .

× د. حسن عثمان .

٥ – منهج البحث التاريخي، الطبعة الثانية، (القاهرة، ١٩٦٤م) .

× الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي المصري، (ت: ٣٢١هـ/ ٩٣٣م)

٦ – الشروط الصغير مذيلاً بما عثر عليه من الشروط الكبير، ج١، تحقيق : روحي أوزجان، مراجعة : عبد الله محمد الجبوري، الطبعة الأولى، مطبعة العاني، (بغداد، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م) .

× ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي، (ت : ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) .

٧ – تاريخ علماء الأندلس، القسم ١ – ٢، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (القاهرة، ١٩٦٦م) .

× ابن الفقيه الهمذاني، أبوبكر أحمد بن محمد، (ـ : ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م) .

٨ – مختصر كتاب البلدان، الطبعة الأولى، مطبعة بريل، (ليدن، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م) .

× ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت : ٧١١هـ/ ١٣١١م) .

٩ – لسان العرب، مجلد ١٠، دار الفكر، دار صادر، (بيروت، د.ت) .

× الهمداني، لسان اليمن أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، (ت.د : ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) .

١٠ – صفة جزيرة العرب، تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي، أشرف على طبعه حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، (الرياض، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) .

الدوريات العربية

× الألوسي، سالم عبود .

١١ - الأرشيف تاريخه وأصنافه، مجلة الوثائق العربية، العدد (٣)، (بغداد، ١٩٧٧م) .

× زروق، خديجة عثمان .

١٢ - الوثائق ودورها في البحث العلمي، مجلة الوثائق العربية، العدد (٤)، (بغداد، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) .

× عابدين . عبد المجيد .

١٣ - التوثيق ، تاريخه وأدواته ، مجلة الوثائق العربية، العدد (٣)، (بغداد، ١٩٧٧م) .

× عبد المنعم، د. شاكر محمود .

١٤ - الوثائق وأهميتها في دراسة وتدريس التاريخ، مجلة المؤرخ العربي، العدد (٥٥)، (بغداد، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) .

× محمد خضر محمد خضر .

١٥ - علم الشروط عند المسلمين وصلته بعلم الوثائق العربية، مجلة الدارة، السنة الأولى، العدد(٤)، (الرياض، ذي الحجة ١٣٩٥هـ/ ديسمبر ١٩٧٥م) .

الشيخ حمد بن عيسى

مقتطفات من تاريخ



١١٨ . الوثيقة

حمد بن عيسى بن علي آل خليفة "١"

١

بقلم الدكتور علي أباحسين

عمره حين وفاته	مدة حكمه	سنة وفاته	توليه الحكم	ولادته
٧٠ سنة قمرية	٢٠ عاماً	٣ صفر ١٣٦١هـ	١٤ ذو القعدة ١٣٤١هـ	١٢٩١هـ
٦٨ سنة شمسية		٢٠ فبراير ١٩٤٢م	٢٦ مايو ١٩٢٣م	١٨٧٤م

* وهو أكبر أبناء الشيخ عيسى بن علي آل خليفة . وأخواله من آل خليفة . وتربى تربية الملوك وأخذ عن علماء عصره . وورث عن أبيه الإقدام والشجاعة في القول والعمل واتصف بالجود والحلم والذكاء . مما جعله يستطيع تصريف أمور بلاده التي مرت في حالة من الفتن فواجهها بحكمة وهمة وحسن تدبير .

ولد في عام ١٢٩١ هـ/ ١٨٧٤م . وقد تولى العهد في ١٢ فبراير ١٩٠١م . وتوفي في الساعة الثانية عشرة والربع من صباح يوم الجمعة في الرميثه الثالث من شهر صفر ١٣٦١هـ الموافق ٢٠ فبراير ١٩٤٢م . ويرجع سبب وفاته إلى السكتة القلبية . وبين وفاة والده ووفاته ١٠ سنوات[١] .

وقد نُصّب نائباً عن والده في الحكم بعد عزله من قِبَل المقيم السياسي البريطاني في بوشهر الذي جاء إلى البحرين على إثر الحوادث المؤسفة التي وقعت في مايو ١٩٢٣م ١٣٤٢هـ تصحبه بارجتان . وكان أول ما طلبه من الحكومة أن يتنحى الشيخ عيسى عن الحكم . فأبى الشيخ . ولكن المقيم السياسي الكرنل (نوكس) أصر وجمع فريقاً من الناس وأعلن فيهم عزل الشيخ عيسى وتولية ابنه وولي عهده الشيخ حمد مكانه .

وفي ٢٦ مايو ١٩٢٣م تنازل الشيخ عيسى عن الحكم لولي عهده ونائبه وأصبح الشيخ حمد مخولاً بممارسة السلطة .

وقال سمو الشيخ حمد : إنني أول المساعدين لوالدي في قضيته . وإني قابلت كبار موظفي الخليج العربي من الإنجليز مراراً لتسوية شئونه المالية . وإني أكبر أبنائه سناً فأنا ولي عهده . وقد قضيت حياتي في ظله متمتعاً بأفضاله وكرمه . فلما كان ما كان في السنين الأخيرة ووقعت تلك الأمور التي دعت بريطانيا إلى التدخل لصيانة الأمن وحفظ النظام في البلاد جاءني الكرنل (نوكس) وطلب إلي أن أتولى الإمارة فرفضت طلبه . إذ خشيت إغضاب والدي الذي كان يحيط به فئة من الدساسين . وقد اجتهدت في التوفيق بين مصالح الدولة البريطانية ومصالح أبي . ولكنني لم أفلح لأسباب لا محل لذكرها الآن . ولما لم يعد في استطاعة والدي المثابرة على القيام بمهام الإمارة بسبب شيخوخته رضيت أن أكون وكيلاً عنه . وقد فعلت ذلك مضطراً لا مختارا .

وفي ١٩٢٥م قدم الشيخ عيسى بن علي احتجاجاً إلى وزير الهند لكنه رفض[٢] .

وواجه الشيخ حمد البلاد وهي غير مستقرة تسودها الفتن الطائفية والعنصرية التي يزكيها الميجور (ديلي) ومن ورائه العملاء الذين يأتمرون بأمره . ولكن الشيخ حمد عالج تلك المشاكل بالحكمة وحسن السياسة للمحافظة على حقوق الشعب رغم تولي الإنجليز الشئون الداخلية . ولم يتركوا للشيخ حمد أية سلطة دون أن يستشير المعتمد السياسي . حتى تعرض الميجور (ديلي)لطلقة نارية جرحته وذلك من أحد حراسه وهو (إسماعيل شاه مراد البلوشي) فسحبت بريطانيا الميجور (ديلي) من البحرين ليعود إلى بلاده . ويحل محله المستشار لحكومة البحرين في عام ١٩٢٦م وهو المستر (تشارلز بلجريف) . وسبب تعيين المستشار كان إثر وقوف الحركة الوطنية ضد تطبيق القوانين المدنية والجنائية في البحرين والتي كان معمولاً بها في الهند[٣] .

واستقرت الأوضاع في البحرين في عهد سمو الشيخ حمد بن عيسى . وقد عين مديراً إنجليزياً للجمارك في ١٩٢٣م وأنشأ حرساً أميرياً في عام ١٩٢٤م[٤] .

وقد كان عام ١٩٢٦م بداية لحكم فعلي مستقل لشيوخ البحرين . أما المستشار فقد كانت له مكانته لدى الشيوخ . حيث تولى الاستشارة للشئون المالية ثم السياسية فالقضائية . مع أنه كان قائداً للشرطة و له الإشراف على الدوائر المدنية كالصحة والمعارف والأشغال والتسجيل العقاري والجمارك والبلديات والزراعة[٥] . ولقد عاصر بلجريف الشيخ حمد وابنه الشيخ سلمان حتى عام ١٩٥٧م .

ولاية العهد للشيخ حمد

إن الظروف التي أدت إلى اعتراف حكومة صاحب الجلالة بالشيخ حمد وريثاً بالحكم بعد والده الشيخ عيسى تتلخص فيما يلي :

في عام ١٨٩٥م أرسل الشيخ عيسى ابنه الشيخ حمد ليقابل المقيم السياسي كي يحصل له على اعتراف من الحكومة البريطانية بقوله : بأن محبكم محتاج إلى معاون ومساعد لي في الأمور التي تنوب الحكومة ولما كان ابني الشيخ حمد به الكفاية والسداد الخ . . .

وفي ٧ فبراير ١٨٩٨م كتب الشيخ عيسى للمقيم رسالة أرفق معها توصية له أعلن فيها عن تعيينه ابنه ولياً للعهد . وكانت الوثيقة موقعة من ٤٤ شاهداً وهم من كبار شخصيات البحرين . فجاء التأييد لذلك الاقتراح بشرط إدخال إصلاحات في إدارة الجمارك وذلك بوضع مسئوليتها في أيدي الإنجليز . ولكن لم يحصل ذلك فتأجل صدور الإعلان الرسمي عن الاعتراف بولاية العهد للشيخ حمد حتى عام ١٩٠١م[٦] . ومن (جاسكين) المساعد السياسي في البحرين كتب إلى المقيم في الخليج يقول : وقد اعترفت حكومة الهند بابنه الأكبر الشيخ حمد خلفاً له . وطلب الشيخ عيسى من المساعد السياسي (جاسكين) أن ينقل لحكومة الهند شكره وامتنانه . وقد نال الاعتراف بالشيخ حمد خلفاً للشيخ عيسى ترحيباً من أعضاء الأسرة الحاكمة والشعب على السواء، وذلك في ١٢ فبراير ١٩٠١م[٧] .

خطاب الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة
في المجلس الذي عقد في البحرين في ٢٦ مايو ١٩٢٣م

أيها السادة ! امتثالاً لأمر الحكومة العليا أتولى اليوم مسئولية الحكم على هذه البلاد بهدف الاحتفاظ بشرف أبي العزيز وخدمة أسرة آل خليفة والشعب .

أخدم بكل وسعي رعايا صاحب السمو أبي المحترم . وكما تعرفون كان أبي دائماً حريصاً على الاحتفاظ بالسلام والنظام والرخاء في البلاد . وأحاول أن أحذو حذوه . وأنا أعرف كما أنتم تعرفون بأن المدن المختلفة عبر العالم شهدت تقدماً في الثقافة والازدهار . ولا داعي لبلدنا الحبيب أن يبقى دونه . أقول بأنه من مهامي الرئيسية أن أعمل بجد لازدهار بلدنا الحبيب ونشر التربية والتعليم والخدمات الصحية ولتشجيع التجارة والزراعة . وأشكر الله لحسن حظي لأن أخي الشيخ عبد الله الذي أعتمد عليه تماماً قد وعدني بالتعاون معي في المجلس وفي مزاولة الأمور الحكومية . وانطلاقاً من حبي لوطني العزيز أريد أن كل واحد يكرس نفسه لمهنته، التاجر للتجارة والآخرون لأعمالهم الخاصة بهم كوسيلة للرزق والفلاحون يهتمون بالزراعة .

وأقول بكل الثقة بأنني إذا وجدت أشخاصاً يثيرون الفتنة بين الناس وأعمال الشر والاضطرابات فأتخذ الخطوات اللازمة لمعاقبتهم . أيها السادة ! أود إخطاركم بأنني لن أقبل شفاعة أحد عن أي مجرم، ويكون هذا السعي دون جدوى . وأنتهز هذه الفرصة لأؤكد لكم بأنني سأحافظ على مدخول الحكومة وحقوقها بعد تسديد الرواتب المستحقة للذين يساعدون الحكومة والمصاريف الحكومية الأخرى من أجل الموظفين الحكوميين وهذا من واجباتي الأولى . وأحافظ على الرصيد من المدخول والضرائب عندي وأخصصها لتحسين تجارة البلاد وتوسعتها وتشجيعها . وكذلك لما يفيد البلاد وأوضاع الحكومة . وفي هذه الظروف فإنني مسئول أمام الشعب عن عدم تبذير الأموال العامة . وأتأمل في موضوع الضرائب وأقرر الترتيبات اللازمة كي أتأكد من أنها تفرض على الجميع على قدم المساواة . ويكون الجميع على إلمام بمقدار الضريبة كيلا يبتز أي موظف حكومي أكثر من المبلغ المحدد .

هذا ما كان علي أن أقول لكم . وختاماً أشكر الحكومة العليا لمساعدتها القيمة في الماضي وآمل أنها تساعدنا وتساعد حكومتنا مستقبلاً لخير الشعب وتقدمه وازدهار تجارته وتحافظ على العلاقات الودية بيننا .

وأشكر الكولونيل (نوكس) المقيم في الخليج لمساعدته لنا . وأخيراً أيها السادة اقبلوا شكري واحترامي[٨] .

توفي الشيخ عيسى بن علي آل خليفة في يوم الجمعة العاشر من شهر شعبان ١٣٥١ هـ الموافق للتاسع من ديسمبر ١٩٣٢م فجأة وله من العمر ٩٤ سنة شمسية أو ٩٧ سنة قمرية وفي أواخر أيامه تدهورت صحته . وحضر الشيخ حمد والشيخ عبد الله بن عيسى والشيخ محمد بن عيسى والشيخ سلمان بن حمد مراسم الدفن . كما حضر أفراد العائلة الحاكمة وكبار رجال البلد وجمهور غفير من الناس .

وبعد شهرين تم الاحتفال بمراسم تولي الشيخ حمد الحكم وذلك في مجلس خاص تم ترتيبه في صالة كبرى بمدرسة حكومية في التاسع من فبراير ١٩٣٣م/ الموافق ١٤ شوال ١٣٥١هـ وقدم فيه المقيم إلى سعادة الشيخ رسالة من نائب الملك . وهو يقدم تهانيه للشيخ حمد على توليه الحكم . وتسلم الشيخ حمد الرسالة وأطلقت ثلاثون طلقة مدفع تحية ثم أطلقت مائة طلقة في نهاية الاحتفال . وممن حضر الاحتفال كل من المعتمد السياسي في البحرين والمواطنون ثم الأوروبيون والأمريكيون ونحو خمسمائة نسمة من الرجال البارزين كالقضاة والتجار والأعيان . وفي الختام بايع رعايا الشيخ حمد ورؤساء القبائل حاكمهم . واستمرت الأفراح ثلاثة أيام . وتم إطعام آلاف الفقراء خارج القصر . كما جرت رقصات العرضة وإنارة المدن وتجميلها . وورث الشيخ حمد أملاك أبيه ومعظمها من النخيل وإن كانت قليلة نسبياً . ونقلت آلاف الرسائل الرسمية المحفوظة في خزانات إلى المكتب الحكومي للنظر فيها ثم تصنيفها . وإن لم يتم ذلك لكثرة عددها الذي يقارب أربعة آلاف وثيقة[٩] .

لقد تسلم الشيخ حمد في ١٣ ديسمبر ١٩٣٢م خطاباً من باليوز بريطانيا بالبحرين وفيه يهنئ الشيخ حمد ويخبره أنه استلم برقية تهنئة من حكومة الهند باعترافها بسموه حاكماً للبحرين[١٠] وقد أجابه سمو الشيخ حمد برسالة شكر على ذلك[١١] . وفي رسالة من الكولونيل (تريفور) إلى المعتمد السياسي في البحرين اعترفت حكومة الهند رسمياً . بولاية

عهد الشيخ حمد منذ سنوات واستقبل به نائباً للملك حديثاً ومنح له وسام (سي.اس.أي) أنـه يتمتع بشعبية دون شك . وقد خوله أن يمارس سلطاته بصفته ولياً للعهد ويساعد أباه وأن يصادق على كافة التعديلات والإصلاحات وعدم التراجع للنظام القديم . وأجابه الشيخ حمد باستعداده لطلب الكولونيل تريفور[١٢] . ومن الإصلاحات التي طلبها (ديلي) وهـي تعكس وجهة نظر بريطانية نظام جمع الرسوم الجمركية وعدم مسك الدفاتر باللغة السندية . وسببذلك كيلا يستطيع أي عربي أو إيراني أو إنجليزي أن يراجعها أو يدقق حساباتها . وطلب (ديلي) تغيير هذا النظام فوراً وتعيين مدير جمرك إنجليزي . وفي عام ١٩٢٣ عين مستر بولارد لإدارة الجمارك . والإصلاح الآخر هو نظام الطابو (التسجيل العقاري) لأنـه مصدر دخل مهم . وكتب (بلجريف) في مذكراته عام ١٩٢٦م حين زار مبنى الجمارك بالبحرين قوله : إن معظم الموظفين والكتاب من الهنود العاملين تحت إشراف ضابط الجمارك الإنجليزي (كلودي جير دفيير)[١٣] .

وصدر إعلان من حكومة البحرين بإقامة الاحتفالات بهذه المناسبة واعتبر ثلاثة أيام عيد رسمي . وزينت الأسواق والمنازل . ونشر علم البحرين . وفتحت الأسواق ليلاً ونهاراً خلال الأيام الثلاثة . وأقيمت حفلة في المدرسة الخليفية وقدم خطاب من فخامة نائب صاحب الجلالة البريطانية في الهند . وأطلقت إحدى وثلاثون طلقة مدفع تكريماً لتقديم الخطاب لصاحب السمو الشيخ حمد حاكماً للبحرين . وبعد الحفل أطلقت مائة طلقة وطلقة مدفع وهي التحية الملكية . وقد طُلِب من جميع الناس حضور هذه الحفلة في المدرسة المذكورة مساءً . ويتخللها بعد ذلك عروض من ركوب الخيل والعرضة ونحو ذلك[١٤] . ثم ألقى سمو الشيخ حمد خطاباً في ١٤ شوال ١٣٥١هـ استعرض فيه تاريخ حكم آل خليفة حتى حينه . وختم الكلمة بأنه سوف يعمل على ما يرضي الله . ثم تنمية مرافق البلاد وإصلاح شأن الأمة . وأن يسير بالعدل وإصلاح الأحوال في المعارف والتجارة والزراعة وغيرها من مصالح العامة[١٥] .

(وفي ٣٠ يناير ١٩٣٧م تحول أسلوب التخاطب من قِبَل السلطات البريطانية لشيخي البحرين والكويت من (صاحب السعادة الشيخ) إلى (صاحب السمو الشيخ) وذلك بناءً على اقتراح (فول) المقيم السياسي في الخليج[١٦] .

الحالة الاقتصادية : النفط

إن الرجل الذي يرجع الفضل له لاكتشاف النفط في البحرين هو مواطن نيوزيلندي باسم الرائد (فرانك هولمز) . وقام (هولمز) بزيارة البحرين نيابة عن (النقابة الشرقية العامة)، وهي شركة بريطانية مهتمة بالتنقيبات . وعقب عدة تنقيبات قام بها الرائد (هولمز) عن الآبار الارتوازية في البحرين، وصل إلى النتيجة بأن أرض البحرين ملائمة لأن يوجد فيها النفط في كميات تجارية، فحصل على امتياز من حاكم البحرين (الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة) في ٢ ديسمبر ١٩٢٥م لمدة سنتين . وفي هذه المدة حاول (هولمز) أن يشجع (الشركات الإنجليزية) لتولي التنقيبات في البحرين . إلا أنها لم تكن متفائلة عن وجود النفط فيها فرفضت استثمار الأموال لهذا الغرض . فسافر (هولمز) أخيراً إلى الولايات المتحدة . وفي ٣٠ نوفمبر ١٩٢٧م نجح في إقناع شركة أمريكية باسم (شركة الخليج الشرقي) على اختيار التنقيبات لمدة سنتين على سبيل الاختبار . ودامت مفاوضات في هذا الشأن بين السلطات المعنية . وحولت (شركة الخليج الشرقي) امتيازها لصالح (شركة ستاندرد للنفط في كاليفورنيا) . وفي أول أغسطس ١٩٣٠م حولت (شركة ستاندارد) حقوقها كلية إلى شركة (بابكو) المسجلة في كندا لإعطائها صبغة شركة إنجليزية . وهكذا استغرقت سياسات شركات النفط خمس سنوات قبل استغلال ثروات النفط البحرينية بصورة جادة . ولو لم تبادر شركة أمريكية في شراء الامتياز بعد أن رفضته شركة إنجليزية لما كان بالإمكان استغلال النفط في البحرين .

وبعد التوقيع على الامتياز بدأت عمليات المسح والتنقيب وتدفق النفط لأول مرة في عام ١٩٣٢م من بئر واقعة في جنوب العوالي .

وفي ١٩ يونيو ١٩٤٠م تم الاتفاق بين (الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة) و (شركة بابكو) لضم المساحات الإضافية[١٧] .

وخلال هذه الفترة تبودلت الرسائل بين (الشيخ حمد) و (الشيخ أحمد الجابر الصباح) حول التنقيب على النفط في البحرين وإن النجاح مأمول لاستخراجه[١٨] .

وجدير بالذكر فإنه يتضح من جدول يبين مختلف الجنسيات العاملة في شركة نفط البحرين المحدودة في عام ١٩٤٠م ولمقارنتها بالأعوام السابقة نرى أن عدد الموظفين من

أهل البحرين قد ازداد إلى ١٩٥٠ موظفاً من بين المجموع العمومي لموظفي الشركة وهو ٢٩٨١ موظفاً[١٩] .

الصدف

كانت البحرين تصدر الصدف إلى مسقط حيث توجد شركة سيزيان ووكيله في البحرين محمد وعلي يتيم وقد كانت إحدى صفقاته بمبلغ ٥٨٣٦ روبية . ورد ذلك في تقرير وقعه وختمه كل من رئيس مجلس التجارة (الشيخ راشد بن محمد بن خليفة آل خليفة) ثم السادة عبد الرحمن بن محمد الزياني، وعبد العزيز بن حسن القصيبي، وسليمان الحمد البسام، ومحمد الطيب خنجي، وعبد اللطيف بن عبد الله المشاري، وأحمد بن حسن، وعبد النبي بن أحمد بوشهري، ومحمود بن عباس، وعبد علي بن رجب، ومحمد سعيد بن يوسف علي أكبر، وخليل إبراهيم كانو، وعبد الرحمن المحمد البسام، وأحمد بن عيسى بن علي بن صقر الجلاهمة، وأحمد بن سلوم، وحسين علي كاظم، وحافظ خنباني البهرة، ودمنهل أسير داس، ودامو درداس هيمنداس .

كما صدرت البحرين في ١٩٠١م الصدف إلى المستر (دالكوس) وهو ألماني استورد بين ٦ - ١٠ آلاف جونية قهوة من المحار بسعر كل جونية روبيتين ونصف . وكان وكيله علي بن إبراهيم الزياني .

أما ليونكسن المقيم في بوشهر فكان يريد أن يشتري محاراً من البحرين بالشراكة مع (اسوا) . وطلب القبطان دكت من شيخ البحرين تسهيل أمور الشركة .

اللؤلؤ

وشهد عام ١٩٢٥ تحسناً كبيراً في نظام الغوص وعين محاسب هندي له إلمام باللغة العربية للاحتفاظ بحسابات الغوص .

وفي بداية العام التالي كان وارد اللؤلؤ جيداً إلا أنه تعرض للكساد في أواخر العام بسبب قلة المحصول . وحدثت عاصفة شديدة أدت إلى غرق نحو أربعين سفينة، وإلى خسائر بالأرواح . كما فرضت ضرائب على صناعة الأشرعة فتوقف إنتاجها . ويتوقع أن تنتعش هذه الصناعة من جديد هذا ما أورده الوكيل السياسي (ديلي) .

وكان حصاد اللؤلؤ عام ١٩٢٧م أحسن من العام السابق .

وفي تقرير عام ١٩٢٨م كان صيد اللؤلؤ مثمراً فازدهرت التجارة بصفة عامة .

ولم يكن اللؤلؤ مثمراً عام ١٩٢٩م . إذ هبطت سوق اللؤلؤ هذا العام رغم أن الحصاد كان مثمراً ولكن المبيعات ضئيلة وتجري محاولات لتحسين ظروف الغوص والغواصين . وتم صنع ١٨ سفينة و٥٥ مركباً شراعياً . بينما صنعت ٨٩ سفينة جديدة في العام السابق .

وأخبر الشيوخ حكومة الهند بأنهم يعتبرون مغاصات اللؤلؤ ملكاً مشتركاً لهم ولا يحق لأي شيخ أن يعطي حق الصيد لأي طرف آخر ولا لزورق ياباني أن يمارس صيد السمك في مياه الخليج إلا بمشورة الإنجليز[٢٠] .

وفي سنة ١٩٣٠م افتتح البنك الشرقي (إيسترن بنك) وذلك في ٢٥ يونيو . وحضر مراسم الافتتاح جمهور من التجار والأعيان . وتم تشييد المبنى للبنك فيما بعد .

وأعلنت الحرب العالمية الثانية أيام الشيخ حمد فأسس دار التموين ووفر الأطعمة والألبسة ليوزعها على الأهالي وفق نظام البطاقات حيث ضمن التوزيع العادل للجميع . وبذلك ضرب على أيدي المحتكرين والانتهازيين .

القضاء

يترأس الشيخ حمد بن عيسى بن علي المحاكم القضائية بكفاءة وإحساس بالعدل مما ضمن تقديراً من كافة طبقات الشعب دون تفرقة[٢١] . أما ابنه الشيخ سلمان بن حمد فهو رجل ذكي وله خبرة في القضاء . وهو المستشار الطبيعي لوالده الشيخ حمد .

وكتب الشيخ حمد لابنه الشيخ سلمان خطاباً مؤرخاً في أول محرم ١٣٤١هـ الموافق ٢١ أغسطس ١٩٢٢م ذكر فيه : أن يكون الترتيب في بلدنا المنامة لإدارة شئون حكومتنا مع محافظتك على المواد الآتية وجريانك عليها وتقضي بين رعايانا بمقتضى الحق والإنصاف :

المادة الأولى : وهي القضية الشرعية تحال عند الشرع .

المادة الثانية : وهي العرفية تحال عند العرف .

المادة الثالثة : هي مسائل الغواصين وتحال عند عرف الغوص أي (السالفة) .

المادة الرابعة : في المسائل الجنائية يقبض فاعلها إلى وقت المحاكمة . وتنفيذ ما في كل من المواد المذكورة بمقتضى الحكم .

وشغل الشيخ سلمان بن الشيخ حمد في عام ١٩٢٧م منصب عضو المحكمة المدنية والجنائية بينما تم تعيين الشيخ راشد بن محمد ابن أخ الشيخ حمد رئيساً لسالفة الغوص(٢٢) .

وفي عام ١٩٢٨م قام الشيخ سلمان بن حمد بواجباته كقاض في محكمة البحرين بكفاءة . واستمر الشيخ سلمان بن حمد كقاض مشارك في محكمة البحرين عام ١٩٢٩م وهو مجتهد وصائب الرأي وسيصبح قاضياً ذا كفاءة بعد كسب الثقة في هذا المجال .

وتشكلت في عهد الشيخ حمد أول مديرية للأوقاف بعد أن كان أمر الإشراف عليها منوطاً بالقضاة(٢٣) .

كما نفذ نظام تسجيل العقارات وبيعها أو نقلها من شخص لآخر .

وفي ١٩٣٠ اهتم الشيخ حمد بالقضاء فعين الشيخ مبارك بن حمد قاضياً مشاركاً في المحكمة الصغرى ثم عين بمنصب أمير المنامة في المحكمة المشتركة . أما الشيخ سلمان بن حمد، فلديه خبرة كافية وهو يعمل كقاض ويساعد بلجريف(٢٤) .

وفي بداية عام ١٩٣٢م صدر إعلان يتضمن قانون الاستئناف في قضايا المحاكم . وتم بموجبه رفع أحكام محاكم البحرين إلى الشيخ حمد في الاستئناف فاستؤنف ١٢ حكما أمامه .

وفي عهد الشيخ حمد نشط الإفتاء حول الغوص في رمضان . فقد أفتى علماء الأزهر الشريف عن جواز الغوص في رمضان لأن السفر لاكتساب العيش بالغوص أو غيره - مما يباح - جائز الإفطار في أيام رمضان كما هو جائز في غيره من أيام السنة من قبل لجنة الفتوى بالجامع الأزهر وأرسلوا الفتوى إلى الأستاذ عبد الله بن علي الزايد صاحب جريدة البحرين . بعد أن سأل صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام وكيل الجامع الأزهر في ٩ مارس ١٩٤٢م .

وأرسل فضيلة الشيخ (عبد اللطيف بن علي آل جودر) وهو أحد قضاة المحكمة الشرعية بالبحرين في ٢٦ مارس رداً على فتوى الأزهر . ويقول : إنه لا يجوز الغوص في رمضان وأعطى الأدلة الشرعية على ذلك .

وفي ٥ مارس ١٩٤٢م أفتى فضيلة الشيخ (عبد الله بن إبراهيم الصحاف) بجواز الذهاب للغوص في رمضان والإفطار بشروطه ثم القضاء .

التعليم

لقد شهدت بداية القرن العشرين التعليم النظامي في البحرين وذلك في حكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة إذ تم افتتاح مدرسة الهداية في عام ١٩١٩م بالمحرق . وبعد عامين افتتحت مدرسة ابتدائية للبنين في المنامة وفي عهد الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة كانت أول مديرية للمعارف تديرها لجنة من الأهلين . ويشرف على تنظيمها خبراء من المجمع العلمي العربي بدمشق .

وفي ١٩٢٣م قدمت إلى البحرين بعثة تعليمية سورية يرأسها (عثمان الحوراني) مع ثلاثة آخرين[٢٥] .

وعانت مدرسة الهداية الابتدائية في عام ١٩٢٥م من عدم الكفاءة في الإدارة لأنها ظلت تحت إدارة خاصة وليست تحت إدارة حكومية مع أن الحكومة تقدم لها معونة مالية . ويحاول الشيخ حمد جمع الأموال لكي يتولى إدارتها كما يريد تأسيس مدرسة مماثلة في المنامة . ويستشير أحد المتخصصين العراقيين لإنشاء مدارس أخرى . وخصص لهذا العام من الميزانية العامة ٤٨,٠٠٠ روبية للتربية والتعليم[٢٦] . وفي ربيع هذا العام ١٩٢٥م تأسست مدرسة إيرانية في المنامة .

وفي عام ١٩٢٧م افتتحت مدرستان للبنين الأولى في الحد والثانية في الرفاع الشرقي . وقد أطلق على هذه المدارس اسم مدارس الهداية وعهد بالإشراف عليها إلى مدير الهداية بالمحرق .

وقد تم في نفس العام افتتاح مدرسة ثانية للبنين بالمنامة وأطلق عليها اسم (المدرسة الجعفرية) وقد تبع ذلك افتتاح مدرسة أخرى في الخميس عرفت (بالمدرسة العلوية) عهد

لدير المدرسة الجعفرية بإدارتها . وقد كانت مدارس الهداية الأربع تدار من قبل مجلس خاص للمعارف برئاسة الشيخ عبد الله بن عيسى آل خليفة . أما المدرستان الجعفرية والعلوية فقد أديرتا من قِبَل مجلس آخر . وكان المستشار بلجريف يحضر اجتماع المجلس .

وفي هذا العام ١٩٢٧م تعاقدت الحكومة مع ناظر للمعارف من لبنان اسمه (فايق أدهم) فاختلف مع (عثمان الحوراني) و (عمر يحيى الحموي) فأعلن إبعادهما عام ١٩٢٨ مما أدى إلى حدوث اضطرابات بسبب ذلك . لكن الشيخ حمد استطاع أن يتغلب على الأزمة بحكمته وحسن إدارته . وقد تبرع الشيخ حمد بخمسة آلاف روبية لإنشاء مدرسة في سوق الخميس[٢٧] .

وخصص للتربية والتعليم عام ١٩٣٠ و١٩٣١م مبلغ ٦٠.٠٠٠ روبية من مجموع الدخل السنوي للبحرين ومقداره ١٠.٥١٣.٣١ روبية[٢٨] وانخفضت المخصصات في عام ١٩٣٥م إلى ٣٠.١٢٨ روبية بسبب كساد الاقتصاد العالمي بينما ارتفعت المخصصات إلى ١٠٣.٧٩ في عام ١٩٣٨م[٢٩] .

وفي سنة ١٩٢٨م أرسلت بعثة دراسية من سبعة طلاب للجامعة الأمريكية في بيروت وهي أول بعثة من مدرسة الهداية وكان أحد طلاب هذه البعثة من أبناء الشيخ عبد الله بن عيسى آل خليفة[٣٠] .

وفي ١٩٣٠م كان لإشراف الحكومة على التعليم في البحرين كبير الأثر بالإقبال المتزايد على التعليم والثقافة وحلت المشكلات الإدارية والمالية . وأسست النوادي الأدبية وألحقت بها فصول ليلية ودراسات خاصة للمراحل المختلفة من التعليم[٣١] .

وشهد عام ١٩٣٦م افتتاح أول مدرسة صناعية وألحقت بعض فصولها بمدرسة الهداية بالمحرق والبعض الآخر الحق بمدرسة الهداية بالمنامة . ثم فصلت في العام التالي وأصبحت في بناية مستقلة بالمنامة . وأخيراً ألحقت إدارياً بدائرة الكهرباء واستقدمت الحكومة خبيراً إنجليزياً اسمه (أندريان فالانس) لتقديم تقرير عن التعليم في البحرين . وأقرت اقتراحاته عام ١٩٣٩م . كما عينته مديراً للمعارف . وشهد بداية الأربعينات إصلاحات أخرى في التعليم . فافتتحت أول مدرسة ثانوية سميت بالكلية . واستقبلت

البحرين البعثات التعليمية . وعين الأستاذ أحمد العمران مديراً للتربية والتعليم عام ٤٥/ ١٩٤٦م وهو أول مواطن بحريني يعين في هذا المنصب[٣٢] . وشغلت زوجة بلجريف وظيفة مديرة المعارف للبنات[٣٣] .

تعليم البنات

شهد عام ١٩٢٨ - ١٩٢٩م بداية التعليم النظامي الأهلي فقد أسست أول مدرسة ابتدائية أهلية مع معونات تحصل عليها من الحكومة وكانت أول معلمة هي (مريم الزياني) التي كانت تدرس القرآن الكريم ومبادئ الدين وذلك في العشرينات .

وفي العام الدراسي ١٩٢٩ - ١٩٣٠م حول منزل السيد عبد الرحمن الزياني في (المحرق) إلى مدرسة للبنات وكانت مديرة المدرسة الأستاذة (فاطمة البياتي) ثم عينت المواطنة مريم عبد الله الزياني فزاد إقبال البنات على المدرسة وسجلت ١٠٤ طالبات فيها .

وسارت مدرسة البنات سيراً جيداً. حتى أن لجنة التربية والتعليم الحكومية تلقت طلباً لفتح مدرسة للبنات في المنامة لأن تلك المدرسة كانت في المحرق وافتتحت المدرسة في المنامة فزاد الإقبال عليها أكثر من المحرق وربما كان سبب ذلك لأنهم سمعوا عن النتائج المرضية لافتتاح مدرسة البنات في المحرق .

وفي العام الدراسي التالي أي ١٩٣٠ - ١٩٣١م كان هناك مدرستان للبنات وعدد البنات فيهما نحو مائة طالبة بينما ارتفع عددهن في عام ٣١ - ١٩٣٢م إلى ١٧٠ طالبة .

وارتفع الخط البياني لعدد الطالبات فوصل في عام ٣٢ - ٣٣م إلى ٨٢٨ طالبة في المدرستين (المحرق والمنامة) .

وفي نهاية عام ١٩٣٩م زاد عدد مدارس البنات إلى ثلاث مدارس في كل من (المنامة) و (المحرق) و (الحد) .

وكانت بعض الطبيبات أو الموظفات الصحيات يقمن بزيارات للمدارس للكشف والعلاج . ولم يقتصر التعليم في هذه المدارس على المواطنات فحسب بل كافة الجنسيات وبدون دفع أجور . أي أن التعليم النسوي منذ بدايته في البحرين كان مجانياً .

وقدمت طالبات مدرستي المنامة والمحرق تمثيليتين من أجل جمع تبرعات وتم جمع ١٦٠٠ روبية لهذا الغرض . وقد بذلت الحكومة اهتماماً بالغاً بصحة البنات فكانت تقوم بعض الممرضات في المستشفى الحكومي بزيارة المدارس أسبوعياً وترسل المرضى من البنات إلى المستشفى إذا لزم الأمر .

وفي ١٩٤٢م بدأت المدارس تقوم بتدريب الطالبات على ممارسة الرياضة البدنية وذلك في مدرستي المنامة والمحرق[٣١] .

وفي مجال الطباعة : كانت تجربة البحرين قد بدأت منذ عام ١٩١٣م حين استقدمت مطبعة حجرية إلى البحرين . وكانت تطبع فيها الكراسات الدينية والسجلات التجارية . ثم جلبت مطبعة حجرية عام ١٩٣٢م . وقد طبع فيها جريدة (البحرين) للأستاذ عبد الله الزايد[٣٥] . وكانت تلك المطابع الحجرية مستوردة من الهند . وكانت البحرين ترسل ما تحتاج لطبعه من مطبوعات رسمية وغير رسمية إلى المطابع الحجرية في الهند . وقد وجدت في البحرين نسخ مزخرفة من الكتب الدينية المطبوعة في مطابع هندية .

الحالة الصحية

وفي عهد الشيخ حمد بن عيسى بن علي ساهم الهنود في المجالات الصحية للعمل كأطباء أو ممرضين وممرضات . كما قام بعض الأطباء الهنود بممارسة الطب اليوناني الشعبي القديم مع وجود المستشفيات الحديثة . ففي عام ١٩٣١م عينت قابلة هندية مدربة في مستشفى الولادة بمدينة المحرق وأخرى في المنامة في ١٩٣٣م . وعين الطبيب (لاكره) طبيباً في مستشفى الخميس . وكلف الرائد (افريدي) في ١٩٣٧م وهو من سلك الخدمات الطبية الهندية ومعهد الملاريا بدلهي كلف بالقيام بمسح عام لمرض الملاريا في البحرين وجاء في تقريره : أن نسبة الإصابة بالملاريا في هذا العام ٢٠٪ وأن مصادر توالد البعوض كالمستنقعات والعيون والآبار تحتاج للمكافحة برش النفط وتنظيف المجاري . ثم وصل ثلاثة من المعنيين بمكافحة الملاريا في الهند . وفي عام ١٩٤٠م تعاقدت الحكومة مع ثلاث ممرضات لمستشفى الولادة . وفي العام التالي قدمت سبع عشرة ممرضة هندية

مدربة وأربعة أطباء هنود منهم الدكتور (باترجي) والدكتور محسن . وبعد الحرب تولى الدكتور (نامبيار) الإشراف على مكافحة الملاريا . وأحيل الدكتور (باندركار) الذي خدم في البحرين ثلاثين سنة من ١٩٢٥ على التقاعد . ويصف (باندركار) المستشفى العائم وهو مركب أبيض يخرج مع سفن الغوص ومجهز باللوازم الطبية والأدوية وتدوم السُفرة نحو ستة أسابيع في كل موسم . ويستطرد الدكتور باندركار بقوله : ولقد زرت المغاصات والجزر الواقعة حول البحرين بما فيها (حوار وبوسواد وفشت الديبل وخور فشت) وغيرها . تلك التي تلجأ لها سفينتنا وسفن الغوص البحرينية أثناء العواصف أو للحصول على الماء العذب . وكانت تعمل في الغوص نحو سبعمائة سفينة بحرينية .

وهكذا كتب الدكتور باندركار تقريراً ممتعاً لرحلاته مع سفن الغوص بسفينته الحكومية لعلاج المصابين والمرضى في أثناء مواسم الغوص ولمدة نحو ثلاثين سنة من عام ١٩٢٥م[٣٦] . ووصل الدكتور (هاريسون) مدير الإرسالية العربية الأمريكية للبحرين في ١٨ مايو ١٩٢٤م وهي (سنة الرحمة) حيث انتشر فيها مرض الكوليرا[٣٧] .

والشيء الذي لاشك فيه هو أن البحرين كانت في تلك الفترة أحد المراكز الطبية الهامة في المنطقة . وكانت خدماتها تقدم لأكثر من جهة . يقول تقرير موجود بالمستشفى عن سنة ١٩٢٥م وهو بالطبع يتحدث عن سنة ١٩٢٤م : (وصل عدد المرضى الخارجيين إلى ٣٣ ألفاً وكان عدد المقيمين بالمستشفى ٦٠٠ مريض وكنا نعالج ١٠٠ مريض يومياً . وقد وصل المرضى من شرق ووسط الجزيرة العربية ونجد والأحساء وقطر وساحل القرصنة والباطنة الشرقية من عمان وجعلان . وجاء عدد من المرضى من خارج البحرين لإجراء عمليات جراحية وهم من كل من الدمام والقطيف وبوشهر ولنجه ومسقط والجبيل والشارقة ودبي .

هكذا كانت الصورة قبل عام ١٩٢٥م . ولكنها في هذا العام تأخذ شكلاً جديداً . وتشهد الخدمات الصحية تطوراً ملحوظاً حرصاً على أن يواكب الظروف الاجتماعية للسكان وأن يوصل لهم هذه الخدمات حيث هم . فالمعروف في تلك الفترة أن الغوص كان أساس الاقتصاد بالمنطقة كما كان من أهم مصادر الرزق . وكان الآلاف يخرجون في موسم الغوص إلى البحر ليبقوا هناك شهوراً . وإزاء هذا الوضع قررت حكومة البحرين إنشاء ما يشبه المستشفى العائم . وتم إعداد مركب لهذا الغرض جهزت كمستشفى متواضع

وحددت مهمتها في المرور على مغاصات اللؤلؤ لمتابعة الحالة الصحية وتقديم الخدمة الطبية لمن يكون في حاجة إليها . وزودت هذه المستشفى بطبيب ومضمد وربان وعدد من البحارة . وعين لها الدكتور (باندركار) وقد قدمت هذه السفينة خدماتها لحوالي ٢٥ ألف شخص كانوا يتجمعون في المغاصات خلال الموسم . وكانت تجوب الخليج لتعالج المرضى من الغواصين والبحارة وتعود إلى المنامة بين فترة وأخرى للتموين . والمعروف أن موسم الغوص كان يضم الباحثين عن اللؤلؤ من كل أرجاء المنطقة ولم يكن الموسم مقصوراً على البحرين فقط . وكانت المستشفى العائمة تقدم خدماتها للجميع وبعد انتهاء موسم الغوص كان الدكتور (باندركار) يستقر في العيادة الحكومية التي افتتحت في دكان بالمحرق . وظل الدكتور (باندركار) يقوم بعمله في هذه العيادة لمدة ثلاثين عاماً وكان يحظى باحترام الجميع وثنائهم على ما يقدمه لهم من خدمات .

ويقول تقرير عن الخدمات الصحية في البحرين للفترة من ١٩٢٥ – ١٩٦٥م وهو التقرير الرئيسي الذي اعتمدنا عليه في هذا العرض (أنه في سنة ١٩٢٥م تعرضت منطقة الخليج لإعصار مدمر راح ضحيته ما يقارب ٥ آلاف سفينة من بين ٢٥ ألف سفينة من سفن الغوص . وقد مات غرقاً كثير من البحارة في تلك السنة ولحقت بالبحرين أضرار كبيرة من جراء ذلك . ونحن نعتقد أن الرقم مبالغ فيه بدرجة ملحوظة فصحيح أن المغاصات كانت تضم الباحثين عن اللؤلؤ من كل المنطقة وصحيح أن السفن لم تكن سفناً ضخمة بالمعنى المألوف اليوم، وإنما كانت مراكب تضم الكبير والصغير إلا أن الرقم (٢٥ ألفاً) يبدو رغم ذلك كبيراً وقد يكون من المقبول ٢٥ ألف نسمة لا سفينة . وهو الرقم الذي أشار إليه نفس التقرير في مكان آخر عندما ذكر عدد الذين كانت السفينة العائمة تقدم خدماتها لهم[٣٨] .

وجاء في تقرير للمستشفى الأمريكي أعد ١٩٢٥م عن أحوال ١٩٢٤م أنه في سنة ١٩٢٤ قررنا بناء مستشفى جديد للنساء والأطفال وأعطانا عبد العزيز القصيبي مندوب حاكم نجد قطعة من الأرض لهذا الغرض عن طريق مساع حميدة للرائد ديلي المعتمد السياسي البريطاني . وقد وصلت التبرعات المحلية لهذا الغرض ٢٠ ألف روبية . كما تبرع الشيخ حمد بن عيسى بن علي بخمسة آلاف روبية . وتبرعت بنفس المبلغ الشركة النفطية (بابكو) . وفي عام ١٩٢٥م تعرضت البحرين لمرض الطاعون وتوفي ٤ آلاف شخص

من هذا المرض . فاشترت الحكومة سفينة من طراز الداو مصنوعة في الكويت وزودتها بالأجهزة الطبية اللازمة كي تعمل كمستشفى عائم لخدمة الغواصين[٣٩] .وخصص للصحة في هذا العام ١٢.٠٠٠ روبية من الميزانية، والتي مقدارها ١,٥٢٣,٠٠٠ روبية وارتفعت مخصصات الصحة في عام ١٩٣٠ و١٩٣١ إلى ٢٦.٤٠٠ روبية وشهد عام ١٩٣٥م كساداً في الاقتصاد العالمي فانخفضت مخصصات الصحة إلى ٢٢.٥٨٠ روبية ثم ارتفعت إلى ١١٣.٤٦٨ روبية في عام ١٩٣٨م[٤٠] .

وقد أخذت الخدمات الصحية في السنوات التالية تتطور طبقاً للحاجات الملحة وللإمكانيات المتوافرة، ولكن كان التطور يسير بطيئاً نوعاً ما . ففي سنة ١٩٣١ عينت قابلة هندية مدربة للقيام بعملية الولادة في مدينة المحرق، كما عينت قابلة هندية مماثلة بالمنامة سنة ١٩٣٣ . كما تم إنشاء مستوصف سوق الخميس وعين الدكتور (لاكرة) طبيباً له .

فإذا ما حلت سنة ١٩٣٧ شهدت الخدمات الصحية قفزة كبيرة لدرجة أن هذه السنة تعتبر بحق نقلة كبيرة للخدمات في هذا المجال . ففي هذه السنة انتشرت العيادات الخارجية بصورة ملحوظة . وخطط لبناء مستشفى الرجال والنساء بالنعيم وبدأ إنشاء مستشفى (عوالي) لشركة بابكو . وتم القيام بدراسة شاملة وجذرية لمرض الملاريا .وفيما يلي ما تم إنجازه في هذه السنة :

أنشئت عيادة للبلدية جنوب شرقي المنامة، وخصص بيت بالقرب منها للحوامل والولادة . كما أسس في نفس العام مستشفىً صغير كمعزل للنساء المصابات بأمراض معدية، وذلك في منطقة النعيم بالمنامة . كما أنشئت عدة عيادات للأطفال مما جعل مجموع العيادات ست عيادات . وفي نفس العام أيضاً تم الانتهاء من الدراسة الكاملة لإنشاء مستشفى للرجال والنساء يتسع لمائة وعشرين سريراً . واختير له موقع بالقرب من شاطئ النعيم على أرض تم شراؤها من القصيبي وإخوانه . وفي نفس السنة كلف الرائد إفريدي من سلك الخدمات الطبية الهندية ومعهد الملاريا بدلهي بالقيام بمسح عام لمرض الملاريا في البحرين وقد جاء في تقريره ما يلي :

أ : نسبة الإصابة ٢٠٪

وإصابة الطحال :

المنامة ١٠٪

المحرق ٥,٥٪

القرى ٧٠٪

ب : مصادر توالد البعوض الناقل للملاريا هي المستنقعات والآبار الارتوازية والعيون والمياه الراكدة والآبار الموجودة في البيوت والجرار التي يجمع فيها الماء في البيوت (الجحال) .

ج : التدابير اللازمة للمكافحة :

١ — النفط.

٢ — أخضر باريس .

٣ — صيانة مصادر المياه .

٤ — ردم المستنقعات .

٥ — تنظيف المجاري .

٦ — تكثير الأسماك في القنوات والعيون والآبار المكشوفة .

٧ — البعوضة ناقلة الملاريا (ستيفانس) منتشرة في بلدان الخليج .

٨ — أخطر المناطق إصابة هي المنامة والنعيم والقلعة وسند وسترة .

ووصل الدكتور باندركار إلى البحرين في عام ١٩٢٥م واستقبله طبيب جراح وهو مسئول عن الحجر الصحي . وأن الدكتور باندركار يزور المغاصات بانتظام ويعالج الغواصين حتى عام ١٩٤٠ . وكان عدد السفن البحرينية في السنوات الأولى والتي تعمل في المغاصات المختلفة حوالي ٧٠٠ سفينة بحرينية . ونظراً للكساد الاقتصادي الذي أصاب العالم عام ١٩٢٩ تدهورت صناعة اللؤلؤ فاصبح عدد السفن التي تمارس صيد اللؤلؤ في هذا العام لا يزيد على ست سفن فقط .

وفي عام ١٩٣٩م تمت توسعة المستشفى ليضم أربعة أجنحة عبر مساحة قدرها ٣١.٠٠٠ قدم مربع ويعتبر هذا المبنى في حينه أكبر مبنى في البحرين[٤١] .

أما فيما يختص بمستشفى عوالي أو ما يطلق عليه حالياً مستشفى بابكو فقد تم بناء أقدم جزء من المستشفى في سنة ١٩٣٧ وأضيفت إليه أجنحة أخرى في سنوات ١٩٥٢م و ١٩٥٦ و ١٩٦١ . وقد أغلق هذا المستشفى في سنة ١٩٦٣م ونقل المرضى إلى المستشفى الجديد الذي بدأ إنشاء الجناح الأول منه وهو جناح (أ) في هذه السنة . ونظراً للتوسع في العيادة الخارجية مع زيادة عدد المترددين عليها فقد تم الأخذ بنظام النوبات . كما قام المستشفى بإنشاء عيادة صناعية بمصنع التكرير وخصص لها طبيبان وبعض المرضين .

وقد حدد نطاق عمل المستشفى بالمسئولية عن تقديم الخدمات الصحية لكل منطقة عوالي ومنطقة الشركة وألحق بالمستشفى مفتش للصحة و ١١ موظفاً وطبيب الأسنان . وقد ضم المستشفى ٧ أطباء ويوفر مختلف الخدمات بما فيها التوليد وأمراض النساء والجراحة وخصص به قسم للأشعة السينية ومختبر للكيمياء الحيوية وتحليل الجراثيم والدم ووحدة صغيرة للعلاج الطبيعي . وحتى سنة ١٩٣٣م لم يكن يوجد أي طبيب للأسنان في البحرين . وكان أحد الأطباء الأمريكان يعمل كطبيب متجول مقره البصرة يقوم بزيارة البحرين من حين لآخر لمعالجة الحالات الصعبة . وقد وافق هذا الطبيب على أن ينتقل إلى البحرين بصفة دائمة في أغسطس ١٩٣٦ . وقد قامت شركة بابكو بتأسيس عيادة له بالمنامة وحدد له راتب شهري تتولى الشركة دفعه وخصص له سكن أمام المستشفى الأمريكي وقد ظل هذا الطبيب يقوم بواجبه حتى تقاعد في مايو ١٩٤٣ وحل محله طبيب سوري في أواخر ١٩٥١م .

وتعتبر سنة١٩٣٨ هي بداية إقامة مستشفى النعيم وقد عين الدكتور دافن بورت جونز (Dr. Daven Port Jones) رئيساً لأطباء حكومة البحرين .

وفي سنة ١٩٣٩م عينت الدكتورة مكدروال (Dr. Mcderuall) وأسندت إليها مسئولية قسم النساء بالمستشفى . كما عينت الآنسة هاربوتل(Miss Harbottle) رئيسة للممرضات وكان عدد الموظفين ثلاثين موظفاً وأربعة أطباء . وبلغت الميزانية التي خصصت للصحة في هذا العام ١٣٦،٠٠٠ روبية . وافتتح فيه القسم الأول من مستشفى النعيم مع العيادة الخارجية . كما تم إنشاء عيادات في كل من البديع وكرزكان والرفاع الشرقي وسترة . وبلغ عدد الولادات التي تمت في مستشفى النعيم في هذا العام (٨٤ ولادة) . كما شكلت لجنة لمتابعة مكافحة الملاريا ووصل ثلاثة من المفتشين الصحيين من الهند لمكافحة هذا المرض .

وفي سنة ١٩٤٠م استقال الدكتور دافن بورت جونز وحل محله الدكتور سنو (Dr.Snow) . وفي شهر مايو من نفس السنة قامت الشيخة عائشة بنت راشد آل خليفة حرم سمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة بافتتاح قسم النساء بمستشفى النعيم وألقت كلمة الافتتاح الشيخة لولوة بنت محمد بن عبد الله آل خليفة نيابة عن الشيخة عائشة . وفي شهر يونيو من نفس العام تسلمت إدارة مستشفى النعيم جناحين جديدين تم بناؤهما وأضيفا إلى قسم الرجال وقبل أن ينتهي عام ١٩٤٠م كان المستشفى قد تم بناؤه . وتعاقدت حكومة البحرين مع ثماني ممرضات هنديات للعمل بالمستشفى وصل منهن ثلاث ممرضات . وقد بلغ عدد الموظفين أربعة وستين موظفاً . وبُدِئَ بإجراء العمليات الجراحية الكبيرة بالمستشفى . كما عين مفتشان صحيان أحدهما بالمنامة والآخر بالمحرق . وأعد مشروع للوقاية من الغارات الجوية عقب الغارة الفاشلة التي قامت بها الطائرات الإيطالية على مصنع التكرير في البحرين في شهر أكتوبر ١٩٤٠م، ومما يذكر إن البحرين تعرضت لأمطار غزيرة جداً في هذا العام .

لقد تطورت الخدمات الصحية خلال الخمسة عشر عاماً من ١٩٢٥ إلى ١٩٤٠م تطوراً ملموساً . وقد كان التركيز ينصب أولاً على العيادات والمرضى الخارجيين . وقد امتد نشاط العيادات إلى القرى بالإضافة إلى العيادة العائمة التي سبقت الإشارة إليها والتي كانت تقدم خدماتها للمغاصات . ويذكر أن التطعيم ضد الجدري عرف في البحرين منذ مدة طويلة وكان يقوم به الشيخ سعيد العازمي من سكان قرية عسكر . وكان الشيخ سعيد يأخذ عينة من الجراثيم ويحقنها في إحدى الأبقار التي جعل منها مزرعة للجراثيم ثم يعود ويأخذ عينة من دماء البقرة ليحقن بها المصاب وهي طريقة تعلمها أثناء سفره لطلب العلم في القاهرة. وكان هذا التطعيم ناجحاً بدرجة ملحوظة واشتهر الشيخ سعيد به وأصبح أكثر الأهالي يطلبون منه تطعيمهم . وكان يطعمهم لمرة واحدة فقط وأكثر الذين حقنهم بمصله لم يصابوا بعد ذلك بالجدري .

ومن الأمراض التي كانت مستوطنة بالبحرين في هذه الفترة الملاريا والتراخوما والدوسنتاريا وفقر الدم والأمراض الجنسية والسل . وكان الغواصون يعانون من تضخم الرئة الذي كان يسبب ضيق التنفس . وقد اختفت جميع هذه الأمراض الآن إلا بعض الحالات النادرة وذلك بفضل الوعي الصحي والخدمات الجليلة التي قامت وتقوم بها

الدوائر الصحية الحكومية التي تطورت تطوراً كبيراً مع التطور الذي لحق مختلف نواحي الحياة .

قلنا أن عام ١٩٣٧م كان بداية النهضة الصحية الحديثة في البحرين . ونستطيع كذلك أن نقول أن الفترة من ١٩٤١ إلى سنة ١٩٦٥ كانت هي الأخرى فترة هامة في تاريخ العمل بهذا القطاع فقد أخذ الناس في هذه الفترة يحسون بما تقدمه الصحة من خدمات جليلة كان لها تأثير كبير في حياتهم .

ففي سنة ١٩٤١ زاد عدد الموظفين بالمستشفى بعد أن تم توظيف ١٧ ممرضة هندية مدربة وأربعة أطباء هنود وانتهى العمل في بناء آخر جناح بمستشفى النعيم كما تم تشغيل المختبر الجديد وقسم الأشعة السينية . وفي شهر أغسطس من نفس العام حدث أن انتشر وباء الجدري وتم نقل جميع المرضى إلى الحجر الصحي في قلعة أبو ماهر بجزيرة المحرق وأمكن السيطرة على الوباء تماماً في آخر شهر ديسمبر ١٩٤١م .

وقد عين طبيب للقيام بزيارات للمدارس والعناية بصحة التلاميذ كما عينت السيدة فاطمة الزياني نائبة لرئيسة المرضات . والمعروف أنها تلقت تدريباتها في بغداد . ونظراً للأمطار الغزيرة التي تساقطت في عام ١٩٤٠م فقد تخلفت مجموعة كبيرة من المستنقعات وأدى ذلك إلى ارتفاع عدد المصابين بالملاريا . وقد فرضت الحكومة في هذا العام مراقبة على أسعار المواد الغذائية .

واستقبلت البحرين عدداً كبيراً من المرضى في مستشفياتها كما أرسل (جفري برايور) المعتمد السياسي في البحرين إلى (الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني) خطاباً ذكر فيه أنه أمر أن يحضر له كمية من الأدوية لعلاج الألم الذي يشكو منه في رجله . كما عرض على الشيخ إذا يلزم إرسال الطبيب (هومز) بالطائرة وذلك في الثاني من أغسطس ١٩٣١م . وقد تم استلام الأدوية في ١٣ أغسطس وطلب الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني من المعتمد برايور أن يرسل الدكتور (هومز) للكشف على (الشيخ علي بن أحمد آل ثاني) لمرض في عينيه ورجله . فقدم الدكتور (هومز) من البحرين ولكن لم يتمكن من معالجته .

وفي عام ١٩٣١م نقل أخو (شيخ رأس الخيمة) بطائرة لتلقي العلاج الطبي في البحرين وعاد بعد أسبوع وقد شفي[٤٢] .

ومن الإصلاحات في عهده

بعد أن عين الشيخ حمد نائباً للأمير في ١٩٢٣م قام سموه بتنفيذ إصلاحات هامة في مجال (نظام الغوص والغواصين) وهي زيادة ما يقدمه النواخذة للغواصين لقاء عملهم الشاق . رغم معارضة شديدة من النواخذ وتجار اللؤلؤ الذين خافوا من أن الإصلاحات قد تخفض سيطرتهم على الغواصين وتقلل أرباحهم . لكنه حصل على تأييد من القضاة مثل الشيخ (قاسم المهزع) و (الشيخ خلف) اللذين أيدا الإصلاحات في نظام الغوص أخيراً .

ونفذ طلبه من النواخذ وهو الاحتفاظ بدفاتر الحساب التي تبدي بتفاصيل اللآلئ والأرباح والخسائر . وكذلك تم إصدار الدفاتر الصغيرة للغواصين لتدوين الحسابات فيها . وحددت أسعار الفائدة في حدود معقولة[٤٣] .

وتحسنت التجارة إذ بيعت كمية من اللؤلؤ في هذا العام وارتفع الوارد الجمركي

وفي عام ١٩٢٤م أصلح الشيخ حمد نظام الجمارك . وأدخل إصلاحات في الإدارة . وحسن ظروف الغواصين وسجلت الأراضي والعقارات في دائرة السجل العقاري، ونشطت التجارة . إلا أن تجارة اللؤلؤ أصابها الكساد بسبب ظهور اللؤلؤ الصناعي الياباني من جهة وكذلك للتقلبات في سعر العملة الفرنسية إذ كانت فرنسا أكبر مستورد للآلئ الفاخرة . وحدد الشيخ حمد حداً أدنى لأجور الغواصين بواقع ٢٦٠ روبية لموسم صيد اللؤلؤ الذي يدوم لأربعة أشهر وعشرة أيام (أي روبيتين لكل يوم)[٤٤] .

واهتم الشيخ حمد بالقضايا الدينية فقد أمر بجمع التبرعات في عام ١٩٢٤م لإعمار مسجد القدس . وذلك حين وصل إلى البحرين وفد من المجلس الإسلامي الأعلى في ١١ مايو ١٩٢٤م بقصد جمع التبرعات لإصلاح مسجد القدس الشريف[٤٥] .

وشيد الشيخ حمد المسجد الجامع الكبير في المنامة على ساحل البحر . كما ساهم في بناء كثير من المساجد الأخرى ودور العبادة في جميع أنحاء البلاد . وكذا أمر بترميم مسجد الخميس في عام ١٩٢٨م[٤٦] .

وفي عام ١٩٣٧م تبرع الشيخ حمد بمبلغ ضخم لتوسيع وإعادة إعمار مسجد الجمعة في المنامة وتضمن ذلك إعمار منارة المسجد بارتفاع ١٠٠ قدم[٤٧] .

وفي نفس العام تم إنشاء مسجد صغير في القرية الشمالية لجزيرة (حوار) لاستخدام السكان المحليين وحرس القلعة فيها[٤٨] .

وسار على نهج أبيه في تسامحه فقد منح الكنيسة الكاثوليكية أرضاً لبناء كنيسة عليها . وفي عام ١٩٣٧م بنى مجالس في موضع (العمرو) الواقعة على بعد ساعة للماشي من الصخير جهة الجنوب .

وعلى مسافة ساعة من العمرو جهة الجنوب بنى أيضاً مجالس في موضع يسمى (المطلة) كما بنى أخوته وابنه الشيخ سلمان لهم مجالس فيها .

وبنى الشيخ حمد في (الصخير) له قصراً وفي جهة الغرب والجنوب رياض تجتمع فيها الأمطار والسيول فتنبت الأعشاب البرية وجعل الرياض التي حولها حمىً لسموه ترعاها إبله وخيله وأنعامه . وفيها ثلاث عيون ماء للشرب إحداها تسمى (أم حصاة) وماؤها أعذب مياه البحرين وألطفها لبعدها عن السواحل . ثم يليها في الحلاوة عين (أم الوميان) . والثالثة تسمى (العين الجنوبية) وبين تلك الرياض ميدان للسباق على الخيل .

وفي الرفاع قصر الشيخ عيسى بن علي آل خليفة يتوسط قصور أنجاله فمن الجنوب قصر ابنه الشيخ حمد وهو شرقي مسجد الجمعة القديم وقد كتب على مصراعي الباب هذان البيتان وبهما تاريخ البناء[٤٩] .

عيسى بن علي منار البيت أطده — على المكارم والعليا له عمد

لشبله طالع الإقبال أرخه — هنيت بالبيت يا در العلي حمد (١٣٠٩هـ)

وفي داخل قصر سمو الشيخ حمد يقع مجلسه العمومي وهو بديع المنظر والشكل وقد بني سنة ١٩٣١هـ لاستقبال الوفود والضيوف ويكاد يكون أفخر أبنية البحرين الشهيرة .

وكتب المساعد السياسي في البحرين للمقيم في بوشهر بتاريخ ٢٦ فبراير ١٩٠١م قوله : أتشرف بإفادتكم بأن الشيخ حمد أمضى الثلاثة الأسابيع الأخيرة في الصخير بالقرب من جبل الدخان في داخل الجزيرة حيث يبني فيه سكناً شتوياً . وقد دخل

اليوم المنامة والمحرق وزينت المدينة بهـذه المناسبة . كما تم إطلاق ٢١ طلقة مدفع تكريماً له(٥٠) .

وفي شتاء ١٩٤٠ تعرضت البحرين لأمطار غزيرة مما سبب انهيار بعض المباني السكنية . فأمر الشيخ حمد بتقديم التعويضات للمتضررين كما سمح لهم باستخدام قصره الواقع بالقرب من القلعة(٥١) .

البلدية

بعد أن تولى الشيخ حمد الحكم وسع الدوائر الحكومية التي أسسها والده وزاد في ميزانيتها. ففي ١٩٢٥م أمر الشيخ حمد بإنشاء بناية بلدية المحرق، بينما قامت بلدية المنامة ببناء مبنىً أوسع للاجتماعات ومكاتب ومخازن .

وخصص للبلدية مبلغ وقدره ٦٠.٠٠٠ روبية من الميزانية السنوية العامة التي مقدارها ١.٥٢٣.٠٠٠ روبية .

وفي تقرير ١٩٢٩م عهد الشيخ حمد لأخيه الشيخ محمد بن عيسى بن علي آل خليفة برئاسة بلدية المنامة . وخصص للبلدية في عام ١٩٣٠ و١٩٣١م ٤٤,٠٠٠ روبية .

وشهد عام ١٩٣٥م انخفاضاً في مخصصات البلدية إلى ٢٤,٠٠٠ روبية بسبب كساد الاقتصاد العالمي .

وأنجزت بلدية المنامة في عام ١٩٢٧م إنجازات قيمة كتوسعة الشوارع وتحسين المباني، وتنظيف الأسواق وتشجير الشوارع الرئيسية . وفي عام ١٩٣١ — ١٩٣٢م شهدت البحرين حملة تشجير تبناها سمو الشيخ حمد لأكثر من ألفي شجرة نخيل في حدائق عامة. وعهد لمختصين بزراعتها وتخصيب الأرض والعناية بها . وفي عام ١٩٣٥م واجه الشيخ حمد مطالب من بعض السكان لتحسين أوضاعهم بشأن مجالس البلدية فاستجاب لهم . وفي شهر يناير من عام ١٩٤١م أصدر الشيخ حمد الأمر لإجراء إحصاء لتعداد السكان لأول مرة في البحرين .

وفي عام ١٩٢٩م أنشأ سوقاً للأسماك(٥٢) .

العام	الميزانية العامة بالروبيات	الأشغال العامة	الصحة	التربية والتعليم	البلدية
١٩٢٤ – ١٩٢٥م	١.٥٢٣.٠٠٠	٣٠٠,٠٠٠	١٢.٠٠٠	٤٨,٠٠٠	٦٠,٠٠٠
١٩٣٠ – ١٩٣١م كساد الاقتصاد العالمي	١.٠٥١.٣٣١	١٠,٠٠٠	٦٢,٤٠٠	٦٠,٠٠٠	٤٤,٠٠٠
١٩٣٣	٨.٨٧٣,٦٧	٧٣١٤	٢٢,٥٨٠	٣٠,١٢٨	٢٤,٠٠٠
١٩٣٤م	١١,٣٤٤,٤٣	٩٠٧٦	٢١,١٧٥	٣٠,٠٠٠	٢٤,٠٠٠
١٩٣٨م	٧٤,٤٣٢,٤٥	٤٢٩.١٧٠	١١٣,٤٩٨	١٠٣,٠٧٩	٥٠,٤٠٠٠

هذه الأرقام مبنية على التقارير السنوية لحكومة البحرين لفترات مختلفة

والملاحظ : أنه في عام ١٩٣٠ – ١٩٣١م قلت الميزانية العامة بسبب الكساد الاقتصادي العالمي . فقلت ميزانية الأشغال العامة والبلدية . أما في عام ١٩٣٣م فارتفعت الميزانية العامة للبلاد ثمانية أضعافها عما قبل ولكن قلت ميزانية الأشغال العامة كذا الصحة والتربية والتعليم والبلدية . وفي عام ١٩٣٤م ارتفعت الميزانية العامة فزادت مخصصات التربية والتعليم والبلدية . وفي عام ١٩٣٨م تضاعفت ميزانية البحرين إلى سبعة أضعافها فارتفعت المخصصات لجميع إدارات البحرين .

المياه والكهرباء

لقد خصص مبلغ ثلثمائة ألف روبية لتوصيل المياه للمنامة والمحرق[٥٣] .

وفي بداية عام ١٩٢٥م تم حفر بعض الآبار الارتوازية

وفي العام التالي تم حفر ١٤ بئراً سبعة منها في المنامة وسبعة في المحرق وذلك لتوفير مياه الشرب للسكان .

وفي عام ١٩٢٨م تم التنقيب عن ٥٥ بئراً ارتوازية في المنامة والمحرق وكانت كافية لسد حاجات سكان البحرين من مياه الشرب والري . وفي العام الذي بعده وضعت قيود على حفر الآبار الارتوازية لأن ذلك قد يؤثر على كمية المياه الجوفية .

وافتتح الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة محطة الكهرباء في المنامة بتاريخ ١٢ مايو ١٩٢٩م رغم الكساد في الاقتصاد لهذا العام[٥٤] .

جسر المنامة المحرق

بدأ العمل في إنشائه منذ عام ١٩٢٩م وذلك بتمهيد المر المرتفع عبر بحر عميق طوله ميل ونصف الميل . وفي عام ١٩٣١م توقفت مواصلة العمل لثلاث سنوات بسبب عدم توافر الأموال . وفي عام ١٩٣٣ و١٩٣٤م استؤنف العمل وقدم تقرير في عام ١٩٣٥م لإنجازه . وفي عام ١٩٣٩م أبرمت اتفاقية بناء الجسر . وانتهى في ١٨ ديسمبر ١٩٤١م حيث قـام الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليـفة بافتتاحه وسمي جسر الشيخ حمد[٥٥] . وأصبح الجسر يسمح بعبور السفن التي تحمل البضائع دون عائق وذلك بوجود فتحتين كل واحدة منهما ٥٠ قدماً . أما عرض الشارع فكان ١٠ أقدام . ويتحمل الجسر حمولة قدرها ثمانية أطنان . وحسب التخمينات يستخدمه أربعة آلاف نسمة من المشاة و ٤٧٦ سيارة كانت وقتئذ تدفع رسوم العبور[٥٦] .

وأقيم حفل افتتاح جسر الشيخ حمد في يوم الخميس ٢٩ ذي القعدة ١٣٦٠هـ . ولم تحصل رسوم الجسر يوم الافتتاح بل بدئ بجبايتها يوم الجمعة ٣٠ ذي القعدة . وخلال الشهر الأول عبر الجسر ٦١ ألف شخص مشياً دون الذين عبروه في السيارات أو الدراجات. أي في كل يوم نحو ألف من المنامة للمحرق ومثلها من المحرق للمنامة .

وفي تقرير عام ١٩٢٨ سجلت صناعة السفن تقدماً ملحوظاً بصنع ٨٩ سفينة جديدة . وفي عام ١٩٣٠م صنعت البحرين ١٨ من اللنشات وتم تصدير ستة منها . كما زودت ستة لنشات بالموتورات[٥٧] .

وفي ١٩٢٤م عمل مدرج لهبوط الطائرات بعد أن رحب حاكم البحرين بإنشاء مطار في البحرين . وتم الوصول إلى اتفاقية إنشاء المطار في عام ١٩٢٩م وفي نهاية عام ١٩٣٣م تم تأجير مطار المحرق لصالح الخطوط الجوية الإمبريالية[٥٨] .

وشهد عام ١٩٢٤م بداية رحلات الشركة البريطانية الهندية (للملاحة البحرية) إلى البحرين . وتلتها شركة هانسا[٥٩] .

وأعيد النظر في (التنظيم الإداري) في الخليج حين شعرت الحكومة الهندية بأنه يجب عليها أن تستعيد بعض السلطات التي انتزعت منها في سنة ١٩٢١م بحجة أن معالجة الشئون العربية يجب أن ينظر إليها من ناحية ردود فعلها بين مسلمي الهند وتم تشكيل لجنة فرعية لتقديم توصياتها وأخيراً قررت وزارة الخارجية البريطانية أن تكون (دائرة الهند بلندن) مسئولة عن الخليج لخبرتها الواسعة في هذا المجال كان ذلك القرار في يوليو ١٩٣٣م . كما طالبت المقيمين في الخليج أن يرسلوا صوراً لرسائلهم الموجهة إلى دائرة الهند إلى كل من حكومة الهند ووزارة المستعمرات أيضاً، وتم اختيار وتعيين الوكلاء السياسيين في البحرين من السلك السياسي الهندي من ١٩٠٠ – ١٩٤٧م . ومنهم من الهنود بدرجة مساعد المعتمد أو المقيم السيد صديق حسن بين ١٩١٩ – ١٩٢٠م وخان بهادر عبد الحي الهاشمي وهو الذي عمل مساعداً للمقيم في عام ١٩٣٣م[٩٠] .

وعندما برزت بريطانيا كقوة عالمية سيطرت على الهند وعلى الطريق المؤدي إليها ونظراً لموارد الهند البشرية والطبيعية فقد كانت درة التاج البريطاني وأصبحت نقطة الانطلاق لتلعب دور المطافئ في حالة بروز عدم استقرار في الخليج العربي . وكان من أهم مهام (مارين بومباي) ضمان الأمن في البحرين خاصة والخليج عامة . وكان الغرض من القيام بعمليات المسح في مياه الخليج من البحرين لتوطيد دعائم الأمن الأجنبي وتوفير الأمان لسفنها التجارية – ومن هنا سادت روح الكفاح المشترك في كل من الهند والبحرين ضد الأجنبي وزاد بين البلدين التعاطف والتعاون والمقاومة السلبية للمقترحات الأجنبية سواء كانت في مجال الحفاظ على سفن الملاحة في مياه الخليج أو في فرض اللوائح الإدارية أو إثارة الخلافات الطائفية والعنصرية فقد فرضت القانون الإداري الساري المفعول في الهند على البحرين مع احتفاظ المعتمد السياسي بحقوق متميزة . وقد جوبهت تلك اللوائح بالاحتجاجات والرفض في كل من الهند والبحرين[٩١] .

وفي الرابع من نوفمبر ١٩٤٠م افتتح الشيخ حمد محطة الإذاعة في البحرين . وشغل جيمس بلجريف وهو (ابن المستشار الحكومي تشارلز بلجريف) والملقب بـ (حمد بلجريف) شغل وظيفة مدير دائرة العلاقات العامة والإذاعة لحكومة البحرين . وهو من مواليد البحرين ويجيد اللغة العربية وكان مثالاً للموظف النشط .

وفي سنة ١٩٢٨م تأسس مكتب فرعي للبريد في المنامة بجانب الوكالة البريطانية .

سفرات الشيخ حمد

في إطار تبادل الزيارات بين الحكام والمسئولين في كل من البحرين والهند . فقد سافر سمو الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة إلى الهند وبمعيته بعض أبنائه والدكتور (هولمز) . وقضى شهرين في (كشمير) للاستجمام عقب مرض ألم به . وذلك خلال صيف ١٩٣٨م وعاد في ٢٠ أغسطس ١٩٣٨م .

كما زار (سملا) في العام التالي وقضى ستة أسابيع فيها . ثم عاد إلى البحرين عقب إعلان الحرب العالمية الثانية في سبتمبر ١٩٣٩م وكانت هذه الزيارة بدعوة رسمية من نائب الملك في الهند . ورحب به الحاكم العام الهندي وكبار الشخصيات في سملا ورافقه بعض أبنائه .

وسبق أن زار الهند لأول مرة في ٣ ربيع ثاني ١٣٣٩هـ الموافق قي ١٦ ديسمبر ١٩٢٠م . وخلال صيف ١٩٤٠م قضى الشيخ حمد بضعة أسابيع في الهند.

وأيدت البحرين والهند القضايا العربية وعلى رأسها القضية الفلسطينية . وقدمتا الدعم المادي والمعنوي منذ البداية . وجاء في تصريح للمهاتما (غاندي) في ١٢ نوفمبر ١٩٣٨م قوله : وعلى الرغم من عطفي على اليهود إلا أنني لا أغمض عيني على مقتضيات العدالة . إنني لم أتأثر بمطالبة اليهود بوطن مستقل لهم . إن فلسطين للعرب كما أن إنجلترا للإنجليز وفرنسا للفرنسيين . ومن الخطأ أن نضع اليهود كعبء على العرب[٦٢]

زيارة الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة إلى لندن في عام ١٩٢٥م

قام الشيخ حمد بزيارة إنجلترا في يوم الثلاثاء ٢٨ يوليو ١٩٢٥ م . وكان يرافقه القنصل البريطاني في البحرين . وكان طريق السفر براً إلى لبنان ومنه بحراً إلى مرسيليا في فرنسا . ثم منها إلى لندن . وقضى خمسين يوماً فيها فزار معرض ويمبلي وبعض

الجامعات والمصانع ودار ضرب النقود وقد استقبله ملك بريطانيا وقال عنه : إنه رجل نبيل بكل معاني الكلمة ومتواضع استقبلنا باحترام بالغ وسأل إذا نحن نريد زيارة بلادكم فقلت : نرحب ونكون مسرورين بلقائكم . ونقدم لكم جل احترامنا . وزار الشيخ حمد قصر بكنجهام ورئيس الوزراء . وزار معرضاً جوياً شاركت فيه ١٥٠ طائرة ونزول البعض في المظلات . كما زار المتاحف . وزار لندن وجلاسجو واطلع على عدة مصانع فيها ثم زار أدنبرة وجزرا في غربي اسكتلنده . وقال الشيخ : خلال جولتنا أكلنا أكلا أوروبياً ورضينا به . وعاد في ٣١ يوليو ١٩٢٥م واستقبل استقبالاً رائعاً بعد نزوله رصيف الجمرك . وأطلقت سبع طلقات مدفع ترحيباً به . ثم تفقد حرس الشرف في صدر الرصيف . وقد فرش الرصيف بالسجاد وكان حشد كبير في انتظاره منذ ساعات رغم شدة الحر . وألقيت كلمات منها خطاب ترحيب من البلدية . ثم غادر للمحرق ليسلم على أبيه . وعاد في المساء إلى منزله بالمنامة بالقرب من القلعة . وفي الثامن من أغسطس ١٩٢٥ ألقى خطاباً أعرب عن امتنانه لحكومة صاحب الجلالة[٦٣] .

زيارته إلى لندن للمرة الثانية

منح سمو الشيخ حمد ١٩٣٥م وسام (فارس الإمبراطورية الهندية) (كي.سي.أي) ووجهت الحكومة البريطانية له دعوة ليزور إنجلترا ويقدم الملك إدوارد الوسام له . فسافر الشيخ حمد في يناير ١٩٣٦ وبرفقته المعتمد السياسي بالبحرين (جوردون لوخ) و (مارجوري) ومعه ولداه وسكرتيره وثلاثة خدم . وكان السفر بالطريق البري مريحا وفي بغداد التقى الشيخ مع ملك العراق واستقبل استقبالاً رائعاً . ثم ركبنا القطار إلى أنقرة وكان مجموعة من مسئولي دائرة الخارجية ومن السفارة في انتظارنا . وبعد سفرنا لم نجد في تركيا أي شخص في المحطات التي مررنا بها . ودام السفر مدة أسبوع . واستغرقت الزيارة أكثر من شهر . وتمت مقابلة خاصة بين الشيخ حمد وملك بريطانيا . وأقيمت حفلات بمناسبة منحي وسام الزمالة (سي.بي.أي) بمناسبة ميلاد الملك . وحضر الحفل (برسي كوكس) و (اللورد لويد) . وكان البرنامج حافلاً بالزيارات مثل زيارة جامعة (أكسفورد) ومتحف (مدام توسو) وسفينة (كوين ماري) . وكان يرتدي لباسه العربي التقليدي . وأقام له المعتمد السياسي بالبحرين الكولونيل (جوردون لوخ) حفل استقبال .

وفي طريقه للحفل اصطف عدد كبير من الأطفال الذين منحوا إجازة ليروا الشيخ وطلبوا أن يوقع في دفاترهم ووقع بعضها . ولولا الشرطة لبقي طول اليوم وهو يوقع الدفاتر . وعاد للبحرين عن نفس الطريق الذي سافر منه بأيـــام أقـــل في كل من باريس واسطنبول[٦٤] . وأثناء سفر الشيخ حمد إلى إنجلترا في يناير ١٩٣٦م تم تعيين الشيخ عبد الله بن عيسى بن علي آل خليفة والشيخ سلمان بن حمد آل خليفة عضوين يعملان مدة غياب الحاكم في أوروبا في تسيير الأمور الروتينية . أما ما يتعلق بالسياسة العامة والنفط والجاليات الأجنبية فسوف يتم دراستها من قِبل المجلس بالتعاون مع المعتمد السياسي .

ويهتم (ديجرينير) مدير الجمرك والميناء بالمراسلات الروتينية كما يوقع على جوازات السفر . وكان المهندس (ستيل) يتولى قيادة الشرطة والحرس (النواطير) ويوقع على رخص السياقة ويهتم السيد (محمد خليل) مدير الطابو بأمور تسجيل وإيجار الأراضي ونحوها . ويوقع الشيخ عبد الله والشيخ سلمان على السندات العقارية أثناء غياب الحاكم[٦٥] .

وممن زار البحرين سمو أمير الكويت في ٣١ أغسطس ١٩٢٨م .

وفي ٢٧ فبراير ١٩٣٠م زار الملك عبد العزيز البحرين بدعوة من شيخ البحرين . ولقي جلالته ترحيباً حاراً واستقبالاً رائعاً .

ويصف الكابتن (برايور) المعتمد السياسي في البحرين الاستقبال الذي استقبل به الملك عبد العزيز من قِبل شيوخ البحرين ونحو خمسة آلاف شخص معظمهم من العرب وخاصة النجديين حتى أن حرس الشرف شاركوا الجماهير في الاستقبال ودخل الملك في السيارة بصعوبة واتجه إلى القصر حيث رحب به الشيخ عيسى وابتهج بلقاء الضيف الكريم بعد عدة سنوات ومما قاله الشيخ عيسى لضيفه الملك : إنني كنت خائفاً أن أموت دون أن أراك ثانية لكني الآن أموت وأنا مطمئن ومرتاح البال بعد أن تشرفت بلقائك وأنت في هذا الشرف والعز . فأجابه ابن سعود قائلا : توفى والدي وليس هناك من أستشيره عداك . وعند مغادرته رافقه الشيخ حمد لتوديعه على الشاطئ في الزلاق لقد كان الشيخ حمد رجلاً وشيخاً بحق . وقد عرض عليه جلالة الملك أن يؤدي فريضة الحج بقوله : لن أرضى حتى أراك في مكة . ولبى الشيخ حمد الدعوة فحج عام ١٣٥٧هـ وذلك عن طريق البحر . وكتب القبطان برايـــور من البحرين إلى المقيـــم في الخليج برقيـــة



سمو الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة في استقبال الملك عبد العزيز آل سعود عند زيارته للبحرين عام ١٩٣٩م

الوثيقة ـ ١٤٩

جاء فيها : إن زيارة ابن سعود شجعت الوعي الوطني في البحرين وكشفت ضعف السيطرة البريطانية عليها بكل وضوح[٦٦] .

وفي ديسمبر ١٩٣٧م زار الأمير سعود بن عبد العزيز آل سعود البحرين مع بعض أخوته وأقربائه بدعوة من أخيه الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة ودامت الزيارة ثمانية أيام[٦٧] .

وفي ٢ يناير ١٩٣٨م قام الشيخ حمد بأداء فريضة الحج وبمعيته بعض أقربائه وتابعيه وعددهم سبعون مرافقاً[٦٨] .

وفي أواخر أبريل ١٩٣٩م قام الملك عبد العزيز آل سعود بزيارة للدمام . فانتهز الشيخ حمد هذه الفرصة لتوجيه الدعوة له لزيارة البحرين . وقبل الملك هذه الدعوة وزار البحرين في ٢ مايو ١٩٣٩م ومعه بعض أبنائه وتابعيه . وتبودلت الهدايا بين الطرفين[٦٩] .. وكان هدف هذه الزيارة التوسط في قضية الزبـــارة وحل الخلاف القائم بين البحرين وقطر[٧٠] .

وهكذا كانت العلاقات بين الملك عبد العزيز وأبنائه ودية للغاية مع الشيخ عيسى بن علي والشيخ حمد بن عيسى ففي رسالة من الملك عبد العزيز مؤرخة في ٢٧ جمادى الأولى ١٣٢٣هـ يقول : وحال التاريخ وحنا في على الحمرور وإن شاء الله ننزل الحريق وأحببنا تبليغ جنابكم موجب محدارنا ونزلنا . وباقي الجواب من رأس هذلول . وهنا يبلغ الملك عبد العزيز الشيخ حمد بما ينوي فعله ويترك لناقل الرسالة أن يكمل ما أخبره الملك من أخبار يوصلها للشيخ حمد دون علم أحد . وفي ذلك منتهى الثقة والأخوة الصادقة .

وتجد الملك عبد العزيز يفصل للشيخ حمد برسالة مؤرخة في ٢٥ صفر ١٣٤١هـ ويبشره بدخول الأمير فيصل بن عبد العزيز لعسير واستسلام (أبها) فأمن أهلها على ما حكمت به الشريعة . وأرسل الملك للشيخ حمد هدية وهي فرس دهمه وهي بنت الدهمة وأبوها الحمداني وهي التي قدمها الشيخ عيسى بن علي إلى الأمام عبد الرحمن الفيصل كان ذلك بتاريخ ١٨ شوال ١٣٥٤هـ .

وكتب الملك خطاباً للشيخ حمد في ٨ ربيع الأول ١٣٥٦هـ يذكر أن الابن سعود بن عبد العزيز توجه للبحرين ومعه إخوانه وسبعة خدام وهم في طريقهم إلى الهند لأجل التداوي والمعالجة . فرحب الشيخ حمد بهم وأنزلهم خير منزل .

إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة

توجه سمو الشيخ حمد بن عيسى بن علي براً إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وذلك في حج عام ١٣٥٦هـ /١٩٣٧م وكان بمعيته أصحاب السمو من أبنائه : الشيخ مبارك والشيخ دعيج والشيخ أحمد، وابنا أخيه الشيخ راشد بن خليفة . والمساعد الطبي لصاحب السمو، والشيخ علي بن محمد مطوع صاحب السمو، وسعود بن ثاني، وعبد الله بن عبد الكريم كاتب، مع تسعة من الخدم . وذكر (بولارد) من المفوضية البريطانية في جدة : أن ابن سعود كان في غاية السرور لزيارة سمو الشيخ حمد وتلقى عناية واحترام خاصة من الأمير سعود بن عبد العزيز رداً على ما لقيه من سموه حين زيارته للبحرين في شهر ديسمبر ١٩٣٥م . فكان حريصاً على أن يرد كرم الضيافة والمجاملة بالمثل وعند وصول سمو الشيخ حمد للرصيف أطلقت إحدى وعشرون طلقة مدفع ونظمت السلطات السعودية استقبالاً رائعاً وانطلق الأسطول الجوي السعودي مكون من ست طائرات ليرافق سفينة (لندن ديري) . ثم جاء الأمير فيصل وأطلقت مدافع السفينة إحدى وعشرين طلقة تحية له . وكان اللقاء بين سمو الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة وسمو الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود ودياً جداً . وفرح سمو الشيخ ببرنامج الاستقبال . وفي جدة اصطف حرس الشرف والأعيان وأقيم حفل استقبال حضره سمو الأمير سعود والأمير فيصل واخوته وتغدى مع الأمير فيصل بصفته نائب الملك في قصر خزام خارج جدة ثم غادر لمكة عصراً[٧١] .

وفي مكة أقيم حفل استقبال رسمي مع استعراض للجنود والشرطة وطلاب المدارس . وألقى عمدة مكة خطاباً ترحيبياً . ثم مأدبة عشاء تكريماً لسمو الشيخ لثلاث ليال متتالية من كل من جلالة الملك وسمو الأمير سعود وسمو الأمير فيصل . ثم سافر إلى المدينة المنورة . وفي الحفل الذي أقيم له هناك تكلم بحماسة عن الرعاية وكرم الضيافة التي حصل عليها من ابن سعود الذي أعاد الأمن والاستقرار في الجزيرة العربية .

حضر الشيخ حمد (مؤتمر الكويت) الذي عقد في فبراير عام ١٩١٥م برئاسة نائب الملك في الهند وحضره كل من : السير برسي كوكس والوكيل السياسي البريطاني في الكويت . والشيخ مبارك آل صباح والشيخ حمد بن عيسى بن علي بالنيابة عن والده شيخ البحرين . وسبب انعقاد هذا المؤتمر هو قيام الحرب العالمية الأولى وحاجة الإنجليز إلى ضمان وقوف الحكام والشيوخ العرب في منطقة الخليج العربي إلى جانبهم في الحرب ضد الأتراك والألمان . وبعد التشاور أجل عقد المؤتمر إلى ٢٣ نوفمبر ١٩١٦م .

وفي عام ١٩٤٠م منح الشيخ حمد وسام بابا روما وهو وسام الفارس الأكبر في النظام المقدس للبابا (سان سلفستر)[٧٢] .

وفي عهد سمو الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة ولد سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة في مساء اليوم الثالث من شهر يونيو ١٩٣٣م الموافق لليوم العاشر من صفر عام ١٣٥٢هـ. وكان مولده في (الجسرة) وهي إحدى ضواحي البحرين الواقعة على سيف البحر الغربي والتي تكثر فيها بساتين النخيل وأشجار الفاكهة فهي تتمتع بمناخ صحي وهناك قضى سموه فترة من طفولته .

وكتب المعتمد السياسي في البحرين إلى المقيم في الخليج خطاباً جاء فيه : ولد الشيخ عيسى في ليلة ٣ / ٤ يونيو ١٩٣٣م واحتفل سمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة بقدوم المولود بحفاوة بالغة وتلقى الخبر شيوخ الساحل المهادن (الإمارات العربية المتحدة) وقطر بسرور واهتمام بالغين وأرسلوا التهنئة إلى حاكم البحرين سمو الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة وإلى نائبه[٧٣] الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة، كما طلب المعتمد في البحرين من المقيم في الخليج أن يرسل بطاقة تهنئة إلى حاكم البحرين وإلى نائبه . وكان المقيم وقتئذ في زيارة إلى قطر فأرسل من هناك برقية يهنئ فيها أمير البحرين سمو الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة على مولد حفيده الشيخ عيسى . وبعد ساعتين أو ثلاث سمع الرد على هذه البرقية من شيخ البحرين، وكان المقيم يريد أن يؤكد لشيخ قطر أهمية استخدام أجهزة الاتصالات اللاسلكية في بلاده[٧٤] .

واتبع (فاول) رئيس الخليج البرقية برسالة إلى سمو الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة وفيها : تلقيت في لحظة مباركة خبر مولد حفيدكم فأنتهز هذه الفرصة لأشارككم الأفراح وأكتب لكم هذه الرسالة لأهنئكم بهذه المناسبة السعيدة داعياً المولى عز

وجل أن يعيد عليكم مثل هذه المناسبة وأن يديم لكم التوفيق والبركات(٧٥) . وقد أجاب سموه على التهنئة . كما أرسل رئيس الخليج رسالة إلى سمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة جاء فيها : وصلت إلينا بشرى سارة بأن الله رزقكم غلاماً وبادرنا إلى كتابة التهنئة والتبريكات الحميمة سائلين الباري أن يجعله قرة العين وأن ينعم عليكم بأن تروا أولاده(٧٦) . وعمت الأفراح ولبست البحرين حلة قشيبة من الزينة وجلس سمو الشيخ حمد ونائبه وولي عهده الشيخ سلمان لاستقبال المهنئين من سكان البحرين وممن وفد من الخارج لتقديم التهاني والتبريكات . وسماه جده الشيخ حمد على اسم والده الشيخ (عيسى بن علي) الذي اتصف بالكرم والسماحة والتواضع وسيرة الملوك فورث عنه حفيده الشيخ عيسى بن سلمان تلك الصفات الكريمة(٧٧) .

ولاية العهد للشيخ سلمان

اقترح (جوردون لوخ) على مستشار حكومة البحرين (بلجريف) في السابع من مارس ١٩٣٣م أن يختار الشيخ حمد ولده الشيخ سلمان ولياً للعهد وخلفاً له . كما أن عدداً من الناس عرضوا على الشيخ حمد ترشيح الشيخ سلمان لولاية العهد(٧٨) .

وفي شهر ديسمبر ١٩٣٨م كتب (وايتمان) المعتمد السياسي في البحرين إلى (ترنشارد) بأن سمو الشيخ حمد يرغب في مناقشة موضوع هام مع (بلجريف) ومع (وايتمان) وهو ترشيح ولي للعهد وطلب مشورة المعتمد السياسي في البحرين فأيده في ذلك . لأنه يجعل المناخ واضحاً ويزيل مجال الشك وسوء التفاهم فأعرب الشيخ حمد عن تقديره لما قاله المعتمد السياسي . وطلب من المعتمد السياسي ومن بلجريف مشورتهما فيمن يرشح كنصيحة(٧٩) .

وكان يواكب هذه الفترة ولاء معظم السكان للشيخ حمد ورضاءهم بالأوضاع السائدة في البحرين(٨٠) . وكتب (وايتمان) للشيخ حمد بأن حكومة صاحب الجلالة وحكومة الهند والمقيم قد وافقوا على الاقتراح لترشيح ولي للعهد وأن سموه يريد الترشيح كتابياً ويتجنب الترشيح علناً ويوصي المعتمد (وايتمان) أن يكتب المستند دون ذكر المرشح ثم يخبرهم أنه

سوف يرشح خلفاً له وسوف يبقى اسم المرشح سراً حتى وفاته ويوقع على المستند جميع الحضور بما فيهم المعتمد السياسي كشهود ويوضع المستند بعد توقيعه في ظرف ويختم ويسلم إلى وايتمان ويودع في (البنك الشرقي) دون أن يعرف أحد اسم الخلف إلا المعتمد وايتمان[٨١]

ويصف بلجريف في مذكرة كتبها في فبراير ١٩٤٠م كيف تم توقيع الوثيقة أو المستند لولاية العهد للشيخ سلمان بن حمد آل خليفة وكيف التقط وايتمان الصور لكل شخص وقع عليها كشهود . وفي صباح يوم وفاة سمو الشيخ حمد استُخرجت الوثيقة[٨٢] .

في مذكرة كتبها بلجريف بتاريخ ٢٦ فبراير ١٩٤٢م يقول :

لم يكن سمو الشيخ حمد في صحة جيدة منذ عدة سنوات . ولما كان في زيارة لإنجلترا قدمت له توصيات باتباع نظام في الأكل لأنه مصاب بمرض السكر .

وعقب عودته إلى البحرين تلقى العلاج من الدكتور (هولمز) . ثم من الدكتور (سنو) . ولكنه خالف تنظيم الطعام فتدهور وضع القلب تدريجياً نتيجة الإجهاد . حتى أنه لم يستعرض العرض العسكري الذي أقيم يوم الاثنين بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٤٢م لأنه كان يتعب إذا سار على قدميه وبقي جالساً طوال العرض . وبعد العرض ركب الشيخ إلى الرميثة حيث يسكن فيها ليستمتع بالطقس عقب هطول المطر . والرميثة تقع في وادٍ صغير بأرض مرتفعة جنوب جزيرة البحرين . كما بنى فيها مسجداً وبعض المنازل الأخرى . وزاره في عصر يوم الثلاثاء الدكتور سنو ووجده في معنوية عالية ولم يظهر عليه أي أعراض غير طبيعية . وفي الساعة الثامنة والنصف من نفس اليوم تعرض الشيخ حمد لسكتة قلبية وهو يصلي . وكان أحد خدمه موجوداً آنئذ عندما سقط الشيخ بجانبه فاقداً الوعي بسبب نزيف الدم في الدماغ . فدعا الخادم الآخرين ووضعوه في وضع مريح وبعث الرسل لكل من الدكتور سنو والدكتور هولمز وهاريسن وإلى أبناء وأشقاء الشيخ . ولما سمعت الخبر – والقول لبلجريف – في صباح اليوم التالي، خرجت للرميثة فوجدت الشيوخ وكان الشيخ حمد في حالة غيبوبة طيلة يومي الأربعاء والخميس . وفي ظهر يوم الجمعة ٢٠ فبراير ١٩٤٢م أبلغني الدكتور (هولمز) عن وفاة الشيخ حمد فخابرت المعتمدية

وذهبت للرميثة ومعي السكرتير ناراين فأمرت أن تنكس الأعلام حداداً كي يعرف الناس ما حدث . وعلى مسافة قليلة لاقيت مسيرة طويلة وفيها نحو ٦٠ سيارة وفيها كبار العائلة فوقفت السيارة الأولى بجانب الشارع . وكان الناطق باسمهم الشيخ محمد بن عيسى الذي أخبرني بأنهم اختاروا الشيخ سلمان ليخلف أباه . ثم نقلوا جثمان الشيخ حمد إلى مقبرة الرفاع وأنا أتابع سياراتهم . وهناك حشد كبير من الناس يتقدمهم الشيخ عبد اللطيف . ودفن الشيخ حمد بجوار قبر الشيخ (سلمان بن أحمد) ثاني حاكم بعد والده أحمد الفاتح . وممن حضر مراسم الدفن الدكتور سنو والدكتور هاريسن وجمهور غفير من مختلف الجنسيات . وفي نفس الليلة حوالي الساعة الثامنة مساءً سحبت الوثيقة من البنك الشرقي والتي كتبها الشيخ حمد بتعيين ولي عهده الشيخ سلمان وقدمتها للشيخ سلمان وأضاف الشيخ سلمان قائلاً : بأن عمه الشيخ عبد الله زاره الليلة السابقة وقال له بأنه في حالة وفاة الشيخ حمد يجب أن يخلفه الشيخ سلمان وهو يؤيد الشيخ سلمان . كما أيده الشيخ محمد والشيخ عبد الله ثانية عقب وفاة والده وأنهما مخلصان له ويتصرفان مثلما كانا يتصرفان في عهد أبيه . ثم وافق جميع أفراد العائلة الحاكمة على تولي الشيخ سلمان الحكم . وتكلم الشيخ سلمان عن واجباته ومسئولياته فقال : الحفاظ على الأسرة الحاكمة وحمايتها . ثم رعاية مصالح وطنه وشعبه بالعدل والإنصاف . والاحتفاظ بصداقـــة بريطانيا . ثم أمر المستشـــار بلجريف بالاستمرار في عمله[٨٣] .

أنجب الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة أحد عشر ولداً هم : (سلمان) ولد في ١٥ ربيع ثاني ١٣١٢هـ ثم (محمد) و (أحمد) وهؤلاء الثلاثة جدهم من الأم الشيخ علي بن محمد آل خليفة . ثم (علي) و (راشد) و (عبد الرحمن) وهؤلاء جدهم عبد الله بن سلمان الجلاهمة . ثم (إبراهيم) و (أحمد) و (مبارك) و (عبد الله) وهؤلاء جدهم سلمان بن دعيج آل خليفة . ثم (خليفة) وجده الشيخ راشد بن محمد آل خليفة[٨٤] .

حكومة البحرين

إعلان

[illegible]
١٣٦١

يعلن للعموم أن يوم الخميس الموافق ١٤ شوال ١٣٦١ قد تقرر بأن يحتفل فيه احتفالاً رسمياً ابتهاجاً
بجلوس صاحب السمو الشيخ حمد بن الشيخ عيسى آل خليفة على أريكة الملك خليفة لوالده المغفور
له سمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة . فهذا اليوم والمهرجانات التي تبدء بعد أيام عيد [illegible]
ينبغي لكل الناس أن يزينوا بيوتهم وينشروا أعلام البحرين تعبيراً عن سرورهم وتفتح الدكاكين ليلاً
ونهاراً أثناء الأيام الثلاثة المذكورة) وستكون الحفلة في المدرسة الخليفية بالمنامة [illegible] من
الليل) وسيتقدم سمو الشيخ حمد كذلك لحضرة نائب صاحب الجلالة البريطانية
في الخليج [illegible] تكريماً لتقديم الوسيط لصاحب السمو الشيخ حمد بن
الشيخ عيسى آل خليفة (حاكماً على البحرين) وعند انتهاء الحفلة ستطلق مائة مدفع
ومدفع وهي التحية الملكية) ويطلب من جميع الناس الحضور لهذه الحفلة في المدرسة المذكورة
[illegible] مساء [illegible] وعند انتهاء الحفلة ستكون [illegible]
[illegible] فليعلم ذلك وللبيان حرر ذلك في [illegible] شوال ١٣٦١
[illegible] ١٩٤٢

C D Belgrave

[illegible] مستشار حكومة البحرين

[illegible]

إعلان برنامج الاحتفال الرسمي
بمناسبة ارتقاء سمو الشيخ حمد بن عيسى بن علي سدة الحكم

From

The Political Assistant
Bahrein

To

The Political Resident
in the Persian Gulf
Bushire

Bahrein 26th February 1901.

Sir,

In continuation of my letter No. 3 dated I have the honor to report that Sheikh Hamed bin Isa Al Khalifa who has been away for the last three weeks at Al Rifaa Shergeyah near Jebel Dukhan in the interior of the Island, where he is building a winter residence, today entered Manama for the first time since on his way to Moharraq, ~~and in commemoration of~~ his recognition ~~representation~~ as the immediate successor of the Sheikh. The Town was decorated and a salute of 21 guns was fired ~~at both Towns~~ in his honour.

I have &c
J.C.G.
P.A.

من مساعد المقيم السياسي البريطاني في البحرين إلى المقيم السياسي في منطقة الخليج

بسم الله الرحمن الرحيم

من حمد بن عيسى آل خليفة

إلى جناب الأكرم عميد المكارم والشيم حضرة المجل الأكرم [illegible] المعتمد السياسي البريطاني في الخليج [illegible] سلمه الله تعالى آمين

بعد إهداء وافر السلام التام [illegible] مع السؤال والتفقد عن صحتكم [illegible] لقد تشرفنا بما ورد في كتابكم الكريم [illegible] المؤرخ ١٠ شعبان ١٣٥١ الموافق [illegible] ديسمبر ١٩٣٢ المتضمن [illegible] التعليمات البرقية بإشعار سموكم أن حكومة الهند اعترفت [illegible] [illegible] [illegible] فهذا من عواطفكم الكريمة [illegible] [illegible] تشكراتي لسمو حكومة الهند المعظمة أيد الله [illegible] العز والبقاء [illegible] شعبان ١٣٥١

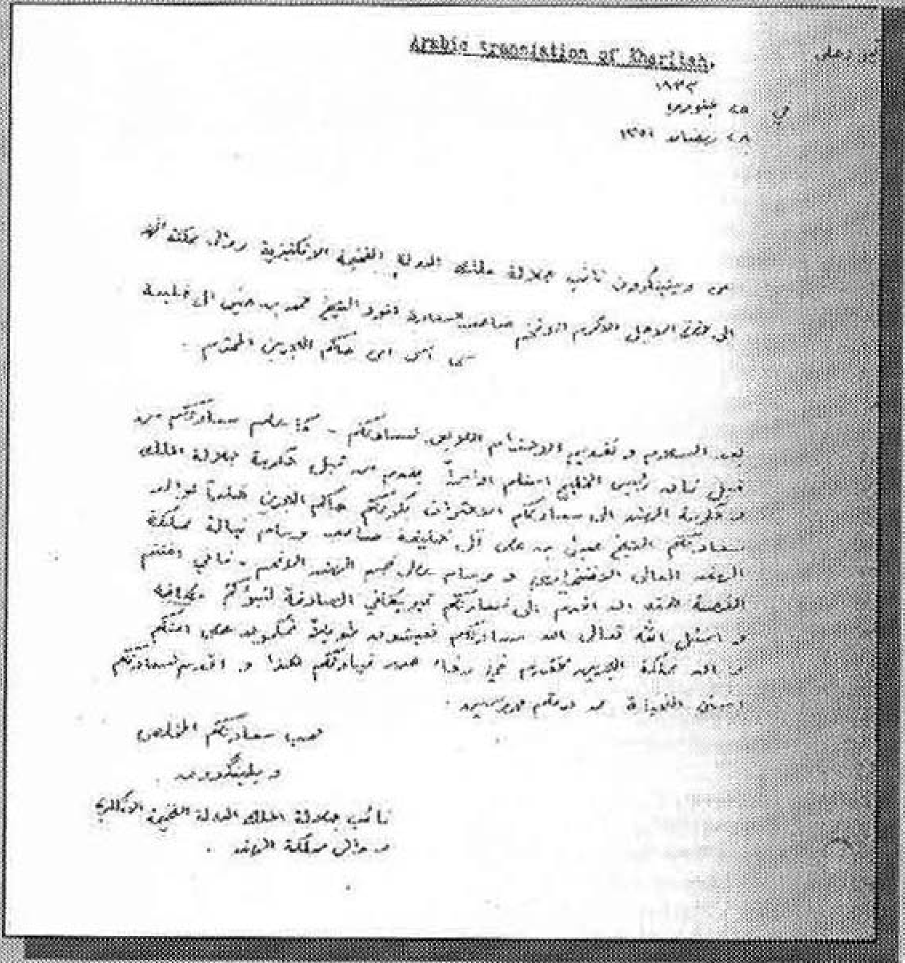
من سمو الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة إلى المعتمد البريطاني في المنطقة

من حمد بن عيسى آل خليفة

[illegible]

من سمو الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة إلى الشيخ أحمد الجابر الصباح

١٥٨ . الوثيقـة



Arabic translation of Kharitah.

١٩٣٣
٢٥ جنوري
٢٨ رمضان ١٣٥١

من ولينگدون نائب جلالة ملك الدولة العظمى الانكليزية ووالي مملكة الهند
الى حضرة الوجيه الأكرم الأفخم صاحب السعادة شيوخ الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة
ابن حاكم البحرين المحترم .

بعد السلام وتقديم الاحترامات اللائقة لسعادتكم – نحيط علم سعادتكم بأنه
[illegible] رئيس الوزراء [illegible] من قبل حكومة جلالة الملك
وحكومة الهند الى سعادتكم الاحترامات بكونكم حاكم البحرين [illegible]
سعادتكم الشيخ حمد بن على آل خليفة صاحب وسام نيابة مملكة
الهند العالية [illegible] وسام [illegible] نجم الهند الأعظم . [illegible]
الفرصة [illegible] الى سعادتكم [illegible] الصادقة [illegible]
واسئل الله تعالى [illegible] سعادتكم [illegible]
[illegible] المملكة [illegible] سعادتكم
[illegible]

محب سعادتكم المخلص
ولينگدون
نائب جلالة الملك الدولة العظمى الانكليزية
ووالي مملكة الهند .

من نائب ملك بريطانيا والي الهند إلى سمو الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة

الوثيقـة . ١٥٩

العدد ٣٠٤٠/ ١٦٨٣ لسنة ١٣٥٧
ادارة مستشار حكومة البحرين
حرر في ٢٧ رمضان ١٣٥٧
٢٠ نوفمبر ١٩٣٨م

الحضرة المحترم .

جناب الاجل الافخم صاحب السمو الشيخ المعظم حمد بن الشيخ عيسى

بعد عرض فائق التحية والاحترام .

ارجو الافادة عما اذا يستحسن سموكم بناء مسجد صغير في جزيرة حوار . هذا ما لزم وفي الختام ارجو ان تتفضلوا سموكم بقبول فائق التحية والاحترام .

مخلصكم المخلص

مستشار حكومة البحرين .

رسالة من مستشار حكومة البحرين إلى سمو الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة
المصدر : كتاب حوار في الوثائق التاريخية ١٩٨٧م . ص٩٨

١٦٠ . الوثيقـة

٢٥٠٢-١٩٣٩ ١٩٣٩م رقم ٢٦٠٢/١٤٧٧/١٠/د/١٩٨٠/ت/٩٠/ق/أد ٧٥٩٣/٧٥٩٣/٩١

سفارة بريطانيا جدة / العربية السعودية - ٢٨ أكتوبر ١٩٣٩م

عزيزي باكستر

ربما تتذكر الاهتمام الودي الذي يبديه ابن سعود في قضية الزبارة والخلاف القائم بين البحرين وقطر. ولقد ذكرت هذا في رسالتي المرقومة ١٨ (٢٢٢/٤٦٩/٣) والمؤرخة في أول فبراير ١٩٣٨م. وهناك مرجع آخر حول المكالمة اللاحقة مع ابن سعود عن الموضوع المذكور أعلاه ومن مواضيع أخرى لكنني لم أعثر عليه الآن.

لقد أشار الشيخ يوسف (ياسين) قبل مغادرتي الرياض إلى هذا الموضوع وقال بأن عبدالعزيز ابن سعود قد ناقشه بصورة غير رسمية وبصفة شخصية وذلك مع المعتمد السياسي في البحرين عند زيارته الأخيرة للبحرين في ٢ مايو ١٩٣٩م وأراد الآن أن ينقل لي رسالة شخصية وغايتها أن يبلغني عن الاهتمام الذي يبديه ابن سعود في موضوع الخلاف بين البحرين وقطر - كحاكم عربي والتعبير عن أمله بأن حكومة بريطانيا ستتمكن من تسوية النزاع. ولقد قبلت هذه الرسالة كرسالة شخصية وشكرت ليوسف وأضفت قائلاً بأنه لا يمكن أن يتصور حكومة بريطانيا إلا أن تأسف لاستمرار النزاع بين حاكمين عربيين في الخليج.

أرسل نسخة من هذه الرسالة إلى المقيم السياسي في الخليج ونسخة ثانية إلى المعتمد السياسي في البحرين.

المخلص...

آر. دبليو. بولارد

سي. دبليو. باكستر

مكتب الخارجية

E7593/7593/91 No.2607/1477/10 British Legation-Jedda Saudi Arabia
October 28, 1939

My dear Baxter, You will remember the friendly interest that Ibn Saud takes in the Zubara dispute between Bahrain & Qatar. This is mentioned in my despatch No.18(222/469/3) dated Feb 1st 1938. There is also a reference which I cannot now trace in a despatch about a later conversation with Ibn Saud himself on that & other subjects. PARA. Shaikh Yusuf referred to the subject just before I left Riyadh. He said that Ibn Saud had spoken about it, not officially ofcourse, but personally, to the Pol. Agent at Bahrain when he was there in May & he now wished to give me a personal message, reminding me of the interest which he as an Arab ruler takes in the matter & expressing the hope that HMG would be able to bring about a settlement. I accepted this communication as a personal message & thanked Yusuf for it & added that the King could hardly suppose that HMG viewed with anything but regret the continuation of a dispute between two of the Arab rulers in the Persian Gulf. PARA. A copy of this letter is being sent to the Political Resident in the Gulf & a copy to the Political Agent at Bahrain.

Yours ever,
R.W.Bullard

C.W.Baxter
For Office

رسالة من بولارد إلى باكستر

المصدر : كتاب حوار في الوثائق التاريخية . للدكتور علي أباحسين . ط١ البحرين ١٩٨٧م ص١٢٥



المغفور له سمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة

الهوامش

١ – برقية من المعتمد السياسي بالبحرين إلى المقيم السياسي في الخليج رقم ١٣٤ في ٢٠/ ٢١ فبراير ١٩٤٢م/٤٠٣ .

٢ – محمود بهجت سنان، البحرين درة الخليج العربي ص١٩٢، ط١، بغداد ١٩٦٣م، نقلا عن مقابلة أجراها محرر جريدة الفيحاء . العدد ١٥٩ بتاريخ ١٣٤٥هـ . وانظر قضية البحرين . ليوسف الفلكي، ص٥٩، و أر/١٥/١/٧٣٠، ص٣٢/٦١ – ٧٢ . البحرين ١٩٠٨ – ١٩٢٨م .

٣ – الريحاني، ملوك العرب، ج٢، بيروت ١٩٢٩م، ص٦٠ . وانظر د. أمل الزياني، البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي . ط٢، البحرين ١٩٧٧م، ص١٠١ .

٤ – أر/١٥/١/٧٣٠، ص٣٢/٦١ – ٧٢ .

٥ – ن.م.س. ، ص١٠٣، عن يوسف الفلكي، قضية البحرين بين الحاضر والماضي، القاهرة ١٩٥٦م، ص٥٩ .

٦ – مذكرة من الخارجية في دلهي بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٣٩م – ورسالة المقيم السياسي برقم ٣٧ س أ. وتاريخ ١٣/٦/١٨٩٨م، ومن الشيخ عيسى إلى كرنل ويلسن رسالة مؤرخة في ٢٨ رجب ١٣١٤هـ/ ص٥٣ .

٧ – من جاسكين للمقيم برقم ١٩٠١/٢٢ البحرين في ١٨ فبراير ١٩٠١م/ ص٣٦ و٥٣ .

٨ – الملحق ٤ للتقرير عن الإصلاحات في البحرين . العائلة الحاكمة في البحرين، ص١٦٧ .

٩ – التقرير السنوي لعام ١٩٣٢ و١٩٣٣م، ص٥٣/٣٩٦ و٣٩٧ . مقتطفات من مذكرات بلجريف، ص١٢٩ و١٣٠ .

١٠ – العدد سي/٢٢٢، في ١٣ ديسمبر ١٩٣٢م الموافق ١٥ شعبان ١٣٥١هـ .

١١ – من الشيخ حمد إلى الكولونيل لاخ بتاريخ ١٥ شعبان ١٣٥١هـ/ ص٢١٦/٥٨

١٢ – رسالة من تريفور إلى المعتمد السياسي، برقم أر ١١٠١/ ردا على برقية المعتمد برقم ٥٠٩/ ج . الأسرة الحاكمة في البحرين، ص١٤٢ .

١٣ – د. علي أباحسين، العلاقات التاريخية بين البحرين والهند، ص٢٩ . ومن المقدم نوكس، المقيم السياسي في الخليج. ٣١ مايو ١٩٢٣م .

١٤ - إعلان رقم ١٣٥١/٤١ من بلجريف مستشار حكومة البحرين في ١٠ شوال ١٣٥١هـ، الموافق ٥ يناير ١٩٣٢م، ص٢٢٠/٦٠ . ورسالة نائب جلالة الملك ووالي الهند ولنكتون، نيودلهي، في ٢٥ يناير ١٩٣٣م/٢٨ رمضان ١٣٥١/٢٣٣/٦٨ .

١٥ - خطاب سمو الشيخ حمد ص٢٣٧ و ٢٣٨/٦٩ و٧٠ : الأسرة الحاكمة في البحرين .

١٦ - رسالة من المقيم في بوشهر إلى أوبري متكاف وكيل الخارجية في حكومة الهند، نيودلهي، برقم ٦/١٤٦ وتاريخ ٣٠ يناير ١٩٣٧م، ص٣٠١ .

١٧ - بلجريف، مرحبا بالبحرين، ص٤٨ و٤٩ . وانظر المراسلات بين الشيخ حمد والمقيم نوكس، رقم ١٣٤١/٥٤ في ٢٦ذي القعدة ١٣٤١هـ، وبينه وبين الرائد ديلي المعتمد السياسي بالبحرين، رقم ٢٠٦ في ٢٦/٧/١٩٢٢م الموافق ١١ ذي الحجة ١٣٤١هـ .

١٨ - رسالة من الشيخ حمد إلى الشيخ أحمد الجابر مؤرخة في ٢١ جمادى الثانية ١٣٥١هـ برقم ٤٣ /كي.آي.سي. ٢٤/٨٧ . ورسالة من الشيخ أحمد الجابر إلى الشيخ حمد مؤرخة في ٢٥ جمادى الثانية ١٣٥١هـ، برقم ٤٠/كي.آي.سي/٢٤٠/٨٧ .

١٩ - من الباليوز إلى الشيخ حمد برقم ٨٢٣ - ٢٨/١١/١٩٤٠ في ٢٤ أبريل ١٩٤٠م .

٢٠ - من دائرة الهند في لندن إلى الإمبريالية، أر/١٥/١/٦١٦ بتاريخ أول يناير ١٩٣٨م .

٢١ - أر/١٥/١/٧١٣/٥، تقرير إداري سنوي لعام ١٩٢٤م .

٢٢ - أر/١٥/١/٧١٤/٣/١٩٢٧، ص٥/٣٢ و١٠/٣٧ تقرير إداري ١٩٢٧م .

٢٣ - البحرين درة الخليج العربي، ص١٩٥ .

٢٤ - التقرير السنوي ١٩٣٠م، الفقرة ٢٠٦، ص٥١، أر/١٥/١/٧١٤/٦ .

٢٥ - الوثيقة، العدد ١٩، ص٤٤ . وناصر محمد الشيخ، تطور التعليم في البحرين، س٣، يناير ١٩٨٥م نقلا عن هنا البحرين، ذكريات عن التعليم في سنيه الأولى، يعقوب يوسف التوز، ص ١٠، ١٩٦٩م . والبحرين درة الخليج العربي، ص١٩٤ .

٢٦ - التقرير السنوي ١٩٢٥م، ص١٢ و ١٥ .

٢٧ - تطور التعليم في البحرين، ص٣،يناير ١٩٨٥م نقلا عن ذكريات عن التعليم في سنيه الأولى ص ١٠ . وسنان ص١٩٤ .

٢٨ - التقرير . ص١٢٠ و١٢١ .

٢٩ - التقرير، ص٥ .

٣٠ - الوثيقة، العدد ١٩، ص٤٤، د. علي أباحسين، يوليو ١٩٩١م . وأر/١٥/١/٧١٤ . والتقرير الإداري ص١٦/٥٣ و ٢١/٦١ . وسنان ٢٣٨ .

٣١ – أحمد العمران. النهضة التعليمية في البحرين من الماضي والحاضر، ص٣٨ .

٣٢ – تطور التعليم في البحرين، ص٣٨ . وتقرير عن التعليم في البحرين لعام ١٩٥٥م، ص٤٠ .

٣٣ – سنان، ص١٩٤ .

٣٤ – الوثيقة، صفحات من تاريخ التعليم للبنات في البحرين للدكتور علي أباحسين، العدد ١٤، يناير ١٩٨٩م، ص١٥ – ١٧ .

٣٥ – التحفة النبهانية، ص٥٣ . والوثيقة ٥/٦٠ و٦١ .

٣٦ – أنظر المحاضرة التي ألقاها الدكتور باندركار في الجمعية الهندية في البحرين في نوفمبر ١٩٥٥ بمناسبة تقاعده، ونشرت في مجلة الوثيقة، العدد ١٣/ ص٢١٥ .

٣٧ – إف/أو ٣٧١/١٠١٥٠ خلاصة الأنباء في مايو ١٩٢٤م .

٣٨ – إف/أو ٣٧١/٥٠/١٠ خلاصة الأنباء، في مايو ١٩٢٤م .

٣٩ – التقرير السنوي ١٩٢٥م .

٤٠ – التقريرص١٢٠ و١٢١ وتقرير ١٩٣٨م، ص٥ .

٤١ – الوثيقة، العدد ١٢، ص١٥٦–١٦٧، يناير ١٩٨٨م، باندركار، ثلاثون عاما في خدمة البحرين من ١٩٢٥–١٩٥٥م، محاضرة ألقاها باندركار في الجمعية الهندية بالبحرين في نوفمبر ١٩٥٥م بمناسبة تقاعده . وانظر التقرير السنوي لعام ١٩٤١م .

٤٢ – الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة، أضواء على نشأة وتطور الخدمات الصحية بالبحرين، الكتاب السنوي الثالث، طبع مركز الوثائق التاريخية في البحرين، ١٩٨٤م، ص٨٤–٩٢ والوثيقة، العدد ١٩، د. علي أباحسين، يوليو ١٩٩٩م، البحرين ، ص٤٤ .

٤٣ – تقرير بلجريف عام ١٩٣٧م، ص٤٨ . وأر/١٥/١/٧١٣/٥، تقرير إداري عام ١٩٢٤م .

٤٤ – التقارير السنوية لعام ١٩٢٣ و١٩٢٤م . وأر/١٥/٢/٧١٣/٥ .

٤٥ – إف.آر ٣٧١/١٠٥٠، خلاصة الأنباء ١٩٢٤م .

٤٦ – عبد الله الجزائري، نبذة تاريخية عن البحرين. طبع بيروت، ص٣٢ .بلات، والتقرير السنوي لعام ١٩٢٨م .

٤٧ – التقرير،ص٢٤ .

٤٨ – التقرير، ص٤٢ .

٤٩ – النبهاني، التحفة النبهانية، ط ٢، القاهرة، ١٣٤٢هـ، ص٧١ و٧٢ و٢٣٦ .

٥٠ – من جاسكين للمقيم في الخليج، رقم ١٩٠١/٣١م، في ٢٦ فبراير ١٩٠١م ص٥٥ .

٥١ – تقرير، ص٣٩ .

٥٢ – تقرير سنوي ص٣٦ . وتقرير ٢٤ و١٩٢٥م، ص١٢ و١٣، ومن المعتمد السياسي في البحرين إلى جوردن لوخ المقيم في الخليج، سري ج/١١٢ – اب/٥ في ١٨ فبراير ١٩٣٥م . وأنظر ار/١٥/١/ ٩٢٧/٣/٧١٤، البحرين، ص٥/٣٢ . تقرير إداري ١٩٢٧م .

٥٣ – التقرير السنوي، ١٩٢٤ و٢٥، ص١٢ و١٣ .

٥٤ – التقرير لعام ١٩٣٠، ص١٧٦ .

٥٥ – التقرير السنوي لسنة ١٩٤١م، ص١٤ و١٥ .

٥٦ – التقرير، ص٣٩ و٤٠ .

٥٧ – أر/١٥/١/٧١٤/٦/١٩٣٠

٥٨ – تقرير ١٩٣٣م، ص٤٩٠ .

٥٩ – ن.م.س، ص٣٣، نقلا عن التقرير السنوي لعام ١٩٣٠م، ص١٦ .

٦٠ – د. أباحسين، العلاقات التاريخية بين البحرين والهند، ط ١ ١٩٦٦م، البحرين ص٣٣ و٣٤ عن توسن، ص٥ و٦ .

٦١ – العلاقات التاريخية بين البحرين والهند، ص٤٣ .

٦٢ – الدكتور علي أباحسين، العلاقات التاريخية بين البحرين والهند، ص٢٢ و٢٣ . ومن الشيخ حمد إلى وايتمان، في أغسطس ١٩٣٨م، ص١٠١/٢٤ و١٠٤/٢٧ . والتقرير السنوي للبحرين عام ١٩٣٨م، ص٣١ وعام ١٩٣٩م، ص٤٣ .

٦٣ – من الكابتن مالام المعتمد السياسي في البحرين إلى المقدم كروستويت المقيم السياسي بالخليج في بوشهر رقم ٧٢/٥/١/١٩٢٥م، بتاريخ ١٧ أغسطس ١٩٢٥م، الأسرة الحاكمة في البحرين ١٩٣ – ١٩٧ .

٦٤ – الزيارة، تحت رقم ٢٩١–٢٩٥، ص١٠٨–١١٢ . وانظر التقرير السنوي لعام ١٩٤١م، ص٥ .

٦٥ – من بلجريف إلى المعتمد، رسالة رقم ١٥٥٦/١/١٣٥٦/٣١٠ في ٢٦ شوال ١٣٥٦هـ الموافق ٢٩ ديسمبر ١٩٣٧م، ومن المفوضية البريطانية بجده إلى المقيم في الخليج رقم ٩٠٨/٨ في ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧م/٣١١ . ورسالة برقم ج ١٥/١/أ/١٦ في ٦ يناير ١٩٣٨م .

٦٦ – الوثيقة، العدد ٩، العلاقات التاريخية بين البحرين والمملكة العربية السعودية، د. علي أباحسين، ص٨٢–٨٤ .

٦٧ – تقرير عام ١٩٣٧م، ص٢٤ .

٦٨ – التقرير، مؤرخ في مارس ١٩٣٧م – فبراير ١٩٣٨م، ص٢٤ .

٦٩ – تقرير ١٩٣٩م، ص٣٨ و٣٩ .

٧٠ – رسالة من بولارد في مكتب الخارجية في السفارة البريطانية بجدة، إلى باكستر في ٢٨ أكتوبر ١٩٣٩م/٢٥٥٢/٢٦٠٧/١١٧٧/١٠/د ١٩٨٠ن/٤٠/اي٧٥٩٣/٩١ .

٧١ – من بلجريف إلى المعتمد رسالة رقم ١٥٥٦/١/١٣٥٦/٣١٠ في ٢٦ شوال ١٣٥٦هـ الموافق ٢٩ ديسمبر ١٩٣٧م . ومن المفوضية البريطانية بجدة إلى المقيم في الخليج، رقم ٩٠٨/٨ في ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧م/٣١١ . ورسالة برقم ١٥/١/أ/١٦ في ٦ يناير ١٩٣٨م . ومن بولارد إلى المعتمد السياسي بالبحرين، رقم ٢٤/٢٠٢/٣٩٧/٣٨ بتاريخ ٣ فبراير ١٩٣٦م ٣٢٦–٣٢٩ .

٧٢ – التقرير السنوي، ص٥ .

٧٣ – ار/١٥/١/٧١٥/٣/١٩٣٣م ص١٥/٣٢ . وانظر ار/١٥/١/٣١٦ في ١٦ يونيو ١٩٣٣م من المعتمد السياسي في البحرين إلى المقيم في الخليج . وفي رسالة من المعتمد إلى المقيم مؤرخة في ١٦ يونيو ١٩٣٣م . وبرقم ار/١٥/١/٣١٦/٦٥٨ ورد فيها أن الشيخ سلمان الإبن الأكبر للشيخ حمد رزق بمولود مبارك سمي عيسى في ١٤ يونيو .

٧٤ – ار/١٥/١/٧١٥/٣/١٩٣٣م، ص١٥ و٢٢ و٣٢ .

٧٥ – ار/١٥/١/٣١٦ في ٥ ربيع أول ١٣٥٢هـ الموافق ٢٦ يونيو ١٩٣٣م .

٧٦ – ار/١٥/١/٣١٦، العدد ٣١٩ في ٥ ربيع أول ١٣٥٢هـ الموافق ٢٦ يونيو ١٩٣٣م .

٧٧ – الدكتور علي أباحسين، مسيرة الخير والعطاء في البحرين، ط ١، البحرين ١٩٩٣م، ص٢٣ و٢٤ .

٧٨ – الأسرة الحاكمة، الفقرة ٢٥٧، ص٨٤ .

٧٩ – من وايتمان إلى ترنشارد، سري ج/٧٣٥/١١/١٦، في ٣ ديسمبر ١٩٣٨م/٣٦٢ و٣٦٣ .

٨٠ – من المستشار بلجريف إلى المقيم السياسي بالخليج، رقم ٢٠٩٥/٢٦/١٣٥٧هـ/٣٦٤ و٣٦٥ .

٨١ – سري رقم ج/١٩٢/١١/١٦ في ٢٦ مارس ١٩٣٩م/٣٦٨ و٣٦٩ .

٨٢ – من بلجريف ٣٨٦–٣٨٨ . والتقرير السنوي لعام ١٩٤٠م، ص٧ .

٨٣ – مذكرة من بلجريف مؤرخة في ٢٦ فبراير ١٩٤٢م، ص٤٠٦–٤١٤ .

٨٤ – النبهاني، التحفة النبهانية، ط ٢، القاهرة ١٣٤٢هـ، ص٢٠٩ .